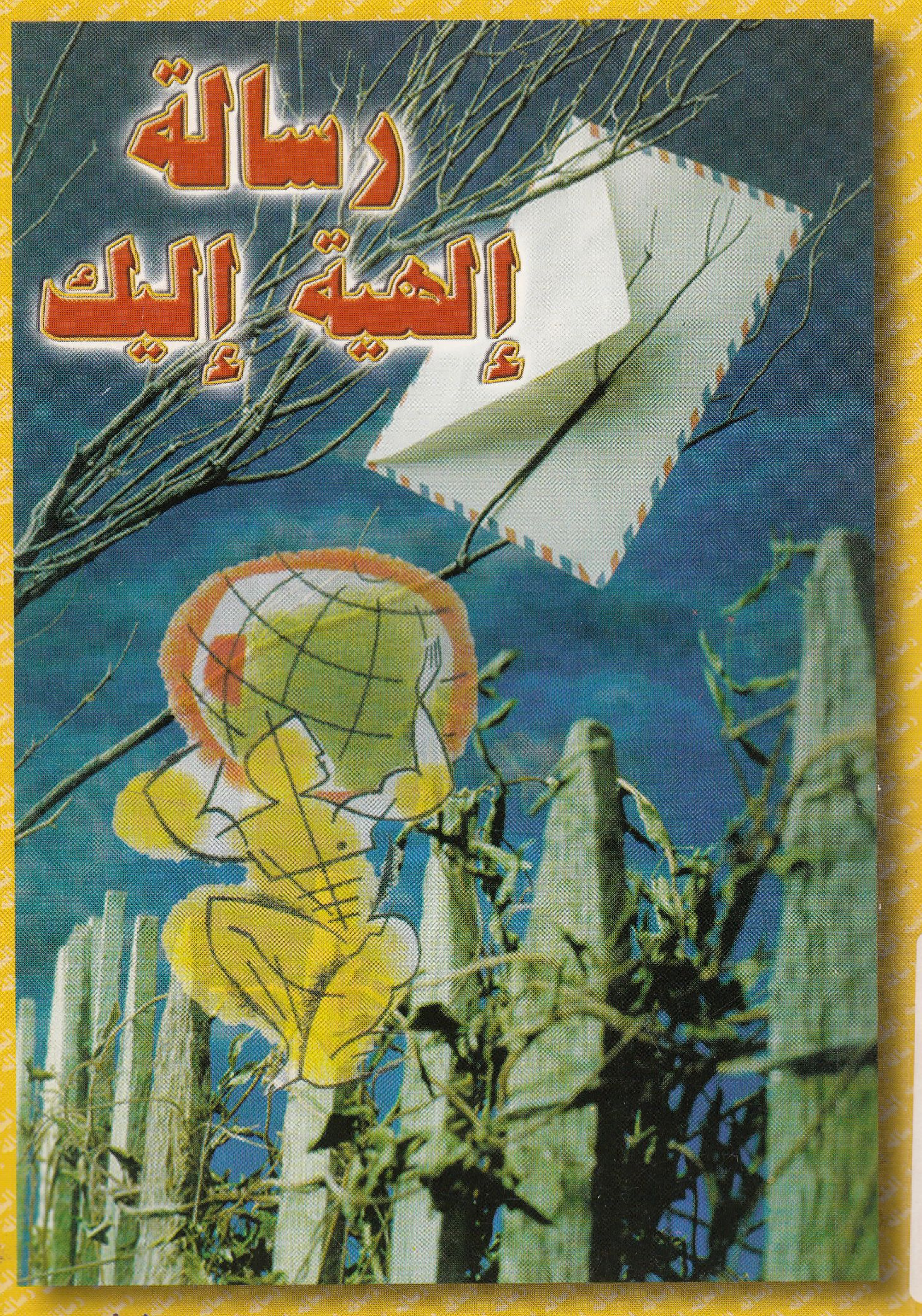


رسالة إلهية إليك

ق. صموئيل زكي

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

رسالة إلهية إليك

القس صموئيل زكي سليمان

لوجوس

الكـــتاب : **رسالة إلهية إليك**

الكـــاتب : **ق. صموئيل زكي سليمان**

الجمع والاخراج الفنى والطباعة

لوجوس سنتر

تليفون / فاكس ٢٩٠٦١٦١

ص . ب . ٢٤٥٥ الحرية

هليوبوليس - القاهرة

E-mail : logoscenter@yahoo.com

www.logoscenter.net

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٧٧٥٠

الترقيم الدولى :8- 69 - 5607 - 977

المحتويات

إهداء

إلى أسرتي

التي غمرتني بحنانها، وأسعـــدتني بحبها
وملأت حياتي بالأمل بلمسات تشجيعـــها

إلى زوجتي سلوى

التي ساندتني وشاركتني في أعباء الخدمة

إلى جون وكريستين

اللذين حُرما مني بعض الوقت لكي أتفرغ
للكتابة

إلى أحبائي هـــؤلاء
أهدي هذا الكتاب

القس صموئيل زكي سليمان

مقدمة

رغم كثرة الكتابات المسيحية في الناحية الأكاديمية إلا أن ما يشد الانتباه أن الكتابات في مجال الاقتراب إلى الله التي تتميز بشمولها على لمسة روحية قليلة جداً. في حين أننا لو فكرنا في الهدف الرئيسي لكل الكتابات في المجال المسيحي نجد أن هدفها الرئيسي الذي يرغب الكتّاب في الوصول إليه هو مساعدة القارئ أن يقترب من الله أكثر .ويحدث تباعاً لذلك تغيير في شخصيته وسلوكياته وأخلاقياته إلى الأفضل.

وقد قال الرب على فم إشعياء النبي كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررت به، وتنجح في ما أرسلتها له (إش ٥٥ : ١١) . فكلمة الله عندما تقدم للإنسان بأي أسلوب وبأية طريقة وبأية لغة، في أي وقت وفي أي مكان وفي أي ظرف ، لابد أن يكون لها مفعول قوي وتأثير واضح، كما قال عنها كاتب الرسالة إلى العبرانيين كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين ، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، ومميزة أفكار القلب ونياته (عب ٤: ١٢).

والله كلم شعبه قديماً بطرق كثيرة ووسائل متعددة . فمثلاً كلم أبوينا آدم وحواء بطريقة مباشرة من خلال أصوات تصل إليهم (تك ٣). وكلم إبرهيم عن طريق الملائكة(تك ١٧ : ٩ – ٢٧)وكلم يعقوب وظهر له في شكل رجل(تك ٣٣: ٢٢ – ٣٠) وكلم موسى من خلال عليقة تشتعل ولم تحترق (خر ٣) . وكلم صموئيل في رؤيا أو حلم (١ صم ٣ : ١ – ١٤) وكلم شعب إسرائيل أثناء خروجهم من مصر ومسيرته معهم في عمود من السحاب (خر ١٣ : ٢١ – ٢٢) وكلم شاول الطرسوسي من خلال صوت وضوء سطع في عينيه في قصة تجديده (أع ٩) وكلم اليونانيين من خلال وباء تفشى في مدينة أثينا فبحثوا عن الإله المجهول الذي أحدثه (أع ١٧) وغير ذلك.

وفي هذا الكتاب الله يكلمنا من خلال المواقف والأحداث المختلفة الواردة في موضوعاته المختلفة ويريدنا أن نقترب منه أكثر، ونزداد في شركتنا معه. وقد أُعِدَ هذا الكتاب ليكون بمثابة مجموعة رسائل إلهيه يشعر القارئ أن الله يكلمه هو شخصياً من خلالها ويلمس احتياجاته. كما أنه أُعِدَّ للعامة وليس لفئة خاصة. أُعِدَّ للمؤمن والخاطي، للقوي والضعيف، ولكل الأشخاص من كل الطوائف والأعمار وللقادة وعامة الشعب، فقد يكلمنا الله في موضوعاته المختلفة من خلال حادثة قتل أو مصنع للفخاري أو رحلة سفر أو بقعة عظام يابسة لأشخاص، أو غير ذلك.

إنني أقدم هذا الكتاب البسيط للقارئ المسيحي العربي ليكون بمثابة فُتات بسيط، لكن بنعمة الرب أثق أنها ستعطي شبعاً كثيراً. وكمجهود متواضع جداً لكن بمرافقة روح الله له سيصبح شعاع نور في وسط الظلام وينير الطريق أمام الكثيرين. إنني أصلي إلى الرب من أجله أن يستخدمه بروحه القدوس لخلاص البعيدين وبناء المؤمنين، ومعاونة كل من يقرأه ليزداد اقتراباً من الله أكثر، وينعم بالعشرة الطيبة مع شخصه الذي له كل المجد والتعظيم.

الكاتب


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
حادثة
قتل

جريمة حدثت في القرن الأول الميلادي ذكرها الوحي المقدس في البشائر الثلاثة متى ومرقس ولوقا، وهي جريمة قتل الملك هيرودس ليوحنا المعمدان، وإحضار رأسه على طبق. تلبية لطلبة الراقصة سالومي ابنة هيروديا محبوبة الملك وهي زوجة أخيه في نفس الوقت. وكان ذلك في مناسبة عيد ميلاد الملك والتي كان قد حضر فيها الكثيرين من الأمراء والنبلاء وكبار رجال المملكة وسادة القوم. واصدر الملك أثناء الحفل وهو في حالة سكره وفقدان وعيه أمراً بقطع رأس يوحنا المعمدان.

ويوحنا المعمدان كان نبياً والنبي هو إنسان مسئول يحمل رسالة الله ليوصلها للناس ويطالبهم بأن يستمعوا إليها ويعملوا بها، وان يتوبوا عن شرهم ويرجعوا إلى الله. فرسالة النبي هي رسالة دينية تختص بعلاقة الإنسان بربه.

وهيرودس كان ملكاً والملك هو إنسان مسئول أيضاً يحمل رسالة سياسية في الدولة تختص بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان في المجتمع، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول. وهذه القصة التي نحن بصددها الآن تعتبر:

(١) أصدق دليل وأسطع برهان على إن الخطية تقود الإنسان للخراب والدمار وفقدان كل شئ جميل يملكه الإنسان.

(٢) وهي أيضاً رسالة واضحة تعلن طريق السقوط والانهيار للعظماء عندما ينجرفون وراء نزواتهم ويخالفون ضمائرهم ويسيرون في طريق الخطية.

(٣) كما إنها تعتبر توجيه وإرشاد لنا لإعلان الحق والسير في النور مهما كلفنا ذلك من تضحية أو عناء أو سجن أو موت.

(٤) وهي رسالة يقدمها الرب لنا بطريقة شخصية يخاطبنا فيها كأفراد وكجماعات لنعيش الحياة المسيحية المرضية أمام الله وأمام الآخرين فهو يريد أن يعلمنا من خلالها ما يلي:

١- أن نكون أصحاب رسالة مؤثرة في مجتمعنا.

٢- أن نكون أصحاب مبادئ نبيلة في حياتنا.

٣- أن نكون أصحاب أذان صاغية لصوت إلهنا.

أولاً: يجب أن نكون أصحاب رسالة مؤثرة في مجتمعنا

كان الملك الذي قتل يوحنا المعمدان اسمه هيرودس أنتيباس ابن هيرودس الكبير وقد كان ملكاً على الربع الذي هو الجليل وكان متزوجاً من أميرة ابنة ملك من ملوك العرب اسمه ارتياس. لكن الملك هيرودس أنتيباس هذا رغم انه كان متزوجاً إلا أنه وقع في غرام امرأة أخري هي هيروديا امرأة أخيه اسمه فيلبس وكان ذلك أثناء زيارته لها في روما وتزوج بها وطلق امرأته الأولي.

تجاهل لأهم الاعتبارات وأعظم المبادئ:

تجاهل هيرودس الملك الاعتبارات الهامة والمبادئ النبيلة التالية:

١. لم يراعِ اخوّة أخيه والحفاظ على عِرضهِ ومالهِ.

٢. لم يراعِ شريعة اليهود في ذلك الوقت التي تقول صراحة في(لا ٢٠ : ٢١) "إذا اخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة".

٣. لم يراعِ مكانته كملك وكقائد للشعب لأن القائد قدوه، والقدوة ممكن تكون قدوه حسنة وممكن تكون قدوه رديئة لكن هنا نراه قد أندفع وراء رغبته وشهواته الدنيئة فلم يكن قدوه حسنة للناس بل كان قدوه رديئة جداً.

٤. لم يراعِ هيرودس المخاطر السياسية التي ستنتج من طلاق امرأته الأولى بدون سبب. وهي أميرة بنت ملك في نفس الوقت.

رأى يوحنا المعمدان تصرفات الملك هذه غير لائقة وخاصة لأنه ملك، فذهب إليه وقال له صراحة "لا يحل لك أن تأخذ أمراه أخيك زوجة لك". وصيغة النص الوارد في كل من بشارة متى وبشارة مرقس توضح لنا أن يوحنا المعمدان لم يقل له مرة واحدة بل وبخه عدة مرات لكي يرجع عن طرقه الرديئة. وأما تصرفات يوحنا المعمدان هذه أغضبت هيروديا على يوحنا وأرادت أن تقتله لكنها لم تقدر. لأن يوحنا كان له شعبية كبيرة حتى أن هيرودس الملك ذاته كان يهابه كنبي من الله.

بطل عظيم يستشهد ضحية رقصة راقصة

جاءت الفرصة لترقص سالومي ابنة هيروديا في مناسبة احتفال مولد الملك فأعجب بها الملك وهو في قمة سكره وقال لها "إن طلبت حتى ولو إلى نصف المملكة أعطيك" فلقنتها أمها وقالت لها أن تطلب رأس يوحنا المعمدان على طبق وبالفعل قد تمت طلبتها وراح النبي الشجاع – الشخصية القوية – الصوت الصارخ ضحية هذه الرقصة.

نبي الله يحذر من الخطر الآتي على الشعب

وهنا نتسأل لماذا أصر النبي على مواجهة الملك؟ ألم يعرف انه ملك قاس وفي إمكانه أن يقتله؟ ألم يكفيه أن ينادي الناس بالتوبة؟ هل يا يوحنا المعمدان وبخت كل الناس وكل القضاة والحكام الآخرين ولم يبقَ أمامك إلا هذا الرجل

الشرس هيرودس الفاجر؟ ألم تكن الفرصة أمامك لتنادي برسالة التوبة لآلاف من الناس؟

الإجابة على هذه التساؤلات تقول أن يوحنا فعل ذلك لأنه كان يشعر بخطر مزدوج على الشعب من جانبين.

<u>الجانب الأول</u>: فقد كان هناك خطر ديني أخلاقي على الشعب لأن القائد قدوه كما ذكرنا سابقاً وهيرودس هنا هو قدوه رديئة للشعب وعيوبه وأخطاءه هذه ستنتشر بعد ذلك وكل ما يفعله ينعكس على الشعب فإذا كان الرأس مريضاً فكل الجسد لابد أن يكون سقيماً وقد قال أحد الشعراء: فلما رأيت الرأس مهشم أيقنت منه تهشم الأعضاء.

<u>الجانب الثاني</u>: كان هناك خطر سياسي اجتماعي شعر به يوحنا المعمدان وأحس بأن الناس يمكنها أن تجني مصائب كثيرة جداً، من وراء تصرفات هيرودس لأن زوجة هيرودس الأولى عندما فعل معها ذلك وتزوج بغيرها ذهبت تشكو لأبيها فأعد العدة وقام للحرب على هيرودس وعلى مملكته وهزمه وكان الناس يقولون انه ذنب يوحنا المعمدان. وفعلاً تم ما كان يخشاه يوحنا المعمدان من أضرار وخسائر في حرب ضده. عادت هذه الخسائر على كل الناس الذين لا ذنب لهم في المملكة.

العزلة عن المجتمع لها مخاطرها الجسيمة

وما فعله يوحنا المعمدان يوجهنا إلي أمر في غاية من الأهمية بالرغم من أنه كان نبياً وله رسالة دينية إلا أنه لم يتهرب من واجبه السياسي والاجتماعي وأنشغل بأمور وقضايا المجتمع ولم ينعزل عنه وكان يخاف على الناس أن يأتي بهم أي ضرر من أي جانب.

وهو يكشف بذلك عن مشكلة كبيرة فينا كمسيحيين، وهي إننا نتصور في أحيان كثيرة أنه لا علاقة بين الدين والسياسة، وأن التقوى هي في الانعزال عن المجتمع وهذا فكر خاطئ تماماً. فمن يأخذون العزلة عن المجتمع اتجاهاً لهم في الحياة ولا يختلطون إلا بفئة قليلة من أمثالهم فهم يضلون الطريق الحق ويعرضون أنفسهم لعده مخاطر هي:

(١) العزلة التي يفرضونها على أنفسهم تفصلهم عن الاتصال الحيوي الضروري بالمجتمع وبالتالي هم يفقدون إحساسهم بالرسالة العظيمة التي أوجدهم الله لأجلها في الحياة. فقد قال المسيح لتلاميذه والمؤمنين بشخصه "أنتم ملح الأرض" (مت ٥ : ١٣). وقال "أنتم نور العالم" (مت ٥ : ١٤). لكن كثيرين من الناس يريدون أن يكونوا ملحاً مختزناً متكتلاً معزولاً لا نفع له. بدلاً من آن يتغلغلوا إلى الحياة في العالم لحفظها وإصلاحها فهم سراج موقد منير لكن للأسف موضوع تحت المكيال. وليس على المنارة ليضئ للجميع فأي رسالة يا ترى يؤدونها هؤلاء؟

(٢) والعزلة تملأ أصحابها بالغرور والكبرياء الروحي والبر الذاتي فهم يشعرون دائماً أنهم أفضل من غيرهم ودائماً لسان حالهم النقد اللاذع للآخرين حتى لأصحاب الرسالة السامية في المجتمع. فهذا الاتجاه قد سار فيه الفريسيون وكانوا دائمي النقد ليسوع على رسالته وخدمته العظيمة في المجتمع. وعلى صدره الرحب المتسع لقبول عشارين وخطاة لإصلاحهم وعلاجهم.

(٣) وهناك خطر ثالث على أصحاب الاتجاه الانعزالي عن المجتمع وهو خاص بالأجيال التالية الجديدة التي ترى أمامها أفاقاً للحياة المتسعة. وترى كل يوم جديد تغيير واضح في المجتمع يفرض عليهم المشاركة. فهم لا يستطيعوا أن يبقوا في داخل صندوق مغلق فهنا تحدث الفجوة بين الأجيال أو بين الأبناء

والأبناء لأنهم يشعرون بان أسلوب التربية لهم غير مناسب. فمن لا يجد من يرشده وهو يواجه مشكلات الحياة الاجتماعية المتغيرة المتطورة فيضيع وهنا يلزم الآباء والأمهات الانفتاح لمتابعة تطور الأحداث وتقدم الحياة.

(٤) وأصحاب هذا الاتجاه الانعزالي يعيشون في دائرة مغلقة فتضيق آفاق حياتهم ويزداد انطوائهم ويكثر الجدل فيما بينهم وتزداد الانقسامات والخلافات وسطهم بدلاً من أن يتطلعوا إلى رسالة الله في العالم المفتوح أمامهم. والتي يجب أن يكون لهم بصمات واضحة فيه.

أحياناً ينتابنا شعور بالاغتراب ونفصل في حياتنا وأحاديثنا وعباراتنا بين ما هو روحي وما هو جسدي ونعتقد أن الأرض التي نعيش عليها ليست وطننا. ووطننا هو الوطن السماوي وهذا العالم الذي نعيش فيه قد وضع في الشرير. إنه شعور صعب على حياتنا لأنه يقودنا إلى العزلة عن المجتمع وعن الرسالة المكلفين بها.

السيد المسيح نموذج رائع للانشغال بقضايا المجتمع

إن القداسة والطهارة ليست في العزلة عن المجتمع كما يعتقد البعض فيمكن للإنسان أن يعتزل في مكان ما، لكن تجارب الشر تتابعه حيث يكون. فقد جاء المسيح للعالم ليخدم ويشارك في العالم. وقبل صعوده أرسل تلاميذه للخدمة في العالم والانشغال بقضايا المجتمع والمشاركة فيه.

الانتماء لبلدي يجعلني أرفض العزلة عنها

والمؤمنون لا ينتمون إلى وطن واحد فقط كما يرى البعض بل إلى وطنين وطن أرضي ووطن سماوي.والمؤمنون حقيقة ليسوا من العالم (يو ١٧ : ١٤) لكنهم في نفس الوقت موجودين في العالم (يو ١٧ : ١١). وتواجدهم في العالم لتأدية رسالة مكلفين بها (يو ١٧ : ١٨). والمسيح صلى للآب وهو لا يريد أن يأخذهم من العالم بل يبقيهم في العالم لتكون لهم رسالة واضحة ملموسة بها ينيروا العالم.

أحس بالاغتراب قديماً شعب مملكة يهوذا الذين أخذوا للسبي إلى مملكة بابل. والإحساس بالاغتراب قادهم إلى العزلة رغم أن الذين أخذوا للسبي كانوا

من خيّرة الشباب المهرة، العظماء المفكرين، كما يظهر ذلك من نبوه دانيال وهؤلاء عبّروا عن مشاعر الاغتراب بقولهم "على أنهار بابل جلسنا بكينا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا لأن هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين. رنموا لنا ترنيمات صهيون. كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة أن نسيتك يا أورشليم تنس يميني . ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. إن لم افضل أورشليم على أعظم فرحي" (مز ١٣٧: ١-٦).

وأمام مشاعر الاغتراب هذه انعزلوا وامتنعوا عن الترنيم وعلقوا أعوادهم التي يعزفون عليها على شجر الصفصاف وأشجار الصفصاف تستخدم نموذجاً للدموع المنهمرة تعبيراً عن الحزن العميق. وكان إحساسهم بالاغتراب نابع من ولائهم لوطنهم الأصلي أورشليم، وكان الولاء لأورشليم في نظرهم هو رفض أرض الغربة.

بسلام بلدنا يكون لنا السلام

فكر ارميا النبي وأحس بخطأ تفكير هؤلاء المسبيين وخطأ سلوكهم أيضاً لأن بابل رغم أنها كانت بلد الأعداء إلا أنها تعتبر من ضمن خليقة الله بل أن الرب ذاته لم يعجبه اتجاه العزلة الذي سلكه المسبيين فأرسل لهم هذه الرسالة على فم ارميا النبي قال لهم فيها "هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل أبنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقللوا واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام " (إر ٢٩ : ١، ٤ - ٧).

وهنا نرى الله أراد أن يعالج مشاعر الاغتراب عند الشعب باعتبار العالم كله عالم الله ونحن نحمل مسئولياتنا في كل مكان طاعة الله.

وهكذا نحن فإننا ننتمي إلى وطن سماوي وانتماؤنا إلى وطن سماوي لا يمنع انتماؤنا إلى وطن ارضي فالأرض كلها قد خلقها الله ويديرها الله.

ونحن مدعوين في العالم أن نقيم فيه وأن تكون لنا رسالة واضحة مؤثرة وبالتالي نعرف أنه لا انفصال بين ما هو روحي وما هو جسدي فالحياة الروحية لأي إنسان مرتبطة ارتباطاً كلياً بحياته الجسدية.

رسالة المسيح في العالم كانت روحية اجتماعية

لو نظرنا إلى منهاج حياة المسيح على الأرض كنموذج لنا لنقتاد به نجد أن المسيح كان ينشغل بالمجتمع وبقضاياه السائدة ويركز كثيراً على علاجها ووضع أسس ومبادئ خاصة بها وليس كما يعتقد البعض بأن السيد المسيح كان صاحب رسالة روحية فقط فهو لم يكن رئيساً لناد اجتماعي ولم ينضم لحزب سياسي فقد عرضت عليه إدارة ممالك العالم لكنه رفضها (مت ٤: ٨ – ١٠).

وبعد معجزة الإشباع أرادوا أن يختطفوه ملكاً لكنه تركهم وهرب (يو ١٥:٦) وقال صراحة "مملكتي ليست من هذا العالم" (يو ٨ : ٣٦). هذا صحيح لكن هذا لا يمنع أن المسيح كان يعطي القضايا الاجتماعية السائدة في عصره قدراً كبيراً من الاهتمام والتفكير لعلاجها. فمثلاً نراه قد أنشغل كثيراً بقضية الفقر فعلم عن قصة الغني ولعازر. وعلم عن قصة الغني الذي طلب منه السيد أن يوزع ثروته ورفض لأنه كان ذا أموال كثيرة. وعلم عن الغني الغبي الذي جمع ثروته ومحاصيله إلى المخازن ومن خلال تعاليمه أرسى قواعد للعلاقة بين الغني والفقير وكيفية العناية بالمحتاج. أهتم بقضية اجتماعية أخرى كانت سائدة في عصره وهي مكانة المرأة كإنسان مخلوق على صورة الله فقد أهتم بتعليم مريم أخت مرثا ولعازر. أهتم بالسامرية ووقف معها وتحدث إليها وأهتم بالعديد من القضايا الأخرى في المجتمع.

فالسيد لم يعش يوماً واحداً لذاته. بل أعطى كل حياته لمجتمعه وللآخرين من حوله وللبشرية جمعاء فقد كان دائماً يجول يصنع خيراً يشفي جميع المتسلط عليهم إبليس. كان يشفي المرضى. يقيم الموتى ـ يقف بجوار الفقراء والمظلومين ويشهد للحق ويقيم قواعد العدل ويغرس الحب في قلوب الناس حتى مع أعدائهم. فقد علمنا أن لا ننعزل بل نربط بين الإيمان والحياة. الدين والدنيا. الكنيسة والمجتمع. وأن يكون فينا الانتماء والولاء للوطن الذي نعيش فيه.

والسيد المسيح رغم أنه لم يكن رجل سياسة بالمعنى المعروف في عصرنا هذا لكنه واجه المشكلات السياسية التي كانت تقابله والسياسة في عصره كانت مختلطة بالدين فقد واجه القضايا السياسية بمهارة فائقة. ورغم أنه لم يكن منظماً لحزب سياسي معين لكنه ترك التلاميذ في انتماءتهم الحزبية.

والكنيسة هي جزء حيوي من المجتمع لا يمكنها أن تنفصل عنه بالمرة بل عليها أن تشارك بالخدمة فيه. فهي لا تتبنى نظرية سياسية معينة ولا تؤيد حزباً سياسياً معيناً. وتقول للناس انضموا إليه لكنها تشجع أبناءها على المشاركة والاهتمام بالأحداث الجارية وممارسة حقوقهم في الانتخابات والنقابات والمنظمات في ضوء الضمير المسيحي الذي أوجده الله فينا.

ثانياً، يجب أن نكون أصحاب مبادئ نبيلة في حياتنا

من المهم جداً لنا كمسيحيين أن نتمسك بمبادئنا المسيحية العظيمة ولا نتهاون ولا نتنازل عنها مهما تتغير الأجواء وتتبدل الظروف وتتلون الأحوال من حولنا فالحق هو حق والشرف هو شرف والأمانة هي أمانة والفضيلة هي فضيلة فلا يمكن أن نعطيها مسميات أخرى ولا نلبسها ثوب أخر بل علينا أن نتحلى بها في حياتنا.

صاحب الرسالة لن يموت أبدا

هنا نرى في نظرة البعض لهذه القصة (قصة استشهاد يوحنا المعمدان) توجيه اللوم ليوحنا المعمدان فيقولون أنه قد انشغل بمشكلة هيرودس وهيروديا والنتيجة أنه قتل ماذا استفاد هو؟ وماذا استفاد المجتمع منه؟ ويتصورون أن موقفه موقف فاشل وقضيته قضية خاسرة. لكن الحقيقة غير ذلك تماماً فالتأثير الذي تركه يوحنا في المجتمع، في نفوس الناس وفينا نحن اليوم بعد موته، أقوى بكثير من التأثير الذي تركه أثناء حياته على الأرض أنه علمنا أن صاحب الرسالة لا يمكن أن يموت أبداً "وإن مات يتكلم بعد" (عب ١١ : ٤). فهو يموت بالجسد لكن حياته واعماله ورسالته تتكلم من بعده.

هذه القصة تذكرنا باستشهاد استفانوس صاحب الرسالة العظيمة (أع ٦ - ٨). واستشهاد يعقوب (أع ١٢). وغيرهم من التلاميذ الذين واجهوا اضطهاداً شديداً فالرسالة هنا لم تنتهي ولم تتوقف لكنها ازدادت واتسعت بعد موتهما اكثر من حياتهما. "والذين تشتتوا من جراء الضيق جالوا مبشرين بالكلمة وامن عدد كثير جداً ورجعوا إلى الرب وأنضم إلى الرب جمع غفير" (أع ١١) فأصحاب المبادئ النبيلة الذين لهم رسالة مؤثرة تعتبر بصمات واضحة في المجتمع فهم لن يموتوا أبدا. وإن ماتت أجسادهم لكنهم يبقوا أحياء برسالتهم من بعدهم.

المبادئ النبيلة هي أقوى رسالة عملية مؤثرة في الناس

إن مبادئ يوحنا المعمدان النقية النظيفة جعلت الملك يهابه ويخاف منه عالماً أنه رجل بار وقديس. والمبادئ النبيلة التي تحلى بها أثرت في الشعب أيضاً حتى أنه أصبح له شعبية كبيرة جداً. وعندما أحرج الملك أمام الجمع ونفذ قراره بقتل يوحنا المعمدان يقول الكتاب عنه أنه أغتم أي حزن جداً وتأثر بموته أكثر من حياته.

حتى أنه بعد ذلك عندما كان يسوع يصنع آيات ومعجزات وأنتشر الخبر عنه قال هيرودس أنه يوحنا المعمدان الذي قطعت أنا رأسه إنه قام من الموت. فكان في حاله هلوسة بما فعله مع يوحنا المعمدان وعاش يوحنا المعمدان في ضمير الملك هيرودس وضمير الشعب كله بعد موته.

في إحدى الوحدات العسكرية كان هناك جندي تقي يرغب كثيراً في الالتقاء مع الله. وكان يعتبر هزءاً لزملائه الجنود. في يوم من الأيام كان يصلي فوجد مضايقات كثيرة من زملائه فذهب إلى القائد يشكو له قائلاً كنت أصلي ساجداً وإذا بزملائي الجنود يرمونني بأحذيتهم، ويسخرون مني، ويرمونني بالكلام الجارح. قال له القائد أليس من الأفضل أن تصلي وأنت في غرفتك الخاصة أو تنتظر حتى يناموا؟ وبعد مدة عاد الجندي للقائد فتوقع القائد أنه سيشكو له مرة أخرى من زملائه الجنود فسأله هل عملت بنصيحتي؟ أجاب الجندي لقد عملت بها يوماً واحداً فقط وبعد ذلك لم أشعر براحه لها. ووبخت نفسي عليها كثيراً إذ حسبت أن هذا إنكار لسيدي. ولذلك عدت إلى عادتي القديمة. قال له قائدة وماذا حدث بعد ذلك أجاب الجندي كل زملائي في الوحدة

كانوا ساجدين يصلون معي. هذا الموقف يعلمنا أن الحياة المسيحية النقية للشخص تكون بمثابة رسالة عملية مؤثرة في حياة الآخرين والآخرين يرون إيماننا من خلال أعمالنا لأننا نبرهن عن إيماننا الصحيح بالرب من خلال رؤيتهم لحياتنا وسلوكياتنا الشخصية.

شبه المسيح تلاميذه وتابعيه بالنور للعالم، والنور رغم أنه يصدر من لمبة صغيرة لكنها تضيء لمكان فسيح. وشبههم بالملح الذي يصلح من الفساد ويعطي مذاق حلو رغم أنه يكون قليل جداً لكنه يعطي مذاق لكل الطعام. وشبههم في رسالتهم وعملهم بخميرة صغيره لكنها تخمر العجين كله مجموعة اكيال من الدقيق بمعنى أنهم أقلية لكن الأقلية يمكن أن تكون مؤثرة وذات فاعلية أفضل بكثير من أكثرية راكدة خاملة بلا جدوى ولا نفع. تلاميذ المسيح كانوا أقلية قليلة جداً لكنهم فتنوا كل المسكونة ووصلوا رسالة المسيح لجميع العالم. وذلك عن طريق المبادئ العظيمة التي تعلموها وعاشوها أثناء تلمذتهم للسيد.

الفتية الثلاثة الذين وصل بهم الحال إلى الأتون المحمى سبعة أضعاف في سبيل أن يتخلوا عن المبادئ العظيمة التي كانوا يعيشونها، الخاصة بعلاقتهم بإلههم لكنهم تمسكوا بها وكانت حياتهم ومبادئهم هي أعظم رسالة قوية مؤثرة لمملكة بابل فكانوا فيها كالنور وكالملح وكالخميرة فأصلحت المملكة بوجودهم فيها.

ولكي نتمسك بمبادئنا النبيلة فعلاً ونكون مؤثرين في غيرنا ونكون ذوي فاعلية في المجتمع علينا أن ندفع الثمن فقد قال السيد المسيح في بشارة يوحنا "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبه الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" شرط لحبة الحنطة لكي تأتي بثمر لابد أن تمت أولاً. وإن لم تمت فهي تبقى في الأرض وحدها ولا تثمر بالمرة" (يو ١٢ : ٢٤).

تحكي رواية من الروايات أن مصوراً رسم صورة رائعة جميلة وكانت ألوانها جذابة جداً ورائعة لا نظير لها. فحاول الفنانين الآخرين من لديهم موهبة الرسم أن يتعرفوا على سر جمالها فلم يعرفوا. حتى جاء اليوم الذي عرفوا فيه السر. كان ذلك يوم وفاة الرسام. إذ رأوا جرحاً عميقاً غائراً في

جسده وعرفوا أن الرسام كان يغمس ريشته في دمه ويرسم الصورة بمداد قلبه. نعم فكل شيء جميل له ثمن غالي هذه صورة لما فعله يوحنا المعمدان. فالمبادئ النبيلة التي تمسك بها وتعلمها الناس من بعده كانت ثمناً لاستشهاده. وهذه صورة مصغرة لما فعله المسيح معنا، فقد بذل دمه من أجلنا فطبع في قلوبنا صورته التي لا تُمحى أبداً.

يوحنا المعمدان لكي يعلم العالم من بعده مبدأً شريفاً نظيفاً كان عليه أن يدفع الثمن وهو السجن ثم بعد ذلك الاستشهاد. فكل إصلاح له ثمن قدراً من الألم والمعاناة والتعب.

ثالثاً: يجب أن نكون أصحاب أذان صاغية لصوت إلهنا

كيف نتصرف أمام القضايا الصعبة

كانت القضية التي واجهها يوحنا المعمدان قضية صعبة جداً كما أشرنا قبل ذلك لعدة أسباب:

(١) كانت من الرواية الأولى تعتبر قضية فساد أخلاقي ينتشر عن طريق القدوة الرديئة والسكوت عليها يؤثر على المجتمع كله.

(٢) من زواية أخرى هي قضية سياسية إذ أنها تضر المجتمع وتؤثر عليه نتيجة شن حرب من ملك آخر للتخريب والتدمير.

(٣) ما يزيد القضية صعوبة إنها قضية ملك وليست قضية أي شخص آخر بسيط المكانة فربما من يواجهه يقطع رأسه بالسيف. ما الحل هنا؟

هل يقف يوحنا أمام هذه القضية مكتوف الأيدي ويسكت؟ هل يرى الشر بعينيه ينتشر في المجتمع ويصمت؟ هل يطيع الملك ويجامله ويتكلم أمامه بالكلمات الناعمة لأنه ملك ويكتفي؟

بالطبع لا. فقد كان يوحنا مالكاً لأذن حساسة لصوت الله وتعليماته وتوجيهاته وتحذيراته وكان كأداة في يد الرب ينفذ كل ما يأمره به الرب دون أن يهاب إنسان إذ أنه كان كالسيف في كل كلامه. وكان شعاره في الحياة يطاع الله أكثر من الناس. فقد كانت كلماته صاروخية نفذت إلى صدر هيرودس بقوه إذ قال له "لا يحل لك أن تأخذ هيروديا زوجة لك".

- علمنا ماذا تريد منا يا رب أن نفعل؟

نحن نحتاج أن نتعلم هذا المبدأ من يوحنا المعمدان أن تكون لنا الأذن الحساسة المصغية المطيعة لصوت الله فنقول له دائماً وأبداً وأمام كل المواقف التي تواجهنا ما قاله بولس الرسول في قصة تجديده "يارب ماذا تريد أن أفعل" (أع ٩ : ٦) ونقول له ما قاله صموئيل "تكلم يا رب لأن عبدك سامع" (١صم ٣ : ١٠).

ينبغي أن يطاع الله في حياتنا أكثر من الناس

وقف الرسل أمام رؤساء الكهنة وقادة جند الهيكل وسجنوهم عندما وجدوهم يعلموا برسالة المسيح وقالوا لهم عن طريق رئيس الكهنة أما أوصيناكم أن لا تعلّموا بهذا الاسم أنتم ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه" (أع ٥: ٢٨ـ٣٢).

علينا أن نتكلم بالحق دون خوف أو محاباة أو مجاملة

تتشابه شخصية يوحنا المعمدان تشابهاً كبيراً جداً مع شخصية أخرى سابقة لها هي شخصية إيليا الذي دافع عن الحق في مواجهة أخاب الملك وخاصة في قضية قتل الرجل التقي نابوت اليزرعيلي فقال له بكل قوه ودون أي محاباة ولا خوف ولا مجاملة "هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضاً في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً وقال له قد وجدتك لأنك بعت نفسك لعمل الشر في عيني الرب هانذا أجلب عليك شراً وأبيد نسلك واقطع لأخاب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق في إسرائيل". ثم تكلم عن إيزابل زوجة الملك الشريرة صاحبة المؤامرات الشريرة والمكائد اللعينة التي افترت على رجل فقير تقي لتضيف جزءاً إلى أملاك زوجها. للتنعم والترفيه فقال عنها "أن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل من مات لأخاب في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء" (١مل ٢١).

علينا أن نحذر ونوبخ على الخطية بكل حكمة وشجاعة

واجه ناثان النبي داود الملك بكل شجاعة موبخاً ومحذراً إياه على خطيته التي كان قد سقط فيها وكلمه بكلام الحق الذي أعطاه إياه له الله دون تغيير أو تلوين فيه. دون إضافة أو حذف وكلمه بكل قوه. فكان كلامه كسهم مبري اخترق قلب داود. فالرب كان قد أعطى داود كل مشتهاة من غنى وكرامة ونساء وسراري. لكن داود كان قد أعطى فرصة للشيطان ليسقطه في الخطية. وبالفعل سقط داود الملك في خطيتي الزنى والقتل فزال عنه سلامه وتزعزعت أسس مملكته، وغضب الله عليه، وأعطى فرصة لأعدائه ليجدفوا عليه ويعيرونه. وأرسل له ناثان النبي وقال له "أنت هو الرجل" أي أنت الرجل المخطئ. فقد يكون في المملكة من جامل الملك وربما يكون هناك من قال له مبروك للزوجة الجديدة. وهنئه كثيراً لكي يرضى عليه لكن ناثان النبي كلمه بكلام الله القوي الموجه دون لف أو دوران.

الطاعة لكلام الله تنقذنا من النيران الشديدة

دُبرت مكيدة للفتية الثلاثة من أعدائهم، عندما ابلغوا الملك بأن الفتيه الذين هم من مملكة يهوذا لم يسجدوا لتمثال الذهب الذي أقامه. وعندما وصل الأمر أمام الملك لم يخافوه بل واجهوه بكل قوه باعتباره إنسان يستطيع أن يقتل الجسد فقط. لكنهم كانوا يخافون من الذي له سلطان على الروح وعلى الجسد أيضاً.

وقالوا له يا نبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك إننا لا نعبد الهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته". والإله الذي كانوا يعبدونه ويخافونه واتكلوا عليه استطاع أن ينجيهم من أتون النار المحمى سبعة أضعاف (دانيال ٣). نعم إنهم أطاعوا الله اكثر من الملك، لأن طاعة الملك كانت تتعارض مع طاعة الله. لذا يقدم لنا الرسول بولس نصيحة هامة جداً في هذا الشأن بقوله "أفاستعطف الآن الناس أم الله؟ أم أطلب أن أرضي الناس؟ فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح" (غل ١ : ١٠).

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ:

هل تعتبر هذه الرسالة رسالة شخصية مرسلة من الله إليك شخصياً، يريد أن يخاطبك ويبقظ ضميرك من خلالها لتعيش أميناً له؟ لذا يريد منك:

١- أن تكون حياتك رسالة مؤثرة في الآخرين في المجتمع الذي تعيش فيه "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات". لا تضع نفسك في عزلة عن **مجتمعك** بل كن نوراً يضيء لمن حولك. كن صاحب رسالة مؤثرة في الآخرين يفوح من حولك عبير الحب لهم . كن صاحب رسالة سلام في حياة من حولك، لأنه بسلام بلدك يكون لك السلام.

٢- كن صاحب مبادئ نبيلة في حياتك، فمهما تتغير الظروف وتتبدل الأحوال من حولك فأثبت على مبادئك كمن يقف على صخر. وثق أن صاحب الرسالة الحية والمبادئ العظيمة لن يموت أبداً، فرسالته تبقى من بعده كبصمات محفورة داخل الآخرين. وثق أن مبادئك النبيلة التي تعيشها ويراها الناس فيك هي أقوي بكثير من تعاليمك وعظاتك لهم.

(٣) كن صاحب أذن صاغية لصوت إلهك. قل له دائماً "ماذا تريد يا رب أن أفعل؟". فقد وعد أنه بروحه سيرشدك إذ قال "أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها". تكلم بالحق دون خوف أو مجاملة أو محاباة وأجعل شعارك دائماً "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس".


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
قصة
حب

نقف الآن أمام قضية من أغرب وأعجب قضايا التاريخ كله على مر العصور. هذه القضية يحكيها لنا الوحي الإلهي في سفر هوشع وهى تختص بقصة زواج هوشع من امرأة زانية حسب أمر الرب له. فقد قال له الرب "أذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت تاركة الرب" (هو ١ : ٢).

سُجلت أحداث هذه القصة في القرن الثامن قبل الميلاد بين هوشع بن بئيرى وبين جومر بنت دبلايم. وقد رسمت قصة زواج هوشع الخطوط العريضة لنبواته. وأضفت على سفره لوناً خاصاً وطابعاً مميزاً.

مأساة أليمة ومعجزة عظيمة

يكشف لنا سفر هوشع عن مأساة أليمة نجدها في الجزء الأول من السفر وهى كثيراً ما تحدث إلا وهى خيانة الزوجة جومر بنت دبلايم لزوجها كما أننا نرى في الجزء الثاني من السفر معجزة عظيمة تتضح في عودة الشاردة المارِدة بعد سقطتها. والحقيقة أن خيانة الزوجة لعهود الزواج هي كارثة ومأساة لا تطاق على الإطلاق. فيكشف لنا السفر أنه رغم شناعة موقف الزوجة إلا أن الزوج هوشع يغفر لزوجته سقطتها هذه معجزة أكبر من أن يتخيلها عقل بشرى مهما وصل الحب والتسامح والوفاء في حياة أي إنسان.

أراء متعددة بين الحقيقة والخيال في قضية هوشع

لقد أذهلت هذه القصة عدداً غفيراً من المفسرين وأتعبتهم كما أنها حيرت الغالبية العظمى من العلماء واللاهوتيين بل وأفزعتهم. وهناك تقريباً خمسة آراء بشأنها:

<u>الرأي الأول</u>: يقول أن هذه القصة هي مجرد رؤيا أي حلم لكنه لم يحدث بعد ذلك. وهذا الرأي خرج بالمشكلة إلى إطار خيالي.

الرأي الثاني: يقول أن هذه القصة في حقيقتها هي مجرد مثل له مغزى ومعنى فهي ليست قصة حقيقية ولكن الله يريد أن يعلّم الشعب منها درس معين كالأمثال التي كان يعلّمها السيد المسيح للناس مثل أمثال الابن الضال والسامري الصالح والزارع الذي خرج ليزرع والدرهم المفقود وغيرها. وأصحاب هذا الرأي يقولون أن الله لا يرضى بزواج الزنى والناموس يحرّم ذلك مطلقاً. وهذا الرأي خرج أيضاً بالمشكلة إلى إطار أسطوري.

الرأي الثالث: يقول أن هذه القصة حدثت فعلاً لحكمة إلهية معينة وهي إعطاء درس عملي للبشر في محبة الله وقبوله للخاطئ التائب مهما كانت خطيئته.

الرأي الرابع: يقول أن هذه القصة حدثت بالفعل ولكن خيانة الزوجة لزوجها حدثت بعد الزواج ولذا لقبها الله بامرأة زنى ولم يحرم النبي في بداية حياته من قضاء أيام سعيدة مباركة مع زوجته ولم يكن يعرف شيئاً عن الشيطان الكامن المستتر في قلبها.

الرأي الخامس: يقول أن النبي تزوج مرتين فالزوجة المذكورة في الإصحاح الثالث غير الزوجة المذكورة في الإصحاح الأول لكن من الواضح أن النبي تزوج مرة واحدة. من امرأة واحدة. والزوجة المذكورة في الإصحاحِ الثالث هي نفس الزوجة المذكورة في الإصحاح الأول ولكن القصة تُروىَ في الإصحاح الأول بصيغة الغائب أما في الإصحاح الثالث فهي تروى بصيغة المتكلم.

وأي كان الرأي الصواب الذي نستريح إليه من هذه الآراء السابقة إلا أن هذه القصة يسجلها لنا الوحي الإلهي كقصة رمزية توضح العلاقة بين الله وبين شعبه. وفيها نموذجاً رائعاً لحب الله لعذراء إسرائيل هذه العذراء التي تحولت عن الله وخانته بالزنى الروحي مع آلهة أخرى.

الخطية تجرح قلب الله المحب

قال أحد المفسرين تعبير رائع "إن كلمات هوشع كانت دموعاً أكثر منها كلمات فالجرح العميق الذي أصاب قلب هوشع علمه أن يفهم معنى الجرح

العميق في قلب الله". ومحبته لزوجته الخائنة رغم إثمها وشرها دربته على أن يدرك إلى أي حد أثام وشرور وزنى أمه إسرائيل لم تستطيع أن تلغى أو تفقد أو تنقص محبة الله لها وهكذا محبة الله لكل خاطئ رغم كراهيته للخطية.

وهذه القصة تكشف لنا عن عده أمور هامة هي:

١- الخطية في شناعتها وما تفعله في الإنسان من تدمير لحياته.

٢- الخطية لا علاج لها إلا بالتوبة الفعلية والرجوع إلى الله.

٣- كما تكشف لنا القصة عن المحبة الغير عادية فبعد كل ما فعلته الزوجة إلا إن الزوج يبحث عنها ليس فقط لقبولها لكنه هو يبحث عنها ليشتريها وهنا نرى أن القصة تعلمنا درساً ثلاثياً في ثلاثة جوانب نتناولها بالتفصيل وهى الخطية في شناعتها، التوبة في ضرورتها، المحبة في قوتها.

أولاً: الخطية في شناعتها

هذه القصة هي أسطع دليل وأصدق برهان على أن الخطية تدمر حياة الإنسان وتصل به من القمة إلى الحضيض. فهنا نرى الزوجة أخطأت وخانت عهود الزواج وباعت نفسها للأثم كسلعة لا قيمة لها. وقد ولد لهوشع من جومر ثلاثة أطفال أطلق عليهم أسماء رمزية تحمل معنى الوعيد والإنذار للزوجة بصورة خاصة وللشعب بصورة عامة. فالطفل الأول يزرعيل ومعناه الله يزرع ويحمل الاسم معنى عقاب الله وإبادته لبيت إسرائيل. ثم الطفلة الثانية اسمها لورحامة بمعنى لا رحمة لكم وهذا ما قاله الرب في (هو ١ : ٦) ثم حبلت أيضاً وولدت بنتاً فقال له أدع اسمها لورحامه لأني لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضاً بل انزعهم نزعاً. والطفل الثالث لوعميّ ومعناه لستم شعبي.

الخطية تجلب العار على اسم الله

وبالتأكيد أن هذه الزوجة بسلوكها المشين هذا وتصرفاتها غير اللائقة الفظيعة هذه اجلبت العار على زوجها وأصبح هزء الناس وسخريتهم وموضوع تسليتهم. وهكذا نحن بخطيتنا وسلوكياتنا المشينة وبعدنا عن الرب نحن نجلب العار على اسم الرب الذي ننسب إليه ودعى اسمه علينا.

هذا ما فعله بعض تلاميذ المسيح الذين كانوا أسفل الجبل عندما تركهم السيد وصعد إلى جبل التجلي مع بعضهم الأخر . وعندما جاء إليهم رجل بابنه الذي كان يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء وبأتكالهم على ذواتهم وكبريائهم وأنانيتهم ونسيانهم لسلطان يسوع الممنوح لهم فشلوا وأعطوا الفرصة للكتبة والفريسيين أن يشمتوا فيهم ويروا صورة غير لائقة ليسوع من خلالهم واجلبوا العار على اسم يسوع

ويسوع برئ من تصرفاتهم هذه. لذلك أعطاهم السيد درساً عظيماً بعدما شفى الغلام وانفرد بهم (مت ١٧: ١٤-٢١، مر ٩: ١٤-٢٩، لو ٩ : ٣٧-٤٣).

وفى ليلة ليلاء عاد النبي هوشع لبيته ليجد أولاده يتألمون بمفردهم والأم قد تركتهم وهجرتهم طوعاً لنداء الجسد وإشباعاً لدافع أثيم وانحدرت إلى قاع الإثم وانقطعت كل أخبارها وباعت نفسها كسلعة رخيصة لكن الزوج بدأ يبحث عنها إلى أن وجدها في السوق تباع كسلعة كان لا قيمة لها.

الخطية نهايتها الدمار الشامل

عزيزي القارئ هنا نقف وقفة نتأمل فيها معاً فيما تفعله الخطية في الإنسان فهي تصل به إلى مرحلة الدمار الشامل. أنها تنزل به من القمة إلى الحضيض. إنها تشوهه وتجوعه وتعريه وتذله. نعم فمن يفعل الخطية هو عبد للخطية. وقد وصفها الكتاب المقدس بصفة مشتقة منها إذ قال عنها الخطية خاطئة جداً. وقال الرسول بولس في (رو ٧ : ١١) الخطية خدعتني وقتلتني فالخطية فعلاً كلها خداع.

سُئل مهندس وطبيب ومحام عن رأيهم في الخطية، فأجابوا كما يلي قال المهندس الخطية دمار هائل، وقال الطبيب الخطية مرض فظيع، وقال المحامي الخطية تعد على القانون.

والخطية في خداعها توهم الإنسان أنها ستسعده وتملأه بالبهجة والسرور وتجعله يشتاق إليها ويتهافت عليها لكن في النهاية يجد نفسه ازداد عطشاً وجوعاً وفراغاً.

كما يقول ابن المقفع كشارب الماء المالح كلما أزداد شراباً كلما أزداد عطشاً.

الخطية قرص عسل في طعمها وحية في لسعتها

حكى أحد الأشخاص قصة قال فيها أنى رأيت سيدة تمسك في يدها اليسرى بيضة شهية مقدمة إياها لقطة كانت معروفة بشغفها بأكل البيض بدرجة أنها كانت تقيم الفراخ من مرابضها لتأكل ما تحتها من البيض الطازج ولقد حسبت أن القطة ستندفع إلى البيضة الممدودة لها.. بل خشيت أنها ستلتهم معها جزءاً من يد المرأة... ولكن لدهشتي رأيت القطة تتردد كثيراً جداً كانت تخطو إلى الأمام خطوه ثم تعود إلى الخلف خطوتين.. وأردت أن أستجلي ما أغلق على ذهني فاقتربت كثيراً... وأخيراً اكتشفت ما كانت القطة قد سبقت أن اكتشفته.. اكتشفت أن القطة لم تتقدم لتأخذ البيضة المقدمة لها باليد اليسرى لأنها نظرت إلى الناحية الثانية إلى اليد اليمنى. كانت في الناحية الواحدة بيضة وفى الناحية الثانية عصا.. وكانت القطة حكيمة لأنها نظرت إلى الناحية الثانية.. ونحن نحتاج لحكمة القطة فننظر للناحية الثانية للخطية يقول الحكيم سليمان محذراً من الناحية الثانية للخطية "لا تنظر إلى الخمر إذا أحمرّت حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة. في الأخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان" (أم ٢٣ : ٣١، ٣٢). ففي البداية يقدم عدو الخير الخطية للإنسان في صورة قرص من العسل يتلذذ بحلاوته ولكن في النهاية تلدغه كالافعوان.

قرأت عن أسطورة تحكى عن رجل هرب من الأسد فنزل في بئر رأى في قاعها تنيناً فوقف على إحدى درجات الحائط وتعلق بغصنين من شجرة هناك وأبصر الرجل شيئاً من شهد العسل إلى جانبه.. ولكن فأرين أحدهما أسود والأخر أبيض كانا يقرضان فرعى الشجرة على الجانب الأخر على أن الرجل أنشغل بالجانب الواحد فجعل يأكل من العسل مغفلاً تمام الإغفال الجانب الأخر إلى أن سقط ونحن هل ننتبه إلى عاقبة الخطية؟

الخطية كل قتلاها أقوياء

ماذا فعلت الخطية في شمشون الإنسان العظيم الذي كان يملك قوة إلهية عظيمة؟ نظير سعادة وقتية دمرت حياته إذ أنه:

١- فقد الرب: عن طريق فقده الشعر الذي كان فيه المعاهدة مع الله وقد انتفض على حجر دليلة ولم يعلم أن الرب فارقه إذ أنه مد يده لرأسه فوجدها زلحاء.

٢- فقد القوة: زمجر الأسد في البداية وتحداه وشقه كشق الجدي لكنه بعد ذلك فقد هذه القوة لأنها كانت مرتبطة بشركته وعلاقته مع الله وخسر شمشون شهرته كبطل للعصور كلها.

٣- فقد البصر والبصيرة: فقلع الفلسطينيون عينيه وصرخ صراخاً مراً. وأذلوه داخل معبدهم. نعم الخطية تقتل كل رؤية صحيحة صالحة عند الإنسان.

٤- فقد الحرية إذ أنه ربط بسلاسل نحاس وقادوه إلى بيت السجن ولم يكن يعلم أن هذه السلاسل من النحاس. أعتقد في بداية الأمر كأنها من حرير.

٥- فقد المركز: فقد هوى من المجد إلى الحضيض من قائد الأمة إلى الطحن في بيت السجن. إلى أحط عمل كان في ذلك الوقت الذي كان يكلف به المجرمين والعبيد والإماء. أي عار أقسى من هذا العار؟ نعم هذا ما تفعله الخطية في الإنسان. قال عنها سليمان الحكيم "لأنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء" (أم ٧: ٢٦) وقال أيضاً "البر يرفع شأن الأمة أما عار الشعوب الخطية" (أم ١٤: ٣٤).

ماذا فعلت الخطية في الابن الضال (لو ١٥) وإلى أي مرحلة وصلت به؟ لقد وصلت به إلى الجوع.. العمى.. الذل.. المهانة.. الاستعباد.. الخ.

ماذا فعلت الخطية في أبوينا آدم وحواء؟ لقد كانت نتيجتها أنهما تحملا قصاص الله ثمناً لها (تك ٤) انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ع ٧ "قال الرب للمرأة (حواء) تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك. وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك٣ : ١٦-١٩).

الخطية الكبيرة تبدأ بصغائر الأمور

ماذا فعلت الخطية في عخان بن كرمى كما هو وارد عنها في (يـش ٧)؟ إنها خدعته وأغرته وأعتقد أن الثروة ستملأ بيته وتريحه سنين عديدة وستكون ميراثاً لبنيه وبنى بنيه لكن للأسف - كانت النتيجة مؤلمة واضحة في كسـرة إسرائيل وفى خزيه هو أمام الجمهور وفى موته مرجوماً هو وأولاده.

يعوزنا الوقت الطويل جداً لكي نتكلم عن شـناعة الخطيـة وبشـاعتها ومفعولها الشديد في تدمير الإنسان الذي يستسلم لها أو يلتصق بـها أو يتلـذذ بحلاوتها.

الخطية ميكروب سريع الانتشار

ماذا فعلت الخطية في داود القائد البطل العظيم الذي شهد له الـرب ذاتـه قائلاً "وجدت داود بن يس رجلاً حسب قلبي الذي سيصنع كل مشـيئتي" (أع ١٣ : ٢٢). جاءته الخطية بطعمها الحلو اللذيذ وبريق لمعانها وإغراءهـا فأسـقطته السقطة الكبرى بل كانت وصمة عاره الكبرى التي هوى فيها مـن القمـة إلـى القاع. وقد حرص الكتاب المقدس على تدوين القصة بكـل بشـاعتها ولوثتـها وخستها لكي تبقى مدى الأجيال عظة للأقوياء قبل الضعفـاء. وللجبـابرة قبـل العاديين وللذين يأخذون المراكز العظمى في الصفوف الأولى قبل الذين هـم في أواخر الصفوف. أنه لا توجد في الإنسان مناعة ضد ميكـروب الخطيـة. وأن جراثيمها يمكن أن تتكاثر وتسقط أعظم الأبطال. لولا رحمة الله ونعمته الحافظة.

والخطية لم تكن مجرد حدث وانتهى الأمر فهي تجر فـي ذيلـها دائمـاً خطايا كثيرة متعددة أشنع وأرهب. وطريقها دائماً منزلق يسقط القديس الجالس على القمة إلى المنحدر الرهيب.. والتستر على الخطية يضيف إليـها خطايـا أخرى متعددة كالكذب والغدر والنفاق والقسوة والكبرياء والرياء.. الخ.

الخطية تصل بالإنسان من القمة إلى الحضيض

إن أروع الصور الموجودة في بيوتنا ونراها في بعض الكنائس هي لوحة العشاء الرباني التي يعتبرها العالم مفخرة الصور الدينية. هذه الصورة أبدعتها يد الفنان المصور الإيطالي المشهور ليونارد دافنشي. عندما قام برسـم هـذه

اللوحة وفى أثناء عمله فيها وصل إلى صورة المسيح لكي يرسمها فــأراد أن يبحث عن أجمل إنسان ويأخذ له لقطه ويرسم عليها. وبحث كثيراً حتى وجـد ضالته المنشودة شخص اسمه بدروباند وصوره وأخذ صورته ورسـم عليـها صورة المسيح وبدأ يكمل لوحتـه النفيسـة فوصـل إلـى صـورة يـهوذا الاسخريوطى فبدأ يبحث عن شخص أخر يأخذ له صورة تتناسب مـع يـهوذا الخائن لسيده واستمر في البحث حتى وصل إلى شخص ملقى علـى الأرض شكله قبيح مهلهل جائع وهلكان وتعبان وشعره طويل ومشوه وملئ بالأتربـة والعرق وطلب أن يأخذ له لقطه فسأله الشخص قائلاً لماذا تريد أن تصورني يا سيدي مرة ثانيه وأنا أذكر أنك منذ سنين أخذت لي صوره فسأله المصور مـا اسمك قال بدرو باند فتعجب كثيراً المصور وسأله عن ما أوصله لهذه الصورة أجاب وقال له الخطية. نعم الخطية نقلته من أجمل صورة إلى أقبح صـورة. إذن علينا أن نحترس ومن يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط.

ثانياً: التوبة في ضرورتها

تكشف لنا قصة هوشع مع جومر أمراً أخر من أهم الأمور فـي حيـاة الإنسان وهو الضرورة الملحة للتوبة وأن لا خلاص للإنسـان الخـاطئ ولا علاج لحالته الشقية إلا بالتوبة والرجوع إلى الله. فهنا نرى هوشع بعدما بحث عن زوجته ووجدها في السوق فاشتراها كما يقول في (هو ٣ : ٢). "فاشتريتها لنفسي بخمسة عشر شاقل فضة وبجومر ولثك شعير". وكانت النتيجـة هـي رجوعها مرة أخرى عن طريقها الخاطئ. هل كان هناك أي عـلاج لحالتـها وهى في مكانها في حاله الخطية دون استردادها؟ نعم لا يوجد علاج أخر غير الرجوع والتوبة وبداية صفحة جديدة مع الزوج.

عزيزي القارئ إن المسيح اشترانا هكذا ونحن في فُجرنا واثامنا ودفع لنا ثمناً غالياً يقول عنه الرسول بطرس "عالمين أنكم اُفتديتم لا بأشياء تفنى بفضـة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الأباء بل بدم كريم كمـا مـن حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (١بط ١ : ١٨، ١٩). والذي دفع الثمـن دائماً يقرع على أبواب قلوبنا قائلاً "هانذا واقف على الباب وأقرع أن سمع أحد

صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي" (رؤ٣ : ٢٠) وكلمة الرب تؤكد لنا أنه لا علاج أخر من الخطية إلا بالرجوع والتوبة للرب ففي كلام السيد المسيح للقوم الجليليين الذين يتحاورون معه قال لهم ".. أن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣: ٥).

الخطية لا يمكن علاجها بوسائل التربية الحديثة

الرسول بولس في حديثه في (أف ٢ : ١) وقوله "وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا.." هو يكشف لنا عن حقيقة هامة جداً وهى الحالة التي توصل بها الخطية الإنسان فهي تصل به إلى الموت الروحي والموت هو حالة العجز الكامل. والميت لا يستطيع أن يفعل شيئاً لنفسه. كما لا يستطيع أن يفعل شيئاً لغيره. فهذه حقيقة هامة وجوهرية علينا أن نتأكد منها تماماً. أن الخلاص بدم المسيح والإنسان ما عليه إلا أن يأتي نادماً تائباً أمام الرب متجاوباً مع عمل روح الله فيه.

فلو كانت الخطية مجرد أخطاء يرتكبها الإنسان لكان من الممكن أن يعالجها الإنسان بالتربية والتقويم والتهذيب ولكن الخطية هي فساد متأصل في نفس الإنسان لا يمكن لجميع وسائل التهذيب والتربية والعلوم والأخلاق والأدب أن تزيلها.

الخطية لا يمكن علاجها بالعلم أو الطب النفسي الحديث

لو كانت الخطية مجرد أوهام أو إحساس بالذنب لكان من الممكن أن نعالجها بالطب النفسي والتبصير والاستنارة. ولو كانت الخطية مجرد جهل بالحياة الصالحة لكان العلم هو طريق الخلاص ولكن الحقيقة أنه مهما زادت العلوم تقدماً فإنها لا تقلل من انتشار الخطية. ولو كانت الخطية عجزاً وضعياً إنسانياً فحسب لكان من الممكن اتباع بعض وسائل التدريب على ضبط النفس وقوة الإرادة والتعليم والتبصر. والعلماء لا يمكنهم أبداً أن يقدموا للإنسان طريقاً للخلاص. لا يمكن أن ننسى أبداً أن أجرة الخطية هي موت والعلاج هو إحياء من جديد للإنسان وهذا الدور لا يمكن أن يتم بعيداً عن المسيح فدم يسوع المسيح يطهر من كل خطية. وما على الإنسان إلا أن يأتي نادماً معترفاً

تائباً للرب بخطاياه وإن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل أثم" (ايو ١ : ٩) .

صوت الله دائماً يناديك فهل تستجيب؟

إن قصة رجوع جومر وتوبتها تذكرنا بقصة الفتاه التي كانت تقف على زاوية الطريق وعيناها تدوران في كل اتجاه. كأنما تنتظر شخصاً قد تأخر عن موعده معها. وكانت بين الحين والأخر تنظر في قلق شديد للساعة وهى تتسأل لماذا تأخر؟ وقد اتفقا على الذهاب إلى مطعم فاخر لتناول العشاء. وبعد ذلك يذهبان إلى مسرح لمشاهدة إحدى المسرحيات ثم يتحولان إلى النادي ليبقيا هناك ساعات متأخرة من الليل في سهرة وسط جو من الخلاعة والفجور.. وبينما هي في موقفها طرق سمعها موسيقى آتيه من مكان قريب تطلق لحناً جميلاً كانت قد سمعته وهى في حفلة مع أمها وهى صبية صغيرة. فاندفعت بالحنين القديم إلى مصدر الموسيقى لتجد نفسها أمام باب مفتوح وعلى جانبيه لافتتان واحدة مكتوب عليها "يسوع يخلص" والثانية مكتوب عليها "أين تقضى الأبدية وكان اللحن القديم هو الترنيمة المعروفة التي نرنمها من كتاب نظم المزامير رقم ٤٠٥ وكلماتها تقول "يا رب أقرب.. إليك أقرب وأرغب.." وإذ عادت بذاكرتها إلى الحياة الآثمة التي كانت تحياه وكيف يمكن أن تتخلص منها. سمعت الترنيمة الأخرى التي مطلعها "كما أنا آتى إلى فادى الورى مستعجلاً" ثم بعد ذلك قال الراعي في أثناء عظته" في هذا المساء أنا مرشد من روح الله بأنه يوجد هنا إنسان خاطئ مريض بحب العالم. خاطئ يحتاج إلى مساعدة الصديق الحقيقي الرب يسوع نعم يوجد شخص على شاطئ الهاوية ويكاد ينزلق إليها يوجد شخص قد ختم الشيطان قلبه ببصماته النارية. إنني أنادى هذا الشخص أن يسوع مستعد أن يُطهر قلبه بنفسه ويترك بصماته اللطيفة عليه وهو إن استطاع أن يسمع يسوع يقرع على باب قلبه فهل يفتح ويأتي قبل فوات الأوان.. اهتزت الفتاه من الأعماق وركعت بين يدي الله لتعترف بخطاياها وتتحول تماماً عن الطريق القديم إلى الحياة الجديدة الأخرى.. وقد أسعدها وأبهج قلبها عند الخروج من المكان أن ترى صديقها

التي كانت تنتظره وقد استبطأها عندما جاء ولم يجدها، فدخل ليعمل فيه روح الله بنفس التأثير. ويخرج إنسانا جديدا نعم أنها النعمة العظيمة القديمة التي تعمل في كل العصور والأجيال.

التوبة جوهر موضوعات الكتاب المقدس

إن التوبة من أهم الموضوعات الهامة التي يركز ويشدد عليها الكتاب المقدس بعهديه. فمنذ آلاف السنين قال النبي إشعياء "اطلبوا الرب ما دام يوجد، أدعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الآثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران" (أش ٥٥ : ٦ ، ٧).

وبعده بقرابة سبع مائه سنة جاء أعظم المولوديين من النساء يوحنا المعمدان قائلا "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (مت ٣ : ٢).

أفتتح السيد المسيح خدمته الجهارية بقوله "توبوا وأمنوا بالإنجيل" (مر ١ : ١٥). وبعد ذلك تكلم في مرات عديدة عن ضرورة التوبة. ثم أقتدي به التلاميذ والرسل مشددين على التوبة والرجوع إلى الله من كل القلب فمن ضمن التلاميذ بطرس الذي يقول "إن الله لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (٢بط ٣ : ٩).

قال أحد الخدام في إحدى عظاته "زارني مرة في منزلي إنسان هو بقايا حياة محطمة. وقد كان فيما مضى محررا لجريدة يومية من أمهات الجرائد. وكان شعلة نبوغ بل مجموعة من المواهب الفذة. وكانت قصته مدعاة للأسف لأن الميسر والخمور والفجور تسربت إليه شيئا فشيئا حتى أصبح حطاما من حياة في جحيم.. لم يكن في إمكاني أن أنصحه بان يسترجع عزمه كرجل إذ لم يكن له أي عزم أو رجولة. لأنه كان مستعبدا استعبادا كليا للمسكرات والفساد.. وكان لدى إنجيل رجاء وبشارة خلاص له فعرفته أن أمامه إمكانية عظيمة هي الولادة الجديدة. وبذلك ممكن أن يكون شريكا للطبيعة الإلهية بل ابنا وارثا لله. فخر على ركبتيه راكعا تائبا وابتدأ يصرخ "يا إلهي أشرير مثلى يمكن أن يكون ابنا لك. هل تقبلني إذا رجعت إليك ثم سكب قلبه مسلما حياته للمسيح.. ولن أنسى التجلي الذي لمع به وجهه ولن أنسى الهدوء والفرح الذي تناول حياته وهو يرفع رأسه ويده ويقول الحمد لله.. لقد أصبحت ابنا لله.. لقد صرت ابنا لله".

اعتبارات هامة عن التوبة

عزيزي القارئ هناك عدة اعتبارات هامة جداً خاصة بالتوبة ومن المهم أن يعلمها كل إنسان وهى تستدعى التوبة سريعاً وتسليم الحياة للرب لكل بعيد عنه وهذه الاعتبارات هي:

١- **التوبة أمر إلهي:** ففي حديث الرسول بولس مع الفلاسفة اليونانيين واتباعهم قال لهم "الله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل" (أع ١٧: ٣٠) كما إن هذا الأمر الإلهي يتضح من كلام المسيح مع القوم الجليليين إذ قال لهم "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣ : ٥).

٢- **لطف الله يقتاد الإنسان للتوبة:** فعندما نقول أن الله يأمر بالتوبة فهذا لا يعنى أن الله يُرغم الإنسان عليها. فأمر قبولها أو رفضها متروك للإنسان نفسه لكن الله من جانبه ينصحنا بالعمل بأمره لخيرنا. وهذه الحقيقة التي أشار إليها الرسول بولس في كلامه قائلاً "إن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو٢ : ٤) ثم يستكمل كلامه للعصاة الذين يصرون أن يوصدوا قلوبهم أمام لطف الله فيقول "ولكن من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو ٢ : ٥).

٣- **التوبة تحمل معها بركة الغفران:** فالرسول بطرس وهو يعظ في سفر الأعمال أكد على ذلك في قوله "توبوا لتمحى خطاياكم" (أع ٣ : ١٩) فلا غفران للخطية إلا بعد التوبة.

٤- **التوبة ترافق الإيمان:** أي لا إيمان بدون توبة ولا توبة بدون إيمان فإذا فصل أحدهما عن الأخر أصبح ميتاً لا حياة فيه.

٥- **التوبة لا تعنى مجرد الندم** على الخطية فيهوذا الأسخريوطى ندم على فعلته لكنه مضى وشنق نفسه لكن التوبة حياة مستمرة وسلوك متغير. ورجوع حقيقي للرب. كما يقول الرب "... أرجعوا إلى ارجع إليكم قال رب الجنود " (مل ٣ : ٧) "توبوا وأرجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتى أوقات الفرج من وجه الرب" (أع ٣ : ١٩).

سُئل جندي مرة عن كيفية توبته واهتدائه إلى الإيمان فأجاب بأسلوب عسكري قائلاً كنت سائراً في طريق الخطية وإذا بي أسمع صوت الرب يقول لي "إلى الوراء در" فاستدرت ورجعت أمشى نحوه. ومنذ ذلك الحين وأنا إلى الأمام أسير.

٦- **التوبة تُفرّح السماء :** ففي مثل **الخروف** الضال يقول السيد المسيح في تعليقه على المثل "إن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة". (لو ١٥ : ٧) والداعي لفرح السماء هو أن النفس الخاطئة التائبة قد اختطفت من يد الشيطان وأنقذت إلى الأبد.

٧- **فرصة التوبة محددة بزمان:** في حديث السيد المسيح لملاك كنيسة ثياتيرا كان يحذر من أعمال إيزابل التي تدعى أنها نبيه تُعلِّم وتغوى الشعب فقال "وأعطيتها زماناً لكي تتوب عن زناها ولم تتب" (رؤ ٢ : ٢١). كذلك تحذير الله الذي أرسله إلى نينوى عن طريق يونان قال له الرب أن ينذر نينوى قائلاً "بعد أربعين يوماً تهلك نينوى" (يون ٣ : ٤). لكن ما حدث أن أهل نينوى تابوا إلى الرب بالمسوح والرماد قبل انقضاء المدة فرجع الله عن غضبه وعفا عن المدينة.

٨- **بعد العدم لا ينفع الندم:** فالكتاب يقول صريحاً عن عيسو أخي يعقوب أنه لم يجد للتوبة مكان مع أنه طلبها بدموع. لأن فرصة التوبة محددة بزمان فهل تأتى قبل فوات الأوان لئلا تضيع منك الفرصة مثل عيسو ومثل عروس النشيد التي لم تفتح القلب له، ولم تستجيب لنداء حبه، فتحول وعبر عنها. وبعد أن فتحت ولم تجده تقول "حبيبي تحول وعبر". أو مثل العذارى الجاهلات اللائى لم يضعن زيتاً في مصابيحهن، وعندما جاء العريس وجدهن نياماً وأغلق الباب عليهن ولم يكن هناك أي باب أخر للرجاء أو لعلاج الموقف بعد ذلك، فندمن لكن ندمهن لم ينفع شيئاً.

ثالثاً: المحبة في قوتها

توضح لنا قصة زواج هوشع من جومر أنه رغم رداءة التصرف الذي فعلته جومر مع زوجها وهجرها له وبعدها عنه وسقوطها في قاع الإثم وانحدارها إلى مهاوىء الهلاك إلا أن الزوج بقى على محبته لها وبحث عنها حتى إستردها. وقد كانت لمحبة الزوج الأثر الكبير على رجوع الزوجة. فعادت

إلى بيت الزوجية تقيم في عقر دارها تجتر حزنها وألمها على أيام كثيرة مضت من حياتها قبل ذلك وكانت لا تفهم فيها معنى التوبة والوفاء لزوجها.

الله يحبك مهما كانت خطيتك

كما يوضح لنا السفر أيضاً محبة الله بأعظم صورها وأجلى معانيها وكل قوتها لشعب إسرائيل قديماً رغم ضلالهم وبعدهم عن الرب لكن الرب يقول عنهم "أنا أشفى ارتدادهم أحبهم فضلاً لأن غضبى قد أرتد عنه" (هو ١٤ : ٤). وهذا ما عبّر عنه الحكيم في سفر النشيد قائلاً "المحبة قوية كالموت" (نش ٨ : ٦). وعبّر عنه الرسول يوحنا قائلاً "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣ : ١٦). وعبّر عنه الرسول بولس في قوله "ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥ : ٨).

وهكذا تظهر محبة الله لكل خاطئ وبعيد وضال في مواقف أخرى متعددة مثل رجوع الابن الضال بعد الترك للأب والعصيان وتبذير أمواله بعيش مسرف إلا أن الأب قبله فرحاً عند الرجوع وقد تهلل وصنع وليمة عظيمة تعبيراً عن الحب لابنه الخاطئ الراجع إليه ولسان حاله ينبغي أن نفرح لأن ابني كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد وهكذا السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة (لو ١٥).

وهكذا تظهر محبة الله في قبول شاول الطرسوسى بعد عودته إلى الله بعد حياة اضطهاد ومرار وعذاب منه لتابعي المسيح. وهكذا تظهر محبة الله في رجوع السامرية وقبولها نعمة الخلاص فتتحول من إنسان ضال يعيش في مهاوئ الهلاك إلى إنسان كارز بالمسيح. وهكذا تظهر محبة الله في رجوع زكا العشار الذي كان يأخذ أموال الفقراء والمساكين واليتامى ليأتي إلى المسيح فيقبله. وهكذا تظهر محبة الله لكل شاول ولكل سامرية ولكل زكا وغيرهم.

إن محبة الله تشبه الأم في صبرها على ضلال ابنها وهى قد لا ترى منه أدنى علامة للرجوع ولكنها تأمل أن يرجع يوماً. وتظل متمسكة بالأمل حتى لو أثبتت الأيام فشل انتظارها فيما كانت تحلم به غير إنها تنظر إليه بقلب الأم لا بما يبدو منه من خطأ أو عار ولا فيما هو عليه. بل فيما يمكن أن يكون

عليه في ضوء رغباتها وأحلامها وتظل تتعلل بالفكر أن ابنها أعلى وأعظم كثيراً مما يبدو في ظاهره ولا يمكن أن تسلّم إلى النهاية بشره. وبطله وضلاله وإلا تكون قد فقدت قلب الأم وحنانها. هكذا الله أبونا السماوي يمسك بنا ويتحمل كل ما يرى من مظاهر شرنا على أمل أن يرى يوماً ما أننا قد بعدنا عن الخطية وكرهناها ورجعنا تائبين إلى بيت الأب.

إن محبة الله لنا عظيمة جداً. شتان الفرق بينها وبين محبة الإنسان لأخيه الإنسان كالفرق بين الموت والحياة، وكالفرق بين الظلمة والنور، وكالفرق بين القطرة، والمحيط وكالفرق بين الشمعة والشمس. فهي لا تضاهيها محبة أخرى على الإطلاق مثل محبة الجندي لوطنه، أو محبة الممرضة لمرضاها، أو محبة الصديق لصديقه أو غير ذلك.

وقد كثرت قصص الحب المشهورة التي سمعنا عنها وقرأناها في الكتب والصحف والمجلات أمثال قيس وليلى، روميو وجوليت، شمشون ودليلة، وأنطونيو وكليوبترا وغيرهم لكن كل هذه القصص من الحب رغم ما فيها من روعة وجمال وعاطفة ومجد وتضحية لا تضاهى جزءاً يسيراً من محبة الله لنا أو تقارن بها على الإطلاق.

إن محبة الله لنا كما نراها في قصة هوشع وجومر تتصف بعده صفات واضحة هي:

١- محبة أزلية:

فلم تظهر لشعب إسرائيل في وقت هوشع فقط لكنها من قبل ذلك بكثير ظهرت لإسرائيل بمجرد أن ظهر إسرائيل على الأرض وعلى الأخص عندما كان غلاماً صغيراً عاجزاً في أرض مصر. فانحنت عليه المحبة انحناء الأب على ابنه وأمسكت به في عجزه وقصوره وأخرجته من ارض مصر. بل سارت معه المحبة سيراً رفيقاً هادئاً تدرجه وتدربه على تمشى وترفعه إذا سقط وتشفى جراحه وترفع عنه النير عندما تثقل عليه الأحمال وتتولى رعايته وأطعامه وتعليمه مع أنه كان يتجه بقلبه مرات كثيرة نحو البعليم فيذهب إليها وينحني لتماثيلها المنحوتة ولكن ذلك كله لم ينتزع المحبة العظيمة نحوه. فتاريخ محبة الله لنا سابق لوجودنا ومعرفتنا وإدراكنا ولا يعاملنا بحسب نقصنا وعجزنا وقصورنا وضعفنا.

٢- محبة عميقة:

يخبر عنها الرسول بولس قائلاً "وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق العلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف ٣ : ١٨،١٩). إنها محبة لا يمكن أن نصل لحدود معينة لها.

وقف على أحد التلال شاب إنجليزي مع أبيه وكان الأب يحدثه عن محبة الله لنا كبشر ونظر الأب شمالاً وأشار إلى إسكتلندا وجنوباً وأشار إلى إنجلترا وشرقاً وأشار إلى ألمانيا وغرباً وأشار إلى التلال والمحيط الواسع خلفها وقال للابن إن محبة الله يا ابني متسعة مثل هذه الجهات البعيدة فعلق الابن على كلام الأب قائلاً إذاً يا أبى نحن الآن في وسطها فقال له نعم.

إن إسرائيل للأسف تجاهل هذه المحبة وتعامى عن تاريخها. وسار في طريقه الخاطئ حتى أضحى مثل سدوم وعموره وأدمه وصبويم المدن التي قلبها الله لشرها ومع أن صوت العدالة كان يطالب بإبادته والقضاء عليه لكن صوتاً أخر عميقاً في قلب الله كان يقول كلا "لا أجرى حمو غضبى لا أعود أضرب أفرايم لأني الله لا إنسان، القدوس في وسطك فلا آتى بسخط" (هو ١١ : ٩). أن هذا الصوت هو صوت محبة الله. صوت الله الذي هو أكثر احتمالاً ورأفة من الإنسان. وأقل رغبة في الانتقام. بل لا تجوز المقارنة بالمرة في هذا المقام وفى غمرة هذا النزاع بين العدالة والمحبة نرى حزن الله المفعم بالود والإحسان والمشاعر. إذ يقول الرب معبراً عن محبته غير المحدودة "قد انقلب علىّ قلبي اضطرمت مراحمي جميعاً" (هو ١١ : ٨).

يذكر أحد الكتّاب قصة تُعبّر عن مدى عمق محبة الله لنا رغم شرورنا وبعدنا عنه إلا أنه لا يفقد الأمل في رجوعنا وتوبتنا إليه والقصة تقول "في إحدى دول الهند كانت هناك سيده غنية من أغنى الأسر ولها ولد شرير فاسد ضعيف العقل سفيه التصرف. ومع ذلك كانت أمه تحبه وتعتني به وقد إتهم في يوم من الأيام بالكثير من الجرائم المنكرة وحكم عليه بالموت. وقد جاهدت أمه جهاداً جباراً ليبقى ابنها حياً وعندما قالوا لها إن موته سيريحها ويعفيها من كثير من الآلام والمتاعب صاحت أليس هذا هو ولدى... فكيف أتركه..؟ دعونا

نتخيل عمق المحبة هنا إن كان صوت الحب هذا يصدر من إنسان فكم بالحري وبالأولى أن يُعبّر عن محبة الله للإنسان الخاطئ.

٣- محبة منتصرة:

قيل عن زوجة من الزوجات في إحدى المدن الأمريكية كسرت عهود الزواج. وزاغت عن الأمانة الزوجية في علاقتها بزوجها. وهربت مع شخص أخر وظلت على هذا الحال فترة من الزمن لم يلبث بعدها أن هجرها مُحِبها الأخر وتركها شريدة بائسة ضائعة وفى يوم من الأيام التقت بزوجها عرضاً فى الطريق فحاولت أن تختفي بعيداً عن عينيه خجلاً وذلاً وعاراً. ولكنه وقد أبصرها على هذه الحالة التعسة، عادت إليه ذكرى الأيام القديمة الحلوة، فصاح منادياً وأخذها إلى بيته. لكن تضايق منه أصدقاؤه ومعارفه لتصرفه هذا. وأنبوه ووبخوه كثيراً على ذلك لكن رغم كل كلامهم ومحاولاتهم بالابتعاد عنها إلا إنه سار وراء محبة الله الغامرة، فانتشل زوجته من أعماق دركات الخطية. وانتصرت المحبة في النهاية وهذا ما فعله الله مع إسرائيل قديماً إذ أحبه رغم خيانته وإثمه وأرسل له عاموس لينذره بالمصير المفجع الذي يوشك أن يتردى فيه لكن إسرائيل أعطى إذن صماء للنبي ونبوءته وجاء بعد ذلك هوشع فرأى الفوضى والقلق والاغتيال والانهيار. رأى شمس أمة إسرائيل تنحدر سريعاً نحو الغروب إلا أن هذا النبي تأمل في محبة الله العظيمة الغامرة، التي لا يمكن أن تهزمها خطية إسرائيل وإثمه وشره وأصنامه فكلم الناس عنها وبشر بها. فكان لها الأثر العظيم في رجوع الأمة إلى الله. وبهذا نراها المحبة المنتصرة.

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ

إن الله يريد أن يخاطبك أنت شخصياً من خلال هذه الرسالة التي تحمل إليك كلمة الله مدروسة ومشروحة. ويريد أن يوجهك فيها إلى عدة أمور هامة لحياتك فيما يلي:

(١) يقدم لك الرب رسالة تحذير من الخطية فأحذر خداعها وشناعتها ومرارة نتيجتها. إنها تدمر حياة الإنسان وتسقطه من القمة إلى الحضيض. أحذر من طعمها الحلو اللذيذ لأنها في الأخر تلسع كالحية وتلدغ كالإفعوان. أحذر من بريقها ولمعانها وإغرائها بأوهام كاذبة. أحذر البداية فيها بأمور صغيرة لأنها تقودك للكبيرة. فأصعب النار من مستصغر الشرر. أحذر ميكروبها فهو سريع الانتشار حاول أن تتصدى له بقوة أطلبها وأحصل عليها من الرب فالله لنا ملجأ وقوة عونا في الضيقات وجد شديداً.

(٢) هناك علاج واحد وحيد للخطية ولا يوجد غيره على الإطلاق هو الرجوع والتوبة والاعتراف بالخطية إلى الله وقبول المسيح كمخلص شخصي لحياتنا. والإيمان بعمل المسيح الكفاري وسفك دمه من أجلنا فبدون سفك دم لا تحصل مغفرة. ومن لا يستفيد من هذا العلاج يكون مصيره الهلاك الأبدي حسب قول المسيح للجليليين "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣ : ٥) لذا.

لا تفكر في علاج الخطية عن طريق العلم الحديث مهما سموت بالفكر فالعلم وحده ينفخ.

لا تفكر في علاج الخطية عن طريق الطب النفسي الحديث فالخطية نتيجتها موت والطب النفسي يُستخدم لعلاج المريض نفسياً لكنه لا يمكنه إحياؤه من جديد.

لا تفكر في علاج الخطية بالسلوك الأدبي الحميد والعيش بحياة الاستقامة والمحافظة على أنظمة المجتمع فالجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. ومهما حاولت أن تتفادى الأخطاء فالسهوات من يشعر بها.

لا تفكر في علاج الخطية بحضور برامج العبادة في الكنيسة كثيراً وحفظ السبوت والأعياد وتعشير كل أموالك وممارسة الأصوام الكثيرة فالسيد المسيح يقول صراحةً "ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات" بل أن ليس لأحد أعمال صالحة يمكن أن يتبرر بها. ومكتوب أنه ليس بار ولا واحد (رو ٣ : ١٠)

(٣) قد تعتقد في بعض الأحيان أنك مرفوض من الله نتيجة لخطيتك

وبعدك عن الله أو لسهواتك التي سقطت فيها دون عمد فهذه الرسالة تؤكد لك إن الله يكره الخطية ولكنه يحب الخاطئ مهما كانت خطيئته ودائماً ينتظر رجوعه وتوبته وقد أحبنا قبلاً دون أي استحقاق فمحبته لك قوية جداً كالموت وبلا حدود فهل تنعم بهذه المحبة.


رسالة
من
رحلة
المجوس
النبلاء
الشرفاء

صورة رائعة رسمها البشيرين في العهد الجديد تتحدى كـــل تصـــور أو تصوير ولا تقبل أي تبدل أو تحوير. فكل إضافة إليها تنقص من كمالها، وكـل حزف منها يخل بجمالها وجلالها وهى صوره تجسد رب المجد يسوع ومجيئـه إلى عالمنا في هيئة إنسانية وميلاده في مزود حقير للبقر. دعنا يـــا عزيـــزي القارئ. الآن نذهب معاً في رحلة حيث يوجد الوليد مع قافلة المجوس النبـــلاء الشرفاء فنخشع معهم ونتضع ونتعلم الدروس النافعة لحياتنا من هذه الرحلة.

لقد مالت أشعة الشمس إلى الغروب وراء أفق قرية وضيعة تدعى بيـــت لحم ، واقعة على أحد جبال فلسطين. وفى غروبها أسالت أشعتها الذهبية علـى جماعة من المسافرين إلى هذه القرية. وكان من بينهم ضيفين كريمين رجـــل اسمه يوسف تبدو على محياة سمات المهابة والوقار ومعه خطيبته وهى عذراء طهور اسمها مريم ، أشبه بفتاه ريفية بسيطة. تبدو عليـــها علامـــات الجمـــال والاتضاع والهدوء. وكانا في طريقهما إلى بيت لحم للتسجيل والإحصاء حسب أوامر الإمبراطور اوغسطس قيصر في ذلك الوقت.

وبعد فترة من سيرهما وصلا إلى بيت لحم وقد أرخـــى الليـــل عليـــهما سدوله. وتغطت البلدة بحجاب كثيف الظلام. ولم تقدم بيـــت لحـــم لضيفيـــها الكريمين واجبات الضيافة والإكرام في استقبالهما للمبيت. فـــي مكـــان لائـــق بإنسانيتهما. وربما يكون ذلك لأنهما فقيران في نظرهما.

وفى سكون الليل الرهيب وقد نام أهل قرية بيت لحم، وضعت مريم ابنها البكر في مزود للبقر. الذي كانت قد حبلت به من الروح القدس، ولم يمسســـها أي بشر. وكانت وحيده لا عيـــن تعطف عليها ولا قلب يواســـيها ويشـــجعها. فقمطته واضجعته في المزود وأسمته يسوع لان ملاكاً كان قد ظهر لها وكلمها عن ذلك من قبل.

ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجـــوس من المشرق قد جاءوا إليه. وتنوعت الآراء بشأنهم فالبعض قال أنهم ملـــوك، والبعض قال أنهم حكماء، البعض قال أن عددهم ثلاثة، وبعض أخر قـــال أن

عددهم أثنى عشر. ونحن لا يهمنا كثيراً من هم بالضبط ولا كم عددهم لكن ما يهمنا هنا هو موقفهم من يسوع وليد بيت لحم.

جاءوا إليه بعد أن قطعوا مسافات طويلة وتكبدوا متاعب كثيرة أثناء سفرهم. وعند وصولهم إلى مكانه ورأوه مع مريم خروا وسجدوا له. ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هداياهم ذهباً ولباناً ومراً.

كما أن السماء عبّرت عن فرحتها لهذه المناسبة الحلوة فأرسلت جوقة ترنيم ملائكية هتفت وأنشدت "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة (لو ٢ : ١٤). وكان ظهور هذه الجوقة الملائكية هو نور جديد لجماعة من الرعاة. أرشدهم للمجيء ليسعدوا ويفرحوا برؤية ذلك الوليد. وبالفعل ذهبوا ورأوه ثم رجعوا ومجدوا الله ونشروا خبر ميلاده في كورتهم.

هذه قصة الميلاد التي حدثت منذ قرابة ألفى عام مضت لكن السؤال الذي يقف أمامنا الآن ويلزمنا أن نفكر فيه لنجيب عليه بكل أمانة. ما هي رسالة الميلاد لواقعنا المعاصر اليوم؟ إن قصة الميلاد هي عظة وعبرة ورسالة لكل واحد فينا ولكل الأجيال أيضاً فهي:

أولاً: رسالة تدعونا أن نتقدم إلى إلهنا بروح السجود

بعدما وصل المجوس مباشرة إلى يسوع يعرفنا البشير متى أنهم اقتربوا منه وأمامه "وخروا وسجدوا له" وكان سجودهم هو:

١- أسمى أنواع السجود

فالسجود بالنسبة لهم لم يكن سهلاً ولا هيناً عليهم فهؤلاء ملوك وأشراف. نبلاء من سادة القوم ولم يكن أمامهم ملك أعظم منهم أو متساوي معهم على الأقل ليسجدوا له. لكن من كان أمامهم هو طفل صغير مولود في مزود حقير. فعندما رأوه تحركت قلوبهم وعواطفهم لأنهم أحسوا به وعرفوه أنه رب المجد المتجسد وكان سجودهم هذا يدل على قمة الاحترام والخشوع ليسوع.

إن رسالة الميلاد تدعونا نحن أن نقترب من يسوع أكثر ونسجد له ونقدم له الخشوع والتقدير اللائق به ونعظمه ونرفعه ونعليه في أسمى مقام داخل

قلوبنا بل يجب علينا أيضاً ونحن نقترب منه أن نكـــون خاشـــعين مشـــاركين السرافيم في قولهم "قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كـــل الأرض" ونشعر بشعور اشعياء النبي عندما أقترب منه فقال "ويل لي أنى هلكت لأنـــي إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينيّ قـــد رأتـــا الملك رب الجنود" (أش ٦). وكلما نقترب منه نسمع صوته ينادينا كما نـــادى موسى "أخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقـــف عليـــه أرض مقدسة" (خر ٣ : ٥).

٢- سجود ليسوع وحده

والعجيب هنا أن المجوس في رحلة مجيئهم مروا بالملك هـــيرودس فلـــم يسجدوا له رغم أنه كان أمامهم ملكاً له سلطان أرضى عظيم لكنهم سجدوا أمام يسوع إجلالاً واحتراماً. خشوعاً وتعبداً له. وكان سجودهم ليسوع وحده فقط.

إن رسالة الميلاد توجهنا اليوم إلى هذا الأمر الهام وهو الســـجود للـــرب وحده الأمر الذي يعاتبنا بشأنه على أفواه خدامه ومن خلال دراستنا لكلمتـــه إذ يقول "لأن شعبي عمل شرين تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقـــروا لأنفســـهم آباراً آباراً مشققه لا تضبط ماء" (إر ٢ : ١٣). وقد أوصانا أيضاً في الوصايـــا العشر قديماً بأن لا نسجد لأخر غيره (خر ٢٠).

٣- سجود الحب والنقاء

عندما سمع هيرودس عن ميلاد يسوع وعرف أنه سيكون ملكـــاً عظيمـــاً اضطرب كثيراً جداً وكان مهزوزاً في شخصيته وخاف من يسوع أن ينافســـه على عرشه ويأخذه منه. فقال للمجوس أن يخبروه بمكانه حتـــى يذهـــب هـــو ويسجد له لكن حقيقة الأمر كانت غير ذلك. فقد كن داخله العـــداء والكراهيـــة ليسوع وكانت الرغبة الأولى في داخله هي قتله فلم يكن يقصد سجود حقيقـــي يعبّر عن الحب ليسوع لكنه كان سجوداً كاذباً مخادعاً. لأنه من المنطق كيـــف يتفق السجود مع العداء والكراهية.

كم من أناس نراها في عصرنا الحاضر تصلى وتتعبد لله ولكن في داخلها الرغبة لقتل الآخرين وإرهابهم والإضرار بهم. إن رسالة الميـــلاد تنادينـــا أن

نبذر بذار الحب والخير للجميع. ونعيش بالصفح والغفران لكل من يسئ إلينـــا. ونقاوم الشر والظلم والبغضة في هذا العالم الذي نعيشه. عاملين بقول الســـيد "إن قدمت قربانك قدام المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فأترك هناك قربانك قدام المذبح وأذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربـــانك" (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤).

٤- السجود القلبي وليس الشكلي

عندما سمع هيرودس بميلاد ملك جديد انشغل فأستدعى كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب. وسألهم عـــن ميلاد المسيح ومن خلال لقاءهم معه، عرفوا خبر ميلاد المسيح الذي كانوا ينتظرون مجيئه بشغف وشوق. بل تأكدوا أكثر بعــــد ذلك عندما أنتشر الخبر في كل كورتهم. وكان من المتوقـــع أن يـــأتوا مثـــل المجوس والرعاة فرحين ساجدين للمخلص المولود. لكن للأسف كان موقفـــهم هو اللامبالاة وظلوا منشغلين عنه في عباداتهم الطقسية ومناقشاتهم الناموســـية. وهكذا نرى في حياة الكثيرين اليوم من الذين سمعوا عن المخلـــص ومجيئـــه وفدائه ولم يعطوه أي اهتمام بل تسيطر على حياتهم اللامبالاة القاتلة.

ثانياً: رسالة تدفعنا إلى العطاء بلا حدود

بعدما جاء المجوس وخروا وسجدوا ليسوع فتحوا كنوزهم وقدمـــوا لـــه هدايا ذهباً ولباناً ومراً ونحن نرى في هداياهم هذه عظة ورسالة رائعة لنـــا إذ نتعلم منهم ما يلي:

١- نعطى أفضل ما عندنا

فهم قد جاءوا وقدموا أفضل ما كان عندهم إذ قدموا:

<u>ذهباً</u>: وهو هدية عظيمة كانت تقدم للملوك والعبره هنا ليست فـــي قيمة الذهب المادية لكن فيما يرمز إليه فهم بذلك يقرون بأن المولود ملكاً. نعم ملك بالحب لا بالقوة، ملك على القلوب لا على عروش مادية. ملـــك يأمر فينبغي أن يُطاع.

ولباناً: وهو هدية الكهنة والعبرة هنا أيضاً ليست في اللبان لكن فيما يرمز إليه. فكلمة كاهن تعنى باني القنطرة أي المسيح بنى القنطرة بين الله والناس وأزال الفجوة الفاصلة بينهما وأصبح الحق لكل مؤمن أن يتقدم إلى الله مباشرة كأب دون أي وساطة بشرية.

ومراً: وهو هدية النبي أو الإنسان الذي سيتألم ويموت وقد كان يستخدم في تحنيط الموتى فهو هدية تشير إلى المسيح كمخلص وفادى فقد جاء للعالم ليموت عن غيره.

وبالإضافة إلى عظمة هداياهم التي قدموها نجد أن أسلوب تقديمهم لهذه الهدايا ليسوع كان مرافقاً بالحب الصادق النابع من قلوبهم له. وموقفهم هذا يذكرنا بشعب كنيسة مكدونية الذين أعطوا حسب الطاقة بل فوق الطاقة لأنهم أعطوا أنفسهم أولاً للرب (٢ كو ٨).

كما أن موقفهم هذا يكشف لنا عن السبب الرئيسي والجوهري لحرمان بعض الناس من السعادة. ألا وهو الأنانية المتجسدة فيهم والتي تقودهم للطمع الذي يسوق الإنسان ويجعله يلهث حتى يموت وهو يجرى وراء الكسب المادي دون أن يشبع ولذلك قال الحكيم "من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل" (جا ٥ : ١٠).

ظهرت الأنانية متجسدة في الشاب الغنى الذي جاء إلى يسوع وأراد أن يعرف ماذا يعمل لكي يرث الحياة الأبدية فأراد المسيح أن يعالج هذه المشكلة عنده فقال له "أذهب بع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملاً الصليب فلما سمع الشاب ذلك اغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مر ١٠ : ١٧ – ٢٢).

كثيراً من الناس يجهلون أن في العطاء بركة وسعادة وقد قال أحدهم "أن من يريد أن يأخذ دون أن يعطى يكون أشبه ببحيرة الأسنة التي تتلقى مياهها من النهر لكنها لا تعطى مياها لما عداها فتصير بحيرة مالحة كالبحر الميت لكن النهر العذب هو الذي يأخذ ويعطى فيظل دائماً عذباً".

٢- نعطي بسخاء وقلب مفتوح

إن معرفتنا بالمسيح أعمق من معرفة المجوس به لأن معرفتنا به ليست هي المعرفة النظرية فقط لكنها معرفة الاختبار وقد عرفناه كمخلص وفادى وليس فقط كملك كما عرفوه المجوس لقد أفاض علينا بركاته الكثيرة ونعمه الوفيرة ورغم ذلك قلوبنا لا تزال جامدة وكنوزنا لا تزال مغلقة أمامه.

إن رسالة الميلاد تنادينا جميعاً أن نفتح قلوبنا ونمد أيدينا بالعطاء لكل محتاج إلينا سواء كان عطاء الحب والعاطفة أو عطاء الجهد أو عطاء المادة أو عطاء الخبرة أو عطاء الفكر أيا كان حسب الاحتياج. يريدنا أن نكون كشمعه تحترق لتضيئ للآخرين ونبذل ذواتنا لأجلهم ونمد أيدينا لإغاثة المسكين ورعاية المريض. نصنع السلام لكل نفس حائرة، ونهدئ كل نفس ثائرة، نحمل الضعفاء والخائرين والمنهارين بروح التشجيع والتعضيد على أذرع المحبة والحنان.

٣- نتمثل بالمسيح في عطائه

فقد جاء إلى عالمنا لا ليأخذ بل ليعطى إذ قال "أتيت لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل" (يو ١٠ : ١٠) وفى تعاليمه علم أنه مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ (أع ٢٠ : ٣٥). كما أن حياته العملية كانت كلها عطاء متدفق لا سعاد غيره من الناس فقد كان نبعاً فياضاً من الحب والحنان للمساكين والضعفاء والمحتاجين. كان ابتسامة شافية ولمسة معزية للمرضى والمتعبين. كان نوراً جديداً في تعليمه أمام التائهين والضالين. حطم الجمود ووبخ الرياء وأوضح الناموس أمام المعاندين الناقدين. كان إعلاناً عن محبة الله للبشر فهدم سياج العنصرية وأزال كل الفوارق بين الناس.

نعم كانت حياته كلها عطاء. وكان دائماً يجول يصنع خيراً يشفى جميع المتسلط عليهم إبليس.

ثالثاً : رسالة تحثنا على الجهاد لتخطى أصعب السدود

يقول البشير متى عن المجوس أنهم لكي يصلوا إلى يسوع الوليد ".. من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم" وبعد أن رأوه وسجدوا له وقدموا هداياهم

العظيمة له "..أوحى إليهم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كوزنهم" (مت٢: ١، ١٢).

كان أمامهم هدف وهو رؤية يسوع فلكي يتحقق هدفهم قاموا برحلة طويلة جداً قطعوا فيها مسافات شاسعة عبر الجبال والوديان والصحارى في زمن كان السفر فيه أمراً شاقاً غاية في الصعوبة وكلفتهم الرحلة جهداً كبيراً، ومخاطرات كثيرة لكنها عبرت عن الحب ليسوع أكثر بكثير من الهدايا المادية التي قدموها له.

النجاح جائزة المجتهدين ومكافأة الكادحين

إن رسالة الميلاد توجهنا إلى طريق النجاح في حياتنا ولتحقيق أهدافنا وطموحاتنا التي نرغب فيها هو طريق الجهاد والمثابرة الكد والكفاح من أجل تحقيقها "والله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢تيمو١ : ٧).

والتاريخ يثبت لنا أن القادة العظام الذين نجحوا في حياتهم وحققوا إنجازات عظيمة جداً ومنهم على سبيل المثال رجال الله الأبطال أمثال موسى وإيليا وبولس وغيرهم كان الكفاح والعرق وراء أدائهم وأن سر فشل الكثيرين من الناس هو الكسل فقلوبهم مليئة بالأمل لكن حياتهم تفتقر إلى الجهاد والعمل وإن جاهدوا لكن جهادهم لم يكن هو الجهاد القانوني لذلك لا يكافئوا ولا يكللوا فالنجاح جائزة المجتهدين ومكافأة الكادحين الصابرين كما قال أحد الشعراء "وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً".وهذا ما عبّر عنه المرنم في قوله "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج والذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع مجيئاً يجيء بالترنم حاملاً حزمه" (مز ١٢٦ : ٥ ، ٦). أشار اله الحكيم في الأمثال بلغة أخرى قائلاً "العامل بيد مرتخية يفتقر أما يد المجتهدين فتغنى" (أم ١٠ : ٤) .وقال "تعب العمل نافع أما الكلام دون عمل فهو يفتقر" (أم ١٤ : ٢٣).

كادحاً قبل أن أصير عبقرياً

قالت الملكة فيكتوريا بعد أن سمعت لحن جميل لعازف ماهر اسمه بادر "يا سيد بادر انك عبقري فرد عليها قائلاً "هذا ممكن يا سيدتي ولكنني كنت

كادحاً قبل أن أصير عبقرياً". وهذا ما تصوره اديسون وعبّر عنه بقولـــــه "أن العبقرية تتكون من ١% من الإلهام و ٩٩% من العرق".

إن مشكلة الكثيرين اليوم أنهم يقفون أمام أبسط المشكلات ويشعرون أن الحياة أصبحت مستحيلة العيش وأن كل الأبواب قد أوصـــــدت أمامـــهم وهـــم ساكتين خاملين ولم يقتحموها أو يتحدوها أو يتخطوها. فهذه الرسالة تدفعنـــا أن نجاهد ونثابر لنواجه الواقع ونتحدى الصعاب ونحقق الأهداف دون خـــوف أو كسل متذكرين معية الله وإرشاده لنا بصفة دائمة.

رسالة إلهية شخصية إليك

إن اللّه أرسل هذه الرسالة قديماً للشعب بواسـطة ارميـا النـبي ويرسلها لك أنت اليوم فكلمـــة اللّه حيـــة وفعالـة وأمضـى مـن كـل سيف ذي حدين خارقة إلى مفـرق النفس والـروح والمفـاصل ممـيزة أفكار القلب ونياته.

وهو يريد أن يخاطبك أنت شخصياً ويكلمك في عدة أمور هامـة من خلالها فيما يلي:

(١) عندما تمر بظروف صعبـة وتصـل بـك الأمـور إلى أقصـى درجة فلا تيأس. ارفع عينيك إلى الرب وثق إنه إلـه الرجـاء. وقـل له ماذا تريد مني يـارب أن أفعل؟ ومــهما جـاءك شـعور وإحسـاس بالضياع والفشل فثق أن شعار اللّه دائماً هو إصلاح ما فسد لذا أرفع عينيك. إلى جبال المعونة بكل ثقة فإنه سيغير من حـالتك لأنـه هـو الذي قال جئت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل.

(٢) أن الله خلقك على صورته وشبهه وميزك عن كل المخلوقات الأخرى بل جعلك تاجاً للخليقة كلها. فهل تحافظ على هذه الإنسانية وعلى الصورة الرائعة التي خلقك الله عليها. بل عليك أن تحافظ على إنسانية إخوتك من حولك فلا تهين أدميتهم ولا تعمل بتفكيرك وسلوكك على قتل حياتهم معنوياً أو فعلياً.

(٣) إن الله خلقنا أحراراً وبالسقوط في الخطية أصبحنا كلنا عبيد لكن في المسيح يسوع صرنا أحراراً حسب قوله إن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً فعليك أن تعلم أن حريتك يا آخي لها حدود وداخل إطار محدود لذا عليك أن تراعى ذلك حتى لا تكون سبب عثرة لغيرك. وعلى أن تطيع صوت الرب القديم صاحب السلطان المطلق على كل حياتك. أجعل شعارك دائماً في هذا الأمر ما قاله شاول الطرسوسي ماذا تريد مني يارب أن أفعل؟


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
بيت
الفخاري

طلب الرب من ارميا النبي أن يذهب إلى بيت الفخاري قائلاً له "قم أذهب إلى بيت الفخاري وهناك أسمعك كلامي" (إر ١٨ : ٢) وذلك ليتلقى ارميا هناك درساً من الله. فذهب ارميا مطيعاً إلى بيت الفخاري ورآه يصنع إناءا من الطين على الدولاب.

ودولاب الفخاري ليس غريباً على بيئتنا فنحن نراه ونعرفه جيداً وهو عبارة عن حجرين مستديرين أحدهما ثقيل يعلوه حجراً أخف منه يدوران على محور واحد. والفخاري يدير الحجرين برجليه ويشكل بيديه الطين ليصنع منه الآنية ثم يجففها في الشمس ويحرقها بالنار في قمائن معينة لتصير فخاراً أو خزفاً.

وعندما ذهب ارميا ونظر إلى الفخاري وهو يعمل وأثناء عمله فسد أحد الأوعية لعيب في الطينة أو لسبب أخر. فما كان من الفخاري ألا أنه عاد وعمل من تلك الطينة نفسها وعاءاً أخر من جديد كما أراد. وجاء الصوت من الله لإرميا "أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخاري يا بيت إسرائيل".

نعم إنها كانت رسالة من الله لإرميا ليبلغها للشعب والشعب كان في حاجة ماسة إليها. وفيها شبه الله نفسه بالفخاري الذي يصنع الوعاء ويعيد صنع الوعاء الفاسد، وشبه الإنسان بالطين. وقد كانت هذه الرسالة قوية وهادفة ومطمئنة. وجهها الله إلى الأمة الإسرائيلية التي فسدت والتي تعيش ظروف مرة قاسية. وكأن الله يقول لها من خلال موقف الفخاري هذا أنا سأعيد تشكيلك من جديد وأصلح ما فيك من فساد.

ما أعظمها دروس التي نتعلمها من بيت الفخاري. إنها رسالة عظيمة يقدمها لنا الرب بفم ارميا فهي لم تكن فقط مقدمة للأمة الإسرائيلية ولكنها لنا نحن اليوم أيضاً. والله يعلمنا من خلالها بعض الدروس الهامة لحياتنا فإننا نجد أنها:

(١) رسالة الأمل المتجدد وسط ظلام اليأس
(٢) رسالة التقدير لإنسانية الإنسان
(٣) رسالة الخضوع لسلطان الله المطلق

أولاً، رسالة الأمل المتجدد وسط ظلام الياس

جاءت رسالة الرب عن طريق ارميا النبي إلى مملكة يهوذا. وهي جزء من الأمة الإسرائيلية والتي عاش فيها ارميا في ظروف مرة قاسية جداً كانت تمر بها هذه المملكة من جانبين. الجانب الأول يتمثل في مشكلات داخلية كثيرة ومعقدة كانت تعانى منها من فساد وجهل وشعور بإحباط وإحساس بانهيار. لأن المملكة امتلأت ظلماً والشعب قد ضل وبعد عن الله.

والجانب الثاني كان يتمثل في معاناة المملكة من تهديد وإرهاب خارجي من دولة فارس كدولة عظمى يمكنها أن تغزوها وتأسرها وتستعبدها وتصنع فيها كما تشاء. وبالفعل هددت فارس الدولة العظمى مملكة يهوذا بذلك.

يا رب لا نعرف ماذا نفعل ولكن نحوك أعيننا

وقعت مملكة يهوذا في حيرة شديدة لا تعرف ماذا تفعل؟ ماذا يكنه لها المستقبل؟ إنها تريد أن تنهض وتتقوى لكي يصير لها كيان لكنها لا تعرف. كيف؟ هل يا ترى تقوى نفسها عن طريق الجيش أو عن طريق بناء الاقتصاد؟ وماذا يمكن أن يكون جيشها أمام دولة فارس العظمى؟

هل تتحالف مع دولة أخرى وهى مصر المجاورة لكي تأمن جانب لها أو تقف معها أم أنها تترك نفسها لمصير محتوم كما تحدث الأمور؟ ظروف كلها مرة وصعبة تستدعى القلق والخوف والرعب.

ومضة أمل وسط اليأس

في هذه الظروف الحالكة الظلام قدم الرب رسالته للشعب هذه على فم النبي ارميا فكانت لهم كومضة نور قوى مبهج. وكانت هي رسالة الأمل المتجدد وسط ظلام اليأس. كأن الله يقول في رسالته على فم ارميا النبي أنت يا

مملكة يهوذا كأنك وعاء قد فسد لكنى سأصلح ما فيك من فساد. سأعيد تشكيلك بالمرة. سأخرجكِ من الظلام إلى النور الباهر.

لكن يوجد شرط هام هو الرجوع والتوبة إلى ويقول الرب هنـــا فـــي (إر ١٨ : ٧ ، ٨) "تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بـــالقلع والـــهدم والإهـــلاك. فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن اصنعه بها. وتارة أتكلم عن أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر فـــي عيني فلا تسمع لصوتي فأندم عن الخير الذي قلت إني احسن إليها به".

الله يرفع غضبه عنا عندما نرجع إليه

وهذا ما حدث مع نينوى التي أراد الله أن يقلبها مع شرها وأرســـل لـــها يونان لكي ينذرها لكن عندما تابت ورجعت إلى الله عفا الله عنها ورجع عـــن حمو غضبه ولم يقلبها. كذلك إن وعد الله أمه بالخير لكن هذه الأمة تفعل الشر فان الله يندم عن الخير الذي قال أنه سيفعله بها.

إن هذه الرسالة تبعث فينا ثقة واطمئناناً فلنتـــأكد أن أيامنـــا وأوقاتنـــا – ظروفنا وأحوالنا – حلوها ومرها في يد الله. قد يبدو المستقبل أمامنا غامضـــاً ومخيفاً ومرعباً من خلال معرفتنا للجو الذي نعيشه في حاضرنا.

لكن يجب ألا يغيب عن خاطرنا لحظة واحدة أن كل الحروب والسـلطات والجماعات في يد الله كقطعة الطين في يد الفخاري الأعظم الذي قيل عنه فـــي سفر أيوب "يكثر الأمم ثم يبيدها. يوسع الأمم ثم يجليها" (أيوب ١٢ : ٢٣).

إنه يمسك الكرة الأرضية بيده يديرها ويدبرها ويوجه الأحكام فيها حســب مشيئته ولتحقيق مقاصده فيها يجمع حينما يريد ويشتت حينما يشاء. إن الكـــون كله بأسره كقطعة الطين في يده.

في (مز ٢) يقول المرنم "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في البـــاطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطـــع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما" لكن يقول المرنم بعد ذلك "الساكن في الســـماء يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبـــه ويرجفـــهم بغيظـــه. يحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزّاف يكسّرهم". حقاً أن الأمم والشـــعوب،

الملوك والرؤساء لا يزيدوا عن قطعة الطين التي هي في يد الفخاري الأعظم السيد الرب.

شعار الله دائماً هو إصلاح ما فسد

حقاً إنها رسالة الأمل المتجدد وسط ظلام اليأس فشعار الناس بصفة دائمة في هذه الحياة هو التنازع. فالقوى يريد إن يطغى على الضعيف والجيد يدوس على الرديء. لكن شعار الله هو غير ذلك أرسل ابنه الذي قال "جئت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك". إن الرب يقول لنا في الكلمة الإلهية شعاري دائماً تغيير الرديء والفاسد إلى الجديد والأفضل.

تحكى قصة عن ثلاثة أشخاص كانوا يعملون فنانين نحاتين أثناء سيرهم في الطريق مروا بقطعة من الحجر ملقاة على الأرض. نظر اثنان منهم إليها على إنها قطعة حجر لا قيمة لها.

ولم يريا فيها شيئاً سوى الفظاظة والخشونة. فتركاها وعبرا. أما ثالثهم فوقف يتأمل فيها بإمعان وإعجاب، وأنكب عليها يحملها بين ذراعيه قائلاً لرفيقيه سأدعوكما بعد أيام قليلة لتريا من هذا الحجر ملاكاً جميلاً. هذا هو فكر السيد المسيح من جهة العالم الذي نعيش فيه إنه رغم شروره ومفاسده يمكن أن يكون عالماً جديداً، يسكنه البر ويملئه الرجاء ويسود عليه السلام لأن شعار الرب دائماً إصلاح كل ما هو فاسد وليس له قيمة.

من الفساد والضياع إلى سلام القلب

جاءوا ذات مرة إلى المسيح بامرأة أُمسِكت في ذات الفعل والناموس أوصى بالرجم حتى الموت في مثل هذه الحالة أما السيد المسيح فقال لها يا امرأة أين هم أولئك المشكتون عليك. أما دانك أحد. فقالت لا أحد يا سيد فقال لها يسوع ولا أنا أدينك أذهبي ولا تخطيء أيضاً" (يو ٨). نعم إنه جاء ليصلح ما فسد.

من حياة الظمأ إلى الارتواء الحقيقي

ألم يصلح أيضاً حياة امرأة فاسدة سامريه كانت منذ سنين في الخطية. كان لها خمسة رجال والذي كان معها ليس هو زوجها فأعاد صياغتها وتشكيلها بالمرة وأخرج منها شخصية كارزة له. تركت جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح. فخرجوا من المدينة وأتوا إليه (يو ٤).

من البؤس واليأس إلى السعادة الغامرة

جاءت إليه امرأة نازفة دم كان المرض قد أنهك كل قواها وصحتها ـ والمجتمع طردها بعيداً لئلا يتنجس منها بحسب الشريعة وكانت قد أنفقت كل ما عندها فهي تعيش في فقر مدقع. حالتها كلها أصبحت يأس وبؤس وإحباط. لكنها لمست هدب ثوب يسوع فجف ينبوع دمها في الحال وغمرتها السعادة وكأنها ولدت من جديد. (مر ٥ : ٢٥-٣٤).

من الافتراء إلى إناء صالح للكرامة

ألم يتقابل الرب يسوع مع شاول الطرسوسي أشر الخطاة الذي كان مفترياً ومضطهداً لتابعي المسيح فأعاد تشكيلة وصنع منه وعاءاً جديداً إناءا للكرامة نافعاً لخدمة السيد مستعداً لكل عمل صالح.

ونحن هل نضع نفوسنا بالكامل بين يديه ليصلح ما فينا من عيوب ونشارك داود بما قاله في (مز ٥١)، أغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهرني لأني عارف بمعاصي وخطيتي أمامي دائماً... قلباً نقياً أخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي.

ولنثق دائماً وأبداً أن هناك أملاً لكل وعاء فاسد أن يعيد الرب تشكيله ويحوله إلى أناء للكرامة نافعاً لخدمة السيد. وأن لنا إله يخرج من الأكل أكلاً ومن الجاف حلاوة.

ثانياً: رسالة تقدير لإنسانية الإنسان

أعترض بعض من العلماء على تشبيه الإنسان بقطعة من الطين وقالوا كيف يُشبّه الإنسان العاقل تاج الخليقة ينبوع الفكر والإبداع بقطعة من الطين الذي هو أدني أنواع المخلوقات في الكون فهو جماد لا إرادة له. لا قوة ولا جمال فيه. كيف يُشبّه الإنسان هكذا؟

في الحقيقة أنهم ينظرون للإنسان نظرة سامية عالية رفيعة ينادون بكرامة الإنسان. بحرية الإنسان. باستقلالية الإنسان. بحقوق الإنسان إذن كيف يشبه بقطعة من الطين في يد الفخاري وإن الإنسان صاحب ملكات ومواهب وعقل وإبداع.

إن خطأ هؤلاء يتمثل في نظرتهم الضيقة للتشبيه فهم لا ينظرون له نظرة شمولية صحيحة ولكنهم ينظرون إليه من جانب واحد فقط. نظرتهم اتجهت إلى قطعة الطين فقط ولم ينظروا إلى الفخاري ذاته فالمقصود بالتشبيه هنا هو نسبة الإنسان إلى الله فهو صانعه وبارئه ومحييه. ونحن إذا نظرنا للإنسان بكل طاقاته وقدراته وإمكانياته فإننا نراه تاجا للخليقة فعلا بالنسبة لسائر المخلوقات لكن بالنسبة إلى الله تعالى هو لا يزيد شيئا عن قطعة الطين.

وهناك أمرا هاما يلزمنا أن نوجه النظر إليه وهو أن مصدر كرامة الإنسان وحريته واستقلاله هو الله. فلو أننا أتنتزعنا الروح التي وضعها الله في الإنسان لما بقى من الإنسان سوى جفنه من التراب أي قطعة من الطين. فالإنسان لو تصور أنه يستطيع أن يستقل عن الله ويجعل لنفسه اسما وكيانا بمعزل عن الله خالقه لضاعت كل كرامته وإنسانيته.

وفى (مز ٨) نجد الله يكرم الإنسان إذ يقول المرنم "فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده.. بمجد وبهاء تكلله تسلطه على أعمال يديك جعلت كل شئ تحت قدميه".

وبمناسبة حديثنا عن إنسانية الإنسان نتطرق إلى بعض النقاط التالية للاستنارة بها:

قيمة الإنسان بين المخلوقات

الإنسان إذا نظرنا إليه نظرة جسدية فقط فهو لا يمتاز كثيراً عن سائر الحيوانات إلا بأمور بسيطة. وإذا وضعناه في مقارنة بالكون العظيم من حوله من حيث القوة لوجدناه ضعيف بجوار قوات الطبيعة الهائلة فهناك بعض الحيوانات أقوى منه. ولكن إذا نظرنا إليه من حيث منزلته في سلسلة المخلوقات وتسلطه على ذوات الأنفس الحية لرأينا إنه رأس الخليقة. وإذا نظرنا إلى مقامه العقلي والروحي باعتباره مخلوق على صورة الله ذا إرادة حرة لرأيناه تاج الخليقة. وحقيقة الأمر أنه لولا سقوطه في الخطية وتوغله في الشر لكان في مقام أدبي عظيم جداً مثل الملائكة الأبرار. فهو يمتاز عن كل ما حوله باعتباره مخلوق على صورة الخالق العقلية الروحية. وهو يملك سلطان عظيم على الطبيعة كلها منحه الله إياه. ومع أنه سقط في الخطية لكنه له رجاء في نواله الحياة الأبدية بواسطة الفداء بالمسيح.

إبداع الإنسان على صورة الله

الله سبحانه وتعالى ميز الإنسان عن كل ما حوله من الحيوانات بخلقه إياه على صورته وشبهه وذلك بإعطائه طبيعة روحية مشابه له فهو يشبه الله في قواه العقلية وفي مواهبه الروحية وقد إمتاز بهذه المواهب على كل ما حوله من مخلوقات الأرض وسما عليها سمواً لا يقاس ولا يوصف. ولما كانت هذه المشابهة مصدر ما توصل إليه الإنسان من معرفة الله وأصل طبيعته الروحية كان في إمكانه الاقتراب إليه تعالى بالعبادة الروحية ومعرفة صفاته. ومشابهة الإنسان لله تحيط بما ثبت فيه بعد سقوطه وبما زال عند السقوط.

فالجزء الباقي من صورة الله في الإنسان هو الطبيعة الروحية العقلية التي لا تزال في كل بنى جنسنا والجزء الذي زال بالسقوط هو الكمال الأدبي الذي فطر الإنسان عليه أي حال البر والقداسة التي خُلق عليها. وبعد السقوط بقى على صورة الله في طبيعته العقلية الأدبية المشابهة لصورته غير إنه تغير في حالته الأدبية وأنحط من حالة البر والطهارة إلى حالة الخطية والفساد الأدبي.

ومن أقوال الكتاب المقدس التي تدل على ما هو باقٍ من صـــورة الله في الإنسان ما جاء في مواليد آدم من إنه خلق على شبه الله وأنه ولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثاً (تك ٥ : ١، ٢). وقولـــه ســافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان (تـــك ٩ : ٦). وأن الرجل لا ينبغي أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده (١كـــو ١١ : ٧). وقوله عن اللسان الذي به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين تكونوا على شبه الله (يع ٣ : ٩). ومن الأقوال الدالة على ما هو مفقود من صورة الله قول الرسول بولس "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحـــد دخلـــت الخطية إلى العالم" (رو ٥ : ١٢).

والآيات التي تعلم لزوم التجديد والولادة الثانية على صورة الله منها قول الرسول بولس إلى أهل كولوسي "ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفـــة حســب صـــورة خالقه" (كو٣:١٠) . وقوله أيضاً لأهل أفسس "وتتجددون بروح ذهنكم وتلبسون الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحـــق" (أف ٤ : ٢٣، ٢٤). فالإشارة في هذين العددين هي إلى تجديد ما هو مفقود أي الانتقال من حال الخطية إلى حال البر والقداسة، وذلك بواسطة فعل الروح القدس فقط. فإن الإنسان بقى ابن الآب السماوي في مشابهة طبيعته لطبيعة الخالق. لا فـــي حال تلك الطبيعة الأدبية التي فقدها بسقوطه وذلك إنه كان في حالته الأصليـــة مشابها لخالقه في كونه ذا طبيعة روحية عقلية أيضاً في كونه في حـــال الـــبر والقداسة قبل أن يحدث فيه أدنى خلل أو عيب. وكان بين قواه الأدبية والعقليـــة اتفاق تام وهى كانت خاضعة لله كل الخضوع فسواء نظرنا إلى طبيعة الإنسان الروحية أو إلى حالتها الأصلية فهو في صورة الله عندما خلق لا كمـــا يقـــول البعض إنه كان أصلاً خالياً من البـــر والقداسة ثم زاده الله إياهما بإضافتـــهما إلى حالته الأصلية.

كرامة الإنسان

وتتضح هذه الكرامة في أن الله منح الإنسان سلطان علـــى الخلائـــق أي جعله رئيساً على الأرض وحاز هذا السلطان بمنح الله إياه القوى والمواهـــب وتفويضه الصريح له ومن النصوص الكتابية المؤيدة لذلك قـــول المرنـــم "...

جعل كل شئ تحت قدميه" (مز ٨ :٦) وقول الرسول بولس "أن الرجـــل هـــو صـورة الله ومجده وإن المرأة هي مجد الرجل" (١كو ١١: ٧). وقـــال ذلـــك مشيراً إلى إنه سبب لما تقدم من أنه لا يجوز للرجل أن يعمل ما يـــدل علـــى ترك ما له من حق التسلط لأنه زين بصورة الله فكان لذلك رئيساً على الأرض ونائب الباري تعالي.

ولا نقدر أن نقطع بحدود دائرة السلطان الذي منحه الله للإنسان غير إننـــا نستنتج مما جاء في سفر التكوين ولا سيما الكلام البليغ في المزمور الثامن أنه قُصر على الحيوانات ولكن فسر الرسول بولس قول المرنم شفى حديثه إلـــى أهل كورنثوس أنه "أخضع كل شئ تحت قدميه بقوله ولكن حينما يقول أن كـل شئ قد أخضع فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل" (١كو ١٥ : ٢٧). وقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيضاً أخضعت كل شئ تحت قدميه لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له (عب ٢ : ٨).

فهذا يدل ويؤكد على أن ذلك السلطان ممتد أكثر مما رأينا أي أنه عـــام ومطلق على جميـــع الخلائق الأرضية وأن الإنسان قد نالـــه وحصـــل عليـــه بواسطة تجسد ابن الله وارتفاعه فقط.

هل الإنسانية تباع كالمادة

سار إبراهام لنكولن في الشارع ورأى فتاة تباع في السوق كأنها سـلعة تجارية ومعروضة أمام الناس للبيع، بصورة فيها تحقير للإنسانية، وكان يتزايد عليها المشترون. فرأى الإنسانية تباع وتشترى في هذه الفتاه واحتدت روحـــه فيه مثل بولس الذي احتدت روحه فيه عندما دخل أثينا ورآها مملوءة أصنامـــاً كثيرة وشر وفساد كثير. فأخذ على عاتقه أن لا يسكت حتى يحرر البشرية من هذه الوصمة. ويضع مسماراً في نعش الاستعباد. وقد أعانه الله على تحقيـــق هدفه رغم إنه دفع حياته ثمناً لهذه الحرية الغالية.

وحشية الإنسان تفقده إنسانيته

إن المشكلة الحقيقية أن الإنسان نفسه هو الذي يُضيّع ويفقد هذه الإنسانية بما فيها من حرية وكرامة وحقوق واستقلال عن طريق وحشية الإنسان ضد أخيه الإنسان في الحروب وفى المنازعات الداخلية. فقد أستخدم البشر أساليب وأسلحة مُروعة لتدمير اخوتهم من البشر والفتك بهم. وظهر الإنسان في كثير من المواقف في صورة أكثر وحشية من الوحوش نفسها. حتى التقدم العلمي الذي هو من نتاج الفكر والعقل أسمى نعم الله حوّله الإنسان إلى تقدم في وسائل التدمير والظلم والخسة والدناءة. اخترق البشر قدسية الإنسان أهانوا أدميته. فلماذا إذن لا يشبه بقطعة الطين التي تحتاج للإصلاح وإعادة الصياغة.

ثالثاً: رسالة خضوع لسلطان الله المطلق

هذه الرسالة توجب علينا الخضوع والطاعة أمام سلطان الله المطلق وبمناسبة حديثنا عنه هنا نرى في البداية أنه لابد أن نعرف ما هو المقصود بهذا السلطان الإلهي المطلق هذا.

المقصود بسلطان الله المطلق

سلطان الله لم يكن هو صفة من صفاته الطبيعية كالحكمة والقدرة والرحمة وغيرها. بل هو ناشئ عن كمال الصفات، وسمو شأنه لأنه خالق الكون بأثره وحافظه. ومن نصوص الكتاب المقدس ما يؤيد ذلك أن "إلهنا في السماء كل ما شاء صنع" (مز ١١٥ : ٣). "وحسبت جميع سكان الأرض كلا شئ وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل، (دا ٤ : ٣٥). وقول داود في صلاته إلى الله "لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأن لك ما في السماء والأرض. لك يارب الملك وقد ارتفعت رأساً على الجميع" (١أخ ٢٩ : ١١). وقوله أيضاً "للرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين فيها" (مز ٢٤ : ١). وقول الرب إلى حزقيال النبي "ها كل النفوس هي لي. نفس الآب كنفس الابن. كلاهما لي" (حز ١٨ : ٤). وقول الرب في نبوة إشعياء "ويل لمن يخاصم جابلة. خزف بين أخزاف الأرض. هل يقول الطين لجابلة ماذا تصنع

أو يقول عملك ليس له يدان" (أش ٤٥ : ٩). وقول بولس الرسول "حسب قصد الذي يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته" (أف ١ : ١١) "لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد. آمين" (رو ١١ : ٣٦).

ماذا تمثل المدفعية الثقيلة أمام سلطان الله المطلق

من يكون الرؤساء والملوك أمام هذا السلطان العظيم؟ وماذا تعني أسلحتهم أمام قوة الله الذي صنع الكون كله الذي يقول لكل شئ كن فيكون. كان نابليون بونابرت القائد العالمي المشهور والذي قاد الحملة الفرنسية على مصر لا يؤمن بالله وبقدرته وسلطانه ويقول ساخراً أن الله مع المدفعية الثقيلة. وكان يؤمن بثلاثة عناصر يقوم عليها النجاح في الحرب وهي: عدد الجنود، والتسليح الجيد، وعبقرية القيادة. ومن العجيب أن الثلاثة توفرت له، ومع ذلك هُزِم هزيمة مرة. فقد قاد حملته على روسيا وكان تخطيط الروس الانسحاب أمامه وحرق المدن بكاملها حتى لا يجد ملجأ أو طعاماً له. فذهب وكان معه نصف مليون جندي لكنه عاد ببضعة آلاف قليلة جداً لا تصل إلى نسبة ١٠% من الجنود ومات منهم حوالي ٩٠%. وعندما سألوه عن سر الهزيمة قال لقد هزمني الجنرال يناير أي أن الذي هزمني هو الشتاء الروسي القاسي لكن في أواخر معاركه سألوا أحد القادة العسكريين في جيشه عن سر هزيمة نابليون فأجاب وقال "الله هو الذي هزم نابليون رغم عبقريته العسكرية أو مدفعيته الثقيلة نظراً لكبريائه فأراد أن يذله" إذن من هو نابليون أمام سلطان الله العظيم؟

سلطان الله سلطان متميز

إن سلطان الله يشتمل على عدة صفات: ١. إنه شامل كل الخليقة من أعلاها إلى أدناها. ٢. إنه مطلق أي ليس مقيداً البتة بل يعمل حسب إرادته في جند السماء ٣. إنه غير متغير.

إن سلطان الله هذا ذو حكمة وقداسة ومحبة وهو عام مطلق غير مقيد بشيء خارج عن ذاته تعالى ولكنه يمارسه على الدوام بموجب صفاته الثابتة. وهو موثق لكل شعبه ومتكلهم فيفرحون بأنه تعالى مالك ضابط الكل. وإن مجرى الأمور في يده فلا يحدث شئ على سبيل الاضطرار أو الصدفة في حكمه وهو متسلط على قوة البشر وعلى خبث الشيطان عدو الخير.

سلطان الله وحرية الإنسان

لا تعارض بالمرة بين سلطان الله وحرية الإنسان فهي تشبه حرية العصفور الطليق الذي يحط حيث يشاء. لكن هذه الحرية محدودة ولها ضوابط معينة العصفور الحر هو في الواقع يحيا طوال حياته في قفص مصنوع من المخاوف والجوع والغرائز وهو محدود بالطقس والظروف والضغط الجوى المتقلب وموارد الغذاء المحلية والحيوانات الضارية. فهو حر لكن حريته لها حدود وهكذا الإنسان حر داخل إطار معين.

ولو قلنا مثلاً أن سفينة ما أبحرت من مدينة الأقصر في رحلة إلى مدينة أسوان وحدد المسئولين رحلة تحركها وموقع وزمان التحرك والمكان الذي سترسى فيه فلا يمكن لأي شئ أن يغير ذلك فهي تسير رحلتها بحرية ولكن داخل هذه الحدود من الأقصر إلى أسوان فقط. فعلى ظهر السفينة يتواجد عشرات المسافرين فهم أحرار يتحركون كما يشأون فهم يأكلون وينامون ويلعبون ويتمشون على ظهر السفينة ويقرأون ويتحادثون كما يحلو لهم في حدود الرحلة من الأقصر إلى أسوان. وهنا في هذا المثال نرى الحرية ونرى السيادة أو السلطان ولا يوجد تضاد أو تعارض بينهما.

هذه صورة توضح حرية الإنسان داخل إطار سلطان الله. فالسفينة العظيمة سفينة خطة الله ذات السيادة تشق طريقها في بحر التاريخ والإنسان يستمتع بحريته داخل إطار هذه السفينة.

وهناك تشبيهات أخرى لحرية الإنسان المسيحي مثل السمك الذي يتحرك بحرية تامة في حدود الماء الموجود فيه لكنه إذا خرج من الماء فإنه سوف يموت. ومثل حرية غصن الشجرة الذي يتمايل ويتحرك بحرية لكن في حدود الشجرة. ومثل حرية القطار الذي يسير على قضبان السكك الحديدية لكنه في حدود القضبان إنها حرية ضابطة موجهة. ويأتي أمامنا السؤال الآن لماذا يجب علينا الخضوع والطاعة لسلطان الله هذا؟ هل نخضع له باعتباره سلطان القوة التعسفية؟ حاشا لله أن يكون كذلك فإننا نخضع لسلطان المحبة والله يمثل بالنسبة لنا ما يلي:

(١) الله جابلنا:

هذا التشبيه يوضح لنا أن الإنسان في يد الله كالطينة في يد الفخاري لكن في حقيقة الأمر هذا التشبيه يعجز عن أن يعبّر عن حقيقة علاقة الله بالإنسان تعبير كامل لأن الفخاري كل دوره هنا يأخذ الطينة ويشكلها فقط ولا يستطيع أن يخلقها من العدم لكن الله الذي شكله وهو الذي طوره لذلك يقول النبي إشعياء في نبوته "والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك (أش ٦٤ : ٨). ويقول اليهو صديق أيوب في حديث إليه"... أنا أيضاً من الطين تقرصت هوذا هيبتي لا ترهبك وجلالي لا يثقل عليك " (أي ٣٣ : ٦، ٧) ويقول المرنم في (مز ١٠٠ : ٣٠) "هو صنعنا وله نحن شعبه وغنم مرعاه".

(٢) الله فادينا:

تحكى قصة عن بحر صغير يحده من إحدى جوانبه طريق تسير عليه الناس والسيارات ومع الفيضان زادت مياهه وارتفعت فتأكل الطريق وكان يسير عليه في ذلك الوقت رجل وامرأة وطفلة صغيرة كانت تحملها المرأة معها. فسقط الثلاثة في البحر فحاول الرجل إنقاذ المرأة وطفلتها ولكن لم يتمكن إلا من إنقاذ الطفلة فقط. ومرت السنين على هذه الحادثة وكان الرجل في كنيسة ما أثناء انعقاد اجتماع عام للعبادة وكان يحكى بعض اختبارات حياته وعناية الله به فتطرق لهذه القصة وتحدث عن جهاده المروع لنجاة الأم وأبنتها وكيف أمكنه أن ينقذ الطفلة الصغيرة دون أمها. وبعد إن أنتهي الاجتماع تقدمت إليه شابة وقالت له يا سيدي لقد ظللت سنين طويلة أبحث عن المخلص الذي أنقذني دون أن أهتدي إليه حتى شاءت عناية الله أن أعرفه هذا المساء. أنا يا سيدي تلك الطفلة التي أنقذتها من الموت أنا الطفلة التي تديّن لك بالحياة إلى اليوم ولم تكن لي فرصة سابقة لأتقدم إليك بالشكر جزاء ما قدمت لي وما صنعت يداك.

إن شهادة هذه الشابة عن مخلصها وشكرها له يجب أن يكون صورة مصغرة لما يجب أن نشهد به نحن عن يسوع المسيح الذي صار جسداً بشرياً حباً فينا ولكي يفدينا وهو مخلصنا الأعظم من الموت الأبدي. لذا يجب أن تكون حياتنا دائماً وأبداً حياة الشهادة للآخرين عن عمل المسيح الفادي وحياة الشكر لله على فدائه العظيم لنا.

إن سلطان الله لم يكن قدراً أعمى أو حكم عشوائي تصلبي لكن من نفس النص الكتابي وكلمات الوحي الواردة عن هذه الرسالة نجد أنه سلطان مبني على مبادئ واضحة وعلى قيم خاصة. سلطان مرتبط بخير أو بشر يفعله الإنسان فالله يقول هنا "تاره أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها بمعنى أنى أفدى هذه الأمة من شرها وتاره أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي فأندم عن الخير الذي قلت إني أحسن إليها به" (أر ١٨ : ٧: ١٠).

وعلينا أن نضع في اعتبارنا أمام هذا المبدأ بكل ثقة أن إرادة الله دائماً في صالح الإنسان "وكل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده" (رو ٨ : ٢٨).

إن هذه الرسالة هي دعوة للخضوع لسلطان الله فادينا. فادى الأمم والدول والجماعات التائبين والراجعين إليه .

لكن هنا تظهر مشكلة الإنسان نفسه فهو يريد أن يكون إلهاً دائماً وأبداً وهذه هي خطية أبوينا الأولين آدم وحواء الذين أغرتهما الحية بأن يأكلا من الشجرة فيصيرا مثل الله. فمشكلة الإنسان هنا أنه يريد أن يحاسب الله وهذا خطا فادح، حاشا وكلا أن تقف الجبلة أمام جابلها هذا الموقف.

(٣) لأن الله أبونا:

إن سلطان الله المطلق لا يتعارض بالمرة مع أبوة الله لنا وهذا هو ما نطق به إشعياء "والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك" (أش ٦٤ : ٨) وفى تجسد المسيح وموته وقيامته اتضحت لنا هذه الأبوة بصورة أفضل عرفنا أن علاقتنا بالله ليست هي علاقة بإله عالي بعيد عنا منفصل تماماً عن الإنسان لكنه إله ذو سلطان مطلق وأيضاً أب حنون رؤوف محب للإنسان.

وقد شبه لنا السيد المسيح علاقة الله بالإنسان في مثل الابن الضال أنها علاقة أب بأبنائه يهتم بهم. يسامحهم على أخطائهم وزلاتهم يصفح عن سيئاتهم دائماً ينتظر توبتهم ورجوعهم إليه، يفرح والسماء تفرح عند عودتهم من ضلالهم، فعلينا أن نخضع له خضوع الابن لأبيه.

فوائد بنويتنا للرب

(١) في المسيح يسوع أصبحنا أبناء لا عبيد وهناك فرق كبير بين طاعة العبد للسيد وطاعة الابن لأبيه. والمسيح قد افتدانا من تحت الناموس لننال التبني (غل ٤ : ٥). لذلك طاعتنا للرب ليس خوفاً كالعبيد بل حباً كالأبناء.

(٢) إرشاد روح الله لنا في مواقفنا المختلفة فالرسول بولس يقول في ذلك "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨ : ٤).

(٣) أصبح لنا حق الاقتراب إلى الله مباشرةً عن طريق الصلاة والثقة في أبينا السماوي "بأنه يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نسأله إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب" (رو ٨ : ١٥).

(٤) مشابهة المسيح بما فيها من امتيازات عظيمة فالرسول بولس يقول "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكر بين أخوة كثيرين" (رو ٨ : ٢٩). وهذه المشابهة ليست كاملة الآن لأننا في العالم وفي الطبيعة البشرية الضعيفة الساقطة ولكنها ستُكتمل في المجد "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣ : ١٨). وقد قال يوحنا الرسول "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه متى أُظهِرَ نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يو ٣ :٢).

(٥) منحنا الاطمئنان في أصعب الظروف التي يمكن أن تحيط بنا ففي جو الأسرة يتم كل شئ بحسب خطة موضوعة لصالح أفراد الأسرة. وقد لا يفهم الصغار سر بعض الأحداث المختلفة لكنهم يطمئنون ويثقون في حكمة أبيهم بأنه يعمل الصالح لهم وهكذا يقول الرسول بولس عن علاقتنا كأبناء للرب "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده" (رو ٨ : ٢٨) "وإن كان الله معنا فمن علينا" (رو ٨ : ٣١).

تشبيهات أخرى للفخاري في الكتاب المقدس

هناك تشبيهات أخرى كثيرة غير هذا التشبيه وردت في الكتاب المقدس مستمدة من بيت الفخاري مثل:

١- **صورة الخزافين صانعي الفخار في بيت الملك** الواردة في (١ أخ ٤: ٢٢ ، ٢٣) فهم الذين أقاموا هناك مع الملك لشغله وكانوا تحت الحماية الملكية والعطف الملكي وهم يشيرون رمزياً إلى تلك الشركة مع الرب التي هي ضرورة مطلقة حيث يكون العمل وفقاً لفكرة وفيها درساً لكل العاملين مع ملك الملوك السيد الرب أن يكونوا قريبين منه بصفة دائمة. ويكونوا مرضيين عنده مصغين لنداء حبه وكل عملهم يكون مرضياً عنه من الرب فيعملون لمجده وليس لمجد ذواتهم.

٢- **تشبيه المسيح بالفخاري الغاضب** في (مز ٢ : ٩) "تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم" وفى (رؤ ٢ : ٢٧) "فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أنا أيضا من عند أبى" وهنا نرى صورة فيها تشبيه للمسيح بالفخاري الغاضب الذي يحطم الإناء الفاسد قطعا قطعا وهنا نرى إشارة لقوة العدل من خلال الحديث عن قضيب الحديد والكلام هنا يحمل لغة الإنذار لعدم الخضوع والطاعة للملك ولكن لا يخلو من التلميح إلى المحبة فإظهار القضاء تمهيدا لإظهار الرحمة. وكثيرا ما يكون الضيق للمنفعة فيكون وسيلة لانخفاض الكبرياء وكسر الشموخ.

٣- **صورة الله باعتباره الفخاري الأعظم** في (أش ٢٩ : ١٦) "يا لتحريفكم هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعني أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم". وفى (أش ٦٤ : ٨) "والآن يارب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك". وقول الرسول بولس في (رو ٩ : ٢٠) "بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا". وهنا نرى كلا من النبي إشعياء والرسول بولس يقدمان لنا صورة تتشابه مع الصورة التي يقدمها لنا النبي ارميا في سفره (إصحاح١٨) بأن الله هو الفخاري الأعظم ونحن ما إلا الطين بين يديه يشكل فينا كما يحلو في عينيه. ويصلح فينا كيفما يريد.

٤ـ صورة سيادة الرب وسلطانه الواردة في (دانيال ٢ : ٤١) حيث يقدم لنا النبي دانيال في نبوته صورة لقدمي التمثال العظيم الـذي يمثـل السـلطة والسيادة الأمميتين إحداهما من حديد والأخرى من خزف الطين والحديد يرمـز إلى السلطان القوى، أما الخزف فإنه يرمز إلى الجماهير المتقلبـة وجميعـها سيضربها معاً الحجر الذي سيسقط سريعاً من السماء بظهوره الثاني فهو ملـك الملوك ورب الأرباب.

٥ـ صورة لحقل الفخاري الوارد الحديث عنه في (مت ٢٧) أن "حقـل الفخاري" تم شراؤه بالمال الذي دفع ثمناً لخيانة الرب يسـوع ليكـون مقـبرة للغرباء وما هذه الأرض التي نحن عليها الآن إلا حقل للفخاري الأعظم وقـد كانت ملكه دائماً وأبداً ولكنها بمعنى أصح تم شراؤها بألم موت ابن الله ومـا أفسحها من مقبرة فقد كان هو الغريب السماوي الذي دفن فيها أيضاً غير أنـه قام ظافراً وهو حي إلى الأبد.

رسالة إلهية شخصية إليك

إن الله أرسل هذه الرسالة قديماً للشعب بواسطة ارميا النـبي ويرسلها لك أنت اليـوم فكلمـة الله حيـة وفعالـة وأمضـى مـن كـل سيف ذي حدين خارقة إلى مفـرق النفـس والـروح والمفاصل مميزة أفكار القلب ونياته. وهو يريد أن يخاطبك أنت شخصياً ويكلمك في عدة أمور هامة من خلالها فيما يلي:

(١) عندما تمر بظروف صعبـة وتتصل بـك الأمـور إلى أقصـى درجة فلا تيأس. أرفع عينيك إلى الرب وثق إنه إلـه الرجـاء. وقـل

له ماذا تريد مني يارب أن أفعل؟ ومهما جاءك شعور وإحساس بالضياع والفشل فثق أن شعار الله دائماً هو إصلاح ما فسد لذا أرفع عينيك. إلى جبال المعونة بكل ثقة فإنه سيغير من حالتك لأنه هو الذي قال جئت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل.

(٢) أن الله خلقك على صورته وشبهه وميزك عن كل المخلوقات الأخرى بل جعلك تاجاً للخليقة كلها. فهل تحافظ على هذه الإنسانية وعلى الصورة الرائعة التي خلقك الله عليها. بل عليك أن تحافظ على إنسانية أخوتك من حولك فلا تهين أدميتهم ولا تعمل بتفكيرك وسلوكك على قتل حياتهم معنوياً أو فعلياً.

(٣) إن الله خلقنا أحراراً وبالسقوط في الخطية أصبحنا كلنا عبيد لكن في المسيح يسوع صرنا أحراراً حسب قوله إن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً فعليك أن تعلم أن حريتك يا آخي لها حدود وداخل إطار محدود لذا عليك أن تراعي ذلك حتى لا تكون سبب عثرة لغيرك. وعلى أن تطيع صوت الرب القديم صاحب السلطان المطلق على كل حياتك. أجعل شعارك دائماً في هذا الأمر ما قاله شاول الطرسوسي ماذا تريد مني يارب أن أفعل



رسالة إلهية إليك
رسالة
من
شعاع
نور
في
ليل
مظلم

كانت حياة السيد المسيح على الأرض رسالة حية عمليـــة فـــي تسـديد احتياجات الناس إذ يقول الكتاب المقدس عنه كان يجول يصنع خــيراً يشـفى جميع المتسلط عليهم إبليس. فقد جاء إلى عالمنا هذا وعاش بيننا وشارك الناس حياتهم في أفراحهم وفى أحزانهم أيضاً. دخل بيوتهم، حضر ولائمهم أكل على موائدهم. شفى مرضى. عزى حزانى. ضمد جراح. أوجد بسمه على وجـــوه يائسة بائسة. أنصف مظلومين. قوّى ضعفاء. كانت حياته رسالة خدمة حيـــة معبّرة قوية بين الناس. لا يمكننا أن نعبر عنها نحن الآن بكلمات مهما أوتينـــا بأبلغ التعبيرات وأفصحها.

جاء المسيح إلى عالمنا هذا ليمنح الناس حياة وحياة أفضل كما قال هـــو "أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو ١٠ : ١٠). جاء ليتمم الرســالة التي أُرسل من أجلها والتي قال عنها عندما دعي إلى مجمع الناصرة ودفع إليه سفر أشعياء "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشّر المساكين أرســلني لأشـفى المنكسري القلوب. لأنادى للمأسورين بالإطلاق والعمـــى بـــالبصر وأرسـل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو ٤ : ١٧-١٩).

ونحن الآن أمام موقف من مواقف خدمة السيد المسيح وهو معجـــزة مـــن المعجزات التي صنعها والتي نسميها بمعجزة صيد السمك الكثير. هذا الموقـــف الذي أمامنا نرى فيه يسوع يتواجد مع جماعة يائسة بائسة متعبة طوال الليل كلــه بلا نتيجة فكان وجوده معهم عبارة عن شعاعه نور في ليل مظلم بالنسبة لهم.

هذه المعجزة صنعها السيد المسيح على شاطئ بحيرة جنيسارت. ومعنـــى كلمة جنيسارت تعنى قيثارة، أي عزف الموسيقى لأن شكلها مثل القيثارة. وقـد أُطلق عليها في الكتاب المقدس بحر الجليل. وأُطلق عليها أيضاً بحيرة طبريـــة فكلها تسميات لبحر واحد.

ونحن الآن سنلقى الضوء لا على المعجزة في كل جوانبها ولكننا ســنلقى نظره بسيطة على جانب واحد فقط من المعجزة. وهـــو الإلــه الــذي صنــع

المعجزة ليعطينا الرب منه رسالة روحية مباركة تلمس قلوبنا. وسنكتشف من خلال الكلمات الواردة عن هذه المعجزة أن إلهنا هو إله البركة. وإله الرجاء. وإله العين البصيرة.

أولاً: إلهنا إله البركة

سفينة خالية وببركة الرب تمتلئ بالسمك

عندما دخل السيد المسيح سفينة بطرس تسلمها منه خالية تماماً من السمك لا يوجد فيها أي سمكة واحدة لا كبيرة ولا صغيرة. والدليل على ذلك قول بطرس يا سيد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ألا أن الرب بارك له لا أقول حتى امتلأت السفينة بل إن السفينة أصبحت سفينتين حتى أخذتا في الغرق من كثره السمك وشباكهم كادت تتخرق من كثرة السمك. وهذا يؤكد لنا إن إلهنا هو مصدر كل البركات.

خبزات قليلة تشبع آلاف كثيرة

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي بارك الرب فيها بل هناك الكثير جداً من المواقف الأخرى التي تمجد الرب فيها، وحل ببركات غير عاديه على شعبة فنراه يمسك بخمسة خبزات وسمكتين ويشكر عليهم ويعطى التلاميذ الذين شعروا أنهم في ورطة، ولم يجدوا حلاً لها. والتلاميذ أعطوا الجموع الملتفين حول يسوع فأكل وشبع خمسة آلاف غير النساء والأطفال وأكلوا وشبعوا وزاد اثنتي عشرة قفة" (مت١٤ : ١٣-٢١).

وهو إله البركة الذي بارك أيضاً في سبعة خبزات وقليل من صغار السمك فأشبعت أربعة آلاف غير النساء والأطفال بل وزاد منهم سبعة سلال مملوءة. (مت ١٥ : ٣٢-٣٩).

ملء كف دقيق يعالج مجاعة

وهو نفس الإله الذي بارك في ملء كف دقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز عند أرملة صرفه صيدون فسدد احتياجاتها هي وابنها

واحتياج نبي الله إيليا أيضاً حسب وعد الرب الذي نطق به إيليا "..كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً على وجه الأرض "وبالفعل أكلت الأرملة هي وابنها ورجل الله إيليا وعاشت بما بقى إلى أن أعطى الرب مطراً على الأرض" (١ مل ١٧ : ٨ -١٦).

دهنه زيت تحل أزمة كبيرة

وهو نفس إله البركة الذي بارك في دهنه زيت للأرملة التي كانت من بني الأنبياء وترك عليها زوجها بعدما مات دين وجاء المرابي يأخذ ولديها مقابل هذا الدين فملأت كل الأوعية وباعت الزيت وسددت الديون التي تركها الزوج وعاشت بما بقى هي وولديها (٢مل ٤ : ١-٧).

جاء شخص إلى أحد الحكماء وسأله سؤال بسيط وبأسلوب بسيط قائلاً "كيف يمكن للمسيح أن يشبع جائعاً أو يروى عطشان أو يساعد إنساناً؟ فأجابه أفرض أنك صدقتني فيما أقول لك من أن المسيح الذي عاش منذ عشرين قرناً على الأرض، قد عاد بنفسه وأخذ يجول صانعاً خيراً كما كان مانحاً الناس بحكمته وشفقته كل ما يحتاجون إليه، من خبز وماء وقوة وعزاء وشفاء. وأفرض أنك كنت في شدة وآلم، وأني أرشدتك إلى موضع يقيم فيه يسوع. فماذا كنت تفعل؟ فأجابه السائل كنت أترك كل شئ وأذهب إليه لينقذني مما أنا فيه. فقال الحكيم والأمر كذلك الآن فإن المسيح لا يزال حياً وهو موجود بيننا بكلمته وروحه وقد قال هو نفسه "وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" فلا تقل أن المسيح هنا أو هناك بل إنه فيك أذهب إليه وأنفرد به في غرفتك، وبث إليه ما تشعر به من آلم وتعب وعطش روحي. إن هذا اختبار الملايين ممن القوا عليه همومهم فأفرجها وأفضوا إليه بكل متاعبهم فأراحهم، وبكل أحزانهم فعزاهم وقد شهدوا بأنه لولاه ما نالوا هذه القوة. هذا هو مجد المسيح. أنه حي يقدم العون في كل حين. وها هو يدعوك الآن قائلاً: إن كنت عطشان فأقبل إليّ وأشرب فتحيا. هذه حقيقة هامة إذا أردنا أن الله يبارك لنا في حياتنا فيلزمنا أن نملكه الحياة بالكامل فيكون سيداً علينا بالكامل. ولا نلجأ لغيره ولا نعتقد أنه بعيد عنا لكنه قريب وقريب جداً.

وهناك الكثير جداً من الأمثلة الكتابية الأخرى التي توضح وتؤكد لنـــا أن إلهنا هو الإله الغنى الذي يفيض ببركاته علينا والمجال هنا لا يسع لذكر كـــل هذه المواقف لكننا نكتفي بما ذكرنا من أمثلة تؤكد أن إلهنا دائماً وأبداً يبارك لنا في كل ما نملك لأنه قادر ولأنه يملك الذي قال عنه داود فـــي (مـــز ٢٤: ١) "للرب الأرض وملؤها. المسكونة وكل الساكنين فيها". وقال عنه المرنم فـــي (مز ٩٥ : ٤ ، ٥) الذي بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال له الـــذي لـــه البحر ويداه سبكتا اليابسة".

هل ترغب أن الله يغمرك ببركاته

الله يبارك لنا في بيوتنا – في أولادنا – في أجسادنا – فـــي مشـــروعاتنا ولكن بركته هذه مرتبطة بعده شروط رئيسية هي:

الشـــرط الأول: أن نضع كل ما نملك بين يديه ولنثق أن كل قليـــل بيـــن يديه يصير كثيراً جداً. بطرس هنا سلمه السفينة فارغة وأطاع كلامه. ســـلمه التفكير – سلمه الإرادة بالكامل. فبارك له الرب وأعطاه سمكاً كثـــيراً جـــداً. والتلاميذ سلموه خبزات قليلة وسمك قليل جداً فأشبع الآلاف الكثيرة جداً.

الشـــرط الثاني: أن ننسب البركة لمصدر البركة مشكلتنا أننا في أحيـــان كثيرة لا ننسب البركة لمصدرها. أو لا نعرف بالضبط أين مصدرها ونعتقد أن كل ما بين أيدينا هو بفضل جهودنا فقط وتعب أيدينا. صحيح مجهودنا وتعـــب أيدينا مطلوب وله دور كبير في نجاح حياتنا ألا أننا لا يجب أن ننس أبـــداً ولا يغيب عن خاطرنا لحظة واحدة أن الله هو المصدر الرئيسي للبركة.

تحكى قصة قديمة عن إنسان كان يعمل أستاذاً للفنون الجميلة في مجـــال الرسم والحفر. وكان يكلف تلاميذه بعمل بعض اللوحات الفنية فكانوا يبذلـــون فيها جهداً كبيراً ومن شدة التعب والإعياء في بعض الأحيان يأتي فيجدهم نياماً بجوار رسوماتهم وأعمالهم الفنية. فكان الأستاذ يمد يده الفنية الماهرة ليصلـــح ويكمل ما يبدو في أعمالهم من خطأ أو نقص فيستيقظون لـــيروا مـــا يذهلـــهم ويدهشهم. أليس هذا هو نفس ما فعله يسوع المســـيح معنا؟ إذ يرانا نجاهد فـــي

سبيل الحياة المسيحية إلى جانب اعترافنا به رباً ومسيحاً فيكمل هو بذاته ما فينا من نقص وقصور.

الشرط الثالث: أن تكون حياتنا هي حياة الشكر الدائم للرب. فالمسيح عندما أشبع الجموع أمسك القليل جداً بين يديه ورفع عينيه إلى السماء وشكر الأب فحلت البركات. ونحن إذا أردنا أن الله يبارك لنا في حياتنا بكاملها علينا أن تكون حياتنا هي حياة الشكر الدائم للرب. على الحلوة وعلى المرة ولا نتذمر أبداً عليه.

الشرط الرابع: إعطاء الرب حقه يقول النبي حجى في سفره "زرعتم كثيراً ودخلتم قليلاً. تأكلون وليس إلى الشبع. تشربون ولا تروون تكتسون ولا تدفأون. والآخذ أجرة يأخذ أجره لكيس منقوب" (حجى١: ٦) معنى هذا الكلام أنه لا توجد بركة في البيت بالمرة.

دعونا نلقي نظره على حياتنا الشخصية وأحوالنا وأحوال بيوتنا ونحاول أن نعرف السر في عدم وجود بركة في بعض الأحيان أو عند البعض من الناس لماذا تكثر الديون باستمرار؟ لماذا يلتهم الدخل مهما كان كثيراً؟ لماذا الأنين؟ لماذا الهموم؟ لماذا تضعف الصحة؟ عندما نجيب على هذه الأسئلة ونحلل المواقف المختلفة سنجد أسباباً كثيرة لذلك لكن علينا أن نتأكد تماماً أن السبب الرئيسي هو أن حق الرب ضايع ومهضوم.

لذلك يقول الرب "أكرم الذين يكرمونني ..أما الذين يحتقرونني يصغرون" (اصم٢: ٣٠). ويقول ملاخي موضحاً كيف أن الشعب سلب حق الله في العشور والتقدمة إذ يحاورهم الرب ويوضح لهم سر اللعنة في أخذ حق الله وسر البركة في رجوعهم وتوبتهم وإعطاء الله حقه" من أيام أباكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها. أرجعوا إلى أرجع إليكم قال رب الجنود. فقلتم بماذا نرجع. أيسلب الإنسان الله. فإنكم سلبتموني. فقلتم بما سلبناك. في العشور والتقدمة. قد لعنتم لعناً وإياي أنتم سالبون هذه الأمة كلها. هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا قال رب الجنود أن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع. وأنتهر من أجلكم الآكل. فلا يفسد لكم ثمر الأرض ولا يعقر لكم الكرم في الحقل.

قال رب الجنود. ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة قـــال رب الجنود "(ملا ٣: ٧-١٢).

وكلام الرب هنا في نبوه ملاخي يذكرنا بالفيضان في قصة نوح والفلك ولكن شتان الفرق بين الفيضان في أيام نوح والفيضان الوارد في قول ملاخي. فالفيضان الذي كان أيام نوح كان من الماء لإغراق البشر الذين عصوا ولـــم يسمعوا لكلام الرب وضلوا وبعدوا عنه. أما الفيضان الذي نتكلم عنه هنا فـــي نبوه ملاخي فهو فيضان من البركة على الناس عندما يعطون الله حقه.

لا تتعجل فالبركة تأتيك تدريجياً

عندما نتأمل بدقة في إبراهيم نجد أنه كان قريباً جداً مـــن الله. ويصغـــي إصغاءً تاماً لصوت الله ومطيعاً لكل ما يأمره به. حتى أن الله يقول عن علاقته بإبراهيم "إبراهيم خليلي" وكإنما الله يعتز بالصداقة مع إبراهيم ويفخر بها. لذلك أعطى الله لإبراهيم سبعة وعود مباركة جاءته بطريقة تدريجية. بـــدأت هـــذه البركة السباعية العظيمة بالكثرة إذ أن الله يقول له "أجعلك أمة عظيمة" وكـــان ذلك تعويضاً له عن العزلة التي ســـيعانيها، والأمـــة التـــي ســـيخلفها وراءه ويستبدلها بأمة كنجوم السماء في الكثرة، وكعدد الرمل الذي على شاطئ البحر الذي لا يمكن أن يعد ثم البركة إذ أن الله يقول له "وأباركك" لأن الكثرة وحدها بدون البركة تصبح لعنة وشقاء. ثم الدرجة الثالثة في السباعية المباركة هـــي العظمة إذ أن الله يقول له "وأعظم اسمك" والبركة لابد أن تحقق لـــه العظمـــة الحقيقية بل هي التي تفرق بين العظمة الصحيحة والعظمـــة الكاذبـــة الوقتيـــة الجوفاء ثم بعد ذلك منحه "الخير" أو في لغة أخرى أن عظمة إبراهيم ليســـت كالبئر الأسنة تحتوى على مائها في جوفها العميق بل هي النهر المتدفق الـــذي يرسل خيره ونعمه للآخرين. وقد جرى هذا الخير في حياة إبراهيم ومـــا زال يجرى حتى الآن وسيستمر إلى أخر الدهور في الذين ساروا فـــي طريـــق الله مثل إبراهيم. ثم السعادة إذ يقول له الرب "وأبارك مباركيك" وكل من يصـــير صديقا يقف إلى جانب الحق والخير، لا بد أن تناله بركات الرب. ثم الضمـــان الإلهي إذ يقول له الرب "ولاعنك ألعنه" فالله يزيل من الطريق كل مـــن يقـــف ضد هذا الصديق العزيز المبارك لله. ثم أخيرا النعمة الغـــامرة إذ يقـــول لـــه

"وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" وهى قمة البركة في حياة هذا الرجل العظيم وهى التي يطل فيها النسل المبارك وهو يسوع المسيح على العالم كله والتاريخ والأجيال الآتية هذا هو سلم البركة الذي منحه الله تدريجياً لإبراهيم خليله، ويمنحه لكل إبراهيم فينا يسير باستقامة مع الله.

ثانياً: إلهنا إله الرجاء

وصل بطرس إلى طريق مسدود جعله يمتلأ باليأس ويتضح ذلك من عباراته التي نطق بها أمام المسيح إذ قال "تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً" (لو ٥ : ٥) فلو تخيلنا إنساناً يعمل طوال اليوم خارج بيته بكد وكفاح ليرجع إلى أفراد أسرته بالقوت اليومي وهم في انتظاره ليملأ جوفهم لكنه يرجع إليهم فارغ اليدين وكل مجهوده يساوى صفر! ما هي الحالة النفسية التي يمر بها هو؟ وما هي الحالة النفسية التي تكون عليها الأسرة التي تنتظره لتأكل وتنفق على أفرادها هكذا كانت حالة بطرس.

شعاع نور وسط ظلام اليأس

المسيح هنا يملأ قلب بطرس اليأس بالأمل والرجاء ويقول بطرس في طاعة كاملة لكلام السيد "ولكن على كلمتك ألقي الشبكة". بمعنى أنه بالرغم من كل ما مررت به من ظروف تستدعى اليأس لكن ما زال يوجد أمل. كم من مرات ألقى بطرس الشبكة ولم تصطاد شيئاً بالمرة. لكن عندما دخل الرجاء قلبه تغير الحال وبدأ يفكر ويتصرف بنور جديد. بطرس هنا يعلمنا الدرس أن نعمل ونكد ونكافح ونضع الرجاء نصب أعيننا فالرجاء دائماً يدفعنا للنجاح أما اليأس فيدفعنا للفشل.

سمع نحميا عن بلد الأباء والأجداد أنها خربة وسورها منهدم وأبوابها قد أحرقت بالنار والباقين فيها هم في شر عظيم وعار فوضع في قلبه الإصلاح والبناء والتعمير. فواجهته معطلات وتحديات لا حصر لها كانت صعبة للغاية. لكن نحميا وضع نصب عينيه الرجاء وعن طريق الرجاء استطاع أن ينجح وينجز ويبنى سور أورشليم المنهدم ويبنى الشعب روحياً مع عزرا بعد ذلك.

يحكى التاريخ عن شخص يعتبر من أعظم المرسلين المبشرين للمسيحية في القرن العشرين يدعى اسمه جونس هذا الإنسان جاءته لحظه وصل فيها إلى قرارة اليأس والفشل في خدمته. إذ اعتل جسده من المرض، واعتلت نفسه أيضاً لما لاق في العمل من متاعب وصعوبات. وفى ذات يوم خرج يائساً مهموماً وظل يسير حتى بلغ شجرة أستلقي في ظلها، وفى لحظة التعب والضيق جاءه صوت هامس قائلاً يا جونس هل يئست؟ فاجابه يئست جداً يا سيدي فقال له الصوت أرفع عينيك إلى فوق وأنظر هذه التفاحة وخبرني كم تعبت حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من النضوج والجمال. فأجاب جونس إنها لم تتعب يا سيدي بل تركت نفسها للعصارة والمياه الآتية إليها من أمها الشجرة. فأجابه الصوت هذا ما تحتاج إليه أنت. دع العصارة والماء ينسابان من ربك ومخلصك يسوع إليك وسترى كم يغذيك ويرويك ويقويك. وانفتحت الينابيع العظيمة وتدفقت المياه بين جونس والمسيح. لقد ارتوى من الماء الحي وكانت هذه نقطة تحول في حياة المرسل الكبير فلنقبل إلى المسيح ونرتوي ونشبع منه وسنجد فيه نبع لكل رجاء نحن في حاجه إليه.

إن كان الله معنا فمن علينا

في قصة إنقاذ الشعب اليهودي في سفر أستير وصل الشعب إلى مرحلة لا يوجد فيها من وجهة نظرنا أي بسمة أمل وشعروا أن كل الأبواب قد أوصدت أمامهم والحكم عليهم سينفذ بإهلاكهم لكن رجاءهم في الله الحي وصلواتهم وصومهم وتكريسهم جعلهم يبحثون عن محاولات جديدة للإنقاذ حتى أن مردخاى يكلم أستير بلغة الرجاء في الله الحي ويقول لها "إن سكتي سكوتاً يأتي الفرج من مكان أخر. والمكان الأخر الذي يقصده هو من عند الرب. وبالفعل تغير الحال وتمت المؤامرة المريرة لهم لإهلاكهم وموتهم في أعدائهم. نعم إن كان الله معنا فمن علينا.

هناك أسطورة يونانية لشخصية اسمها بندروا تقول أن الإلهة أهدتها في يوم زفافها صندوقاً مقفلاً، مملوءاً بالبركات الكثيرة وحظرتها من فتحه لئلا تطير البركات منه فتطير معها سعادة البيت ورفاهيته. وحدث أن بندروا

رغبت في أن تعرف ما فيه فما كادت تفتحه حتى طارت منه البركات كلها، ومعها سعادة البيت ورفاهيته. فجزع زوجها وأخذ يتعجب نادباً سوء حظه لكن بندروا تقدمت إليه في هدوء وسكينه وقالت له "يا زوجي العزيز لا تجزع ولا تضطرب، فلو كنا قد فقدنا كل شئ فإن شيئاً هاماً جداً لم نفقده بعد ألا وهو الرجاء. نعم إننا أن خسرنا كل الأشياء من حولنا وكنا نملك الرجاء فنحن نملك كل شئ لأننا بالرجاء نعوض كل خسارة قد خسرناها".

نعم يوجد رجاء

مر أيوب بتجارب صعبة جداً بسماح من الرب فكانت عبارة عن قنابل متفجرة الواحدة تلو الأخرى وأوصلت أيوب إلى مرحلة الصفر إذ أنه فقد كل ما يملك مادياً وبشرياً وبعد مروره بهذه التجارب الصعبة دار حوار بينه وبين أحد أصدقاءه اسمه صوفر النعماتي في ص١١ من سفر أيوب قال له الصديق كلمات كانت عبارة عن بلسم للجراح "وتطمئن لأنه يوجد رجاء". أبعد كل هذا يوجد رجاء. نعم في الرب يوجد كل رجاء.

يقول المرنم في (مز ٤٢) مخاطباً نفسه "لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين في ارتجى الله لأني بعد أحمده". وقد تكررت هذه الكلمات عده مرات في نفس المزمور. ويشعر المرنم هنا إن نفسه حزينة جداً حتى وصلت إلى مرحلة الانحناء من كثرة الهموم والأنين ويتسأل في داخله" لماذا أنت منحنية.. لماذا تئنين في وهناك باباً للرجاء عند الرب.. غيري نظرتكِ يا نفسي.. غيري اتجاهاتكِ من اليأس البؤس إلى الرجاء والأمل عند الرب.

لحن الرجاء في دنيا سادها الظلام

قرأت عن فنان رسام مبدع أبدعت يديه فرسم صورة مُعبّرة بعنوان الرجاء. رسم فيها امرأة عمياء تجلس على كرة مظلمة هي الكرة الأرضية. أمسكت بيدها قيثارة تقطعت كل أوتارها ولم يبق فيها ألا وتر واحد والمرأة تحاول بإصرار وعزيمة وهى مليئة بالرجاء إن تعزف على هذا الوتر الواحد الباقي حتى أخرجت منه لحن رائع أسمته "لحن الرجاء". أحياناً نرى الدنيا قد

أظلمت من حولنا ونشعر باليأس وكل قيثارة نمسك بها نجدها محطمة لكن مع الأمل والرجاء والعزيمة يمكننا أن نخرج أعذب الألحان ولا ننس أبداً أن إلهنا لم يعطينا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح" (٢ تيمو ١ : ٧).

المسيح رجاء العالم

منذ فترة أنعقد في أمريكا مؤتمر للأديان المختلفة حضره مندوبون عن ستة وثلاثين ديانة وكان الموضوع الذي دار البحث عنه هو "بما تفضل ديانة على أخرى" فكل ممثلين لديانة أبرزوا ما هو الأفضل في ديانتهم ولا يوجد بالديانات الأخرى وعندما جاء دور المسيحية تكلم المندوب وأشار مسترسلاً بإسهاب لحادثه قتل معينة وهي حادثة موت المسيح وفدائه لنا وحب المسيح للبشرية المرتبط بهذا الفداء ثم بعد ذلك التفت إلى مندوبي سائر الأديان وقال متسائلاً هل عندكم أيها السادة في أديانكم علاج للتطهير من الخطية كما عندنا؟ وأشار في حزم وتوكيد إلى المسيح رجاء العالم ورافع خطاياه وماحي ذنوبه بدمه على الصليب.

اليأس أساس كل داء

قرأت أسطورة تقول أن إبليس ذات يوم عمل معرضاً يبيع فيه جميع ممتلكاته. وجاءت الناس تشترى منه فوجدوا من ضمن المعروضات للبيع علبة مكتوب عليها هذه ليست للبيع. فالناس تهافتت عليها لأن الممنوع مرغوب عند الإنسان. فسألوا إبليس لماذا لم ترغب في بيع هذه العلبة؟ قال لأن فيها شئ ثمين جداً بالنسبة لي هو اليأس وعن طريق اليأس أستطيع أن أدخل لحياة الناس وأدخل إليهم مع اليأس الشك والإلحاد والإقدام على الانتحار واغتيال الآخرين والانحراف والسرقة والتفكك الأسرى وغير ذلك مما أرغب أن افعله فيهم. هذه الأسطورة تؤكد أن اليأس أساس كل داء كما أن في الرجاء كل دواء.

إن الله دائماً من خلال كلمته وبصوته الحنون وبروحه القدوس دائماً ينادى كل فرد فينا. يا من لديك مشكله عثرة الحل ضعها أمامي فأنا إله الرجاء. يا من لديك ظروف صعبة تكاد تحطمك وتؤرق منامك وتزعجك

وتهدد سلامك سلمها لي وثق في أنا إله الرجاء. حقاً إن إلهنا هو إله الرجـــاء الذي يستطيع أن يحيى العظام اليابسة جداً المتناثرة ويصنع منها جيشاً عظيمـاً جداً يحارب ضد الخطية.

ثالثاً. إلهنا إله العين البصيرة

عندما صنع السيد المسيح معجزة صيد السمك الكثير هذه لم يخلق كميـة جديده من السمك. لكن بعينه الثاقبة رأى مكان السمك. فعينه هنا ترى ما لـــم تراه عين الإنسان.

عينا الرب تخترقان أستار الظلام

عين بطرس محدودة في رؤيتها لأنها بشرية أما الرب فيقول عنـه يوحنـا الرائي له عينان تخترقان أستار الظلام. له عينان كلهيب من نار. الغـارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟ إنه يرى الخفايا التي لا نسـتطيع أن نراهـا نحن. يقول عنه ارميا في نبوته "فاحص القلوب ومختبر الكلـى" (أر ١٧ : ١٠) فهو يرى كل شئ دفين فينا.

أخي قد يكون هناك احتياج معين في داخلك وأقرب الناس إليك لا يعلمـه. لكن يسوع بعينه الثاقبة يراه ويسدده لك. قد يكون هناك مجال خدمة معين لـك خلف الستار. وشعب كنيستك والمسئولين فيها لم يروك بالمرة ولم تسمع كلمـة شكر منهم يوماً من الأيام. ثق أن يسوع صاحب العين الثاقبة يراك ويكـافئك. فهو يكافئ على كأس ماء بارد يقدم باسمه فلا يضيع أجره. قد يكـون هنـاك شعور بذنب في داخلك نتيجة خطأ معين قد صدر منك وهذا الأمر يؤلمك بيـن الحين والأخر. ثق أن يسوع يفهمك ويفهم مـا يتعبـك. ودم يسـوع المسـيح يطهرك من كل خطية متى لجأت إليه وفتحت له باب قلبك. فهو الـذي قـال للمفلوج الشاعر بذنبه "مغفورة لك خطاياك" فتغيرت حالتـه تمامـاً وانتعشـت روحه فيه وفرح وتهلل وهو يفعل معنا هكذا بصفة دائمة.

قد تكون هناك عادة معينة خفية مسيطرة عليك لم يراها أحد. وأمام الناس صورتك تكون أجمل ما يكون ولم تستطيع أن تتخلص منها. لكن يسوع يـراك على حقيقتك لأنه لا شئ عنه يخفى وهو على كل شئ قدير.

يمكنك أن تأخذ لك شعار يساعدك في أوقات الشدة والظروف الصعبة المختلفة التي تمر بها ضعه أمامك دائماً. ردده كثيراً. فكر فيه هو "أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني".

إلهي ما أعظمك

لأنك إله البركة: ساعدنا حتى نعطيك الحياة بجملتها لتكون أنت ملكاً وسيداً عليها فتمنحنا من بركاتك العظيمة.

لأنك إله الرجاء: ساعدنا حتى ندرك تماماً أنك تستطيع أن تنقلنا من اليأس والفشل إلى الرجاء والنجاح. تستطيع أن تحيى كل عظام يابسة فينا ملقاة لا قيمة لها وتصنع منها جيشاً عظيماً لك.

لأنك إله العين البصيرة: الذي ترى ما لم نراه نحن ولم يراه أقرب الناس إلينا فينا أعنا أن نراك على حقيقتك وأكشف عن أعيننا فنرى عجائب من شريعتك وندرك عظمتك وسلطانك وحبك وحنانك.

رسالة إلهية شخصية إليك

إن اللّه يريد أن يخاطبك أنت شخصياً من خلال هذه الرسالة ويريد أن يوجهك فيها لأهم الأمور في حياتك وهى:

١ـ من المهم أن تعرف أين هو مصدر البركة فربما تكون سفينة حياتك خالية تماماً من بركات الرب وتتعب نفسك كثيراً دون جدوى وتتخبط في مسيرة حياتك بلا هدف فثق أن الأمر هنا يحتاج إلى لجوء للرب ليشخص حالتك ويغير ظروفك وربما تكون إمكانياتك هي خبزات قليلة جداً لكن مع رفع صلاة شكر للرب مع مثابرتك ومجهودك فهذه الخبزات القليلة تعمل عملاً عظيماً.

٢ـ ربما تشعر أن الدنيا قد أصبحت كلها ظلام أمامك فالله يؤكد لك من خلال هذه الرسالة إنه مازال يوجد شعاع نور وسط الظلام وتوجد بسمة أمل وسط اليأس حاول أن تستفيد منها. كافح وثابر على قدر ما تستطيع وسلم أمورك للرب وضع في الاعتبار إن إلهنا لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح فهو بسلطانه يحيي العظام اليابسة ويحولها لجيش عظيم.

٣ـ إنك إنسان محدود مهما سموت بفكرك وقدراتك وإلهنا هو إله عظيم غير محدود. فهو يرى ما لم تراه أنت لذا لا يغيب عن خاطرك لحظة واحدة أن كل أمور حياتك مكشوفة أمام عينيه ظروفك الشخصية. مشكلاتك ومعاناتك. قدراتك وإبداعك. ملكاتك وخدماتك كلها مكشوفة أمام عينيه وهو غير غافل عنك. بل إنه يحرك الكون كله بأصابعه لذا يسدد لك كل احتياجاتك في التوقيت المناسب وبحسب إرادته الصالحة لحياتك.


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
مدرسة
الألم

حياة الإنسان كالبحر المتقلب لا تدوم على حال فدوام الحال من المحال. مرة تعطينا كأساً حلوة ومرات تقدم لنا كئوس المرارة والحنظل. مرة تُقبل إلينا ومرات تدبر عنا. مرة تصفو لنا وتصافينا ومرات تخذلنا وتجافينا وهذه الصور المختلفة في وضعها وموضوعها ما هي إلا حلقات متنوعة في سلسلة العناية الإلهية. يسمح بها الله تعالى فتعمل معاً وفق تدبيراته السرمدية وتنتهي حسب مشيئته الإلهية.

وجميع حوادث الحياة التي نمر بها ليست هي بنت الصدفة ولا القضاء والقدر لكن هي في الحقيقة نتيجة لأن إصبع القدير تتحرك فتدير دفة الكون كله فتعمل كل الأشياء معاً للخير للذين يحبون الله.

كثيراً ما نتصور أن الآلام هي مصائب لكن في حقيقة الأمر هي مواهب يأتمن الله عليها النفوس الكبيرة وكلما كبرت نفس الإنسان كلما زادت آلامه. قال أحد القديسين "إن الألم لازم أشد اللزوم للتعمق في حياة الروح ولإبعاد النظر ولتقوية روح المواساة في البشر. مساكين هم الذين لم يتعلموا في مدرسة التجارب والآلام إن الحياة الرغدة الهادئة الخالية من الصعاب والآلام لا تخلق العظماء ولا تشدد وتقوى الأبطال. فالألم لازم وضروري وله رسالة عظيمة في حياتنا لو علمناها لشكرنا الله عليها بل لطلبنا المزيد منه.

لماذا يسمح الله لنا بالألم

في أحيان كثيرة نتسأل لماذا يسمح الله لنا بالألم؟ لماذا يسمح لنا بخسائر فادحة؟ لماذا يسمح لنا بآمال ضائعة؟ لماذا يسمح لنا بأمراض فتاكة؟ لماذا يسمح لنا بأزمات خانقة؟ لماذا يسمح لنا بفقر ومجاعات قاتلة؟ لماذا يتألم أطفال أبرياء؟ لماذا نرى أبرار يتعذبون وأشرار يتنعمون؟ لماذا يرتفع الظالم فوق الناس ويُداس البرى بأرجل الأنجاس؟ لماذا يأخذ الله رب الأسرة وعائلها في سن مبكر؟ لماذا يأخذ الله الابن الوحيد من أحضان والديه؟ لماذا..لماذا ...؟ ولماذا؟ كلها أسئلة نتسأل بها في حيره شديدة عندما تقف مشكلة الألم أمامنا

كمشكلة عظمى فتربك عقولنا وتؤلم قلوبنا ونشعر أن الخليقة كلها تئن من حولنا. كلها بلا استثناء تئن وتتمخض والعالم نراه مليئاً بالأحزان والأشجان والهموم والآلام. آلام تهدم الجسد وتحطم القلب آلام كثيرة خطيرة وتجارب متنوعة مريرة .

الألم لغز محير يُفك بالإيمان

إن الألم يبدو أمامنا عبارة عن لغز محير أمام عُقد متنوعة ومشاكل متعددة لكن بقليل من التعقل والاتزان والتسليم والإيمان تنحل أمامنا هذه المعضلات. وأمام القدرة العلوية والحكمة الإلهية تتفك هذه الطلاسم من أمامنا ونسلم في خضوع كامل لحكمة الله الفائقة التي قال عنها الرسول بولس يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه السابق. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء (رو ١١ : ٢٣) والتي قال عنها النبي إشعياء "لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم" (أش ٥٥ : ٩).

عظيمة هي أعمال الله

أمام قوة الكلمة الإلهية الكاشفة ونور وجه المسيح المشرق تتبدد غيوم الشكوك والحيرة مهما كانت مظلمة وقاتمة ونردد مع المرنم "ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت" (مز ١٠٤ : ١٤) لقد أجتاز تلاميذ المسيح ذات الاختبار الذي نجتازه نحن فوقعوا في حيرة أمام مشكلة الألم وحكمة الله فيه. وسألوا السيد المسيح مرة وهم يتأملون في رجل مولود أعمى "يا سيد من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى" أجابهم السيد "لا هذا ولا أبواه ولكن لتظهر أعمال الله فيه" (يو ٩ : ٣).

ويأتي أمامنا السؤال ما هي رسالة الألم في حياتنا؟ إن للألم رسالة عظيمة كبيرة متسعة في حياتنا نحاول أن نجملها في ثلاثة جوانب وهى:

أولاً: الألم يزيدنا اقتراباً من الله

ثانياً: الألم يؤهلنا إلى مجد أعظم

ثالثاً: الألم ينقى الشوائب من حياتنا

نتأمل في هذه الرسالة الثلاثية في كل جانب على حده فيما يلي:

أولاً: الألم يزيدنا اقترابا من الله

يحدثنا الوحي الإلهي عن ملك من ملوك مملكة يهوذا كان اسمه "منسي تولى المُلك وهو في سن الثانية عشرة من عمره وفتح عينيه فإذا به يرى جلال الملك وبهرجة العرش فبدلاً من أن يمجد الله ويذكره في شبابه ويعمل بقول الحكيم "أذكر خالقك في أيام شبابك" لكنه أندفع وراء لذات نفسه. وبدلاً من أن يقدس الله في هيكله دنس هيكل الله بالأصنام، انحنى ليسجد للتمثال والبعل، فأستخدم الله الألم لإرجاعه. والحقيقة أن الله لم يستخدم الألم مباشرة لإرجاعه لكنه أستخدم معه طرق أخرى للتحذير والتنبيه وأرسل له أصوات متعددة بغية إرجاعه من شره وفساده فكان من ضمن هذه الأصوات التي كان الله يكلمه من خلالها هي ذكرى أبيه التي لا شك أنه استعادها مرات كثيرة في ذهنه. وصوت الذكريات الآتي إليه من بيت الرب المقدس كان من أقوى الأصوات وأجملها. وكان أيضاً من بين الأصوات التي ناداها الله له للرجوع والعودة عن حياة الشر هو صوت الأنبياء وكان من بينهم النبي إشعياء.. الذين لا شك أنهم تحدثوا إليه وحذروه من نتيجة الخطية والشر ولكنه لم يسمع لهم وأوغل في الخطية أكثر. وأخيراً أرسل له الله صوت قاس شديد هو صوت الألم إذ يقول عنه الكتاب أن جنود ملك أشور حاصروه أخذوه بخزامة وقيدوه في يديه ورجليه بسلاسل نحاس. وهنا حدث له ما قاله الرب لسنحاريب عندما هاجم أباه حزقيا "أضع خزامتي في أنفك وشكيمتي في شفتيك" ولكن للأسف الخزامة وضعت لا لحزقيا ولكن لابن حزقيا الذي فعل الشر ولم يسمع لصوت النصح والإرشاد.

أمام الألم تسقط الكبرياء الذاتية

وهكذا كل إنسان لا يسمع لصوت النصح والإرشاد يستعمل الله معه بعد ذلك صوت الألم القاسي الشديد. وأمام الألم تسقط الكبرياء البشرية الذاتية. وهذا ما حدث بالفعل مع كثيرين تكبدوا ونسوا الله ونسوا حقيقة ذواتهم فأذلهم الرب فرجعوا إليه.

الألم يوسع مداركنا ويعمق مفاهيمنا

لقد أحدث الألم تغييراً كلياً في حياة منسي بمقياس ١٨٠ درجة. فقد جدف على الله سنوات طويلة بالقول والفعل وأدرك أخر الأمر عاقبة التجديف ولم تستطع الآلهة التي تعلق بها سنوات طويلة أو السحر أو الجان أو العرافة التي مارسها أن ترفع عنه الذل الذي وصل إليه. لقد سقطت القشور من عينيه فأدرك الحقيقة التي غابت عنه سنوات طويلة. وعرف لماذا أنتهي به الله إلى الألم العميق الذي وصل إليه.

الألم يقودنا إلى الخشوع والأتساع

لقد قاده الألم لي الاتجاه الصحيح الذي ينبغي أن يتجه فيه لقد أنزله إلى وادي الاتضاع العميق "وتواضع جداً أمام إله آبائه". (٢ أي ٣٣ : ١٢). ومن الثابت أن هذا الأتساع لم يكن مصطنعاً إذ كان أمام عيني الله اللتين تدركان الحقيقة الخافية الغائرة في أعماق النفس. ولم يكن مؤقتاً إذ كان درساً صحيحاً مستقراً للحقيقة الشاملة لقصة حياته بأكملها.. وها كل شئ يمثل أمام ذاكرته وخياله كالصور اللامعة المطبوعة التي تتجمع أمام وجدانه وضميره.

الألم يوقفنا أمام محكمه الضمير

إن الألم جعله يدرك حقيقة حاله بدون أدنى إضافة أو نقص أو رتوش فقد دخل الملك منسي محكمة الضمير. وكلما تحسس مكان الخزامة التي وضعت له أدرك حالته الحيوانية التي وصل إليها. وكلما وضع يديه على قدميه في موضع السلاسل النحاسية التي قيد بها. كلما تذكر بحر الدم الذي خاضه في أورشليم وهو يقتل القديسين الأبرياء. وكلما تطلع إلى الأمام أو إلى الخلف وهو يهدم ما بناه أبوه ويبنى ما هدم الأب يحس بالذنب العظيم الذي اخطأ به إلى الله وهو يقلب أعمال أبيه رأساً على عقب.

هناك مثل يقول "إذا أردت أن تهرب من الله فأهرب إلى الله". منسي أدرك حقيقة هذا المثل إذ أنه أراد أن يهرب من عقاب الله فهرب إلى الله كما يقول عنه أوحى "ولما تضايق طلب وجه الرب إلهه" (٢أى ٣٣ : ١٢) لقد أدرك أنه لا يوجد في الوجود كله من يمكن أن يلوذ به سوى شخص الله.

الألم أرهب تحذير وأرق نداء

وهذا ما فعله أيضاً مع شمشون ذلك الجبار الذي التقى في كروم تمنه بشبل أسد يزمجر ورفض أن يُفسح له الطريق فأنقض شمشون الشاب القوى على الأسد وشقه كشق الجدي وليس في يديه شئ. ولكن هذا الشاب العظيم أنامته امرأة على ركبتيها وكان موسى الحلاقة الناعمة أشد فتكا به من أنياب الأسد فذهب العهد الذي كان يربطه بمصدر قوته فقلعت عيناه وربط بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن. إنه نزل من المستوى الآدمي إلى المستوى الحيواني. لقد طحنه الألم فثاب إلى رشده وأبتدأ شعر رأسه ينبت وعاد إلى مصدر عهده وقوته. إن قصة شمشون تحمل في الواقع أرهب تحذير وأرق نداء.

الألم رسول الرحمة للإنسان الضال

إن الألم كان لازماً وضرورياً لشمشون لكي يتبين سخط الله وغضبه ولكي يعرف أن ابتداء القضاء من بيت الله. وحتى لا يتوهم أحد أن الله يمكن أن يهادن الخطية أو يسكت على مرتكبيها كائناً من يكون وعلى أي وجه تأتى فلم يكن الفلسطينيون هم الذين دفعوا شمشون إلى سجن غزة بل كان الله. فالمدينة التي شهدت فجوره لابد أن تكون مكان سجنه وتأديبه فالله جعل الألم رسول رحمة لشمشون البائس. وكم يجعل الله الباب الضيق طريقاً إلى الحياة الأبدية حسب قوله "وأضيق عليهم لكي يشعروا". ومع أن الألم رسول قاس وصعب لكنه في أحيان كثيرة يكون الرسول المناسب للإنسان الموغل في آثامه وخطاياه.

تخبرنا قصة نبوخذ نصر في العهد القديم بأنه كان الرجل الذي رفعه الله إلى أعظم مراكز المجد القديم لكنه لم يرى ذلك كعطية من الله له بل نظر إليها بجنون الفكر أنها نتيجة لقدرته وقوته وعظمته وذراعه ومجده فأسقطه الله. وطرد من عرشه مصاباً بالجنون الحيواني إلى الدرجة التي لم يرى نفسه فيها إنساناً بل ثوراً ولعله كان يخور كما تخور الثيران ويرفس كما ترفس وذات يوم رفع عينيه الزائغتين نحو السماء وجاءته لمسه من الأعالي "فرجع إليه عقله. فعاد يشهد لله ويمجده".

الألم افضل وسيلة علاج للجامحين

إن قصة نبوخذ نصر هي الدرس والرسالة المحذرة التي يحتاجها كل إنسان في مملكته الكبيرة أو الصغيرة. إذا فقد عقله أو شاء أن يبقى على عقله فالألم كان خير وسيلة علاج له لينظر إلى الله ويقترب منه. فقد ضربه الله بهذه الضربة القاسية إذ أسقطه إلى مرتبة الحيوان أو بالأحرى أعطاه أن يكتشف الصورة التي أنحدر إليها من الإنسانية إلى الحيوانية.

الألم يؤكد عدل الله ورحمته

وحتى لا يتبادر إلى أذهاننا أن الله قاس يحول الإنسان فجأة إلى مرتبة الحيوان. فمن الملاحظ أن الله لم يفعل ذلك مع نبوخذ نصر لكنه حذره في الحلم الذي حلمه والذي فسره له دانيال الذي قال له فيه "يطردونك من بين الناس، تكون سكناك مع حيوان البر، ويطعمونك العشب كالثيران ويبلونك بندى السماء فتمضى عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس ويعطيها من يشاء" (دا ٤ : ٢٥). ولقد تركه الله أثنى عشر شهراً قبل أن يحوله حيواناً يعيش بين الحيوانات والحقيقة لم يكن هناك ذل أبلغ من هذا الذل أن يصبح الإنسان حيواناً أمام نفسه،... ومع أن هذه هي القسوة على أشدها لكنها مرات كثيرة تكون هي الرحمة من الله للإنسان ليثوب إلى رشده.

الألم يجعل المتكبر الشامخ عبرة لغيره

إن نبوخذ نصر قد تذلل أمام أقرب الناس إليه عندما أصابه هذا النوع من الجنون ربما أحتمله ابنه أو زوجته بعض الوقت وأحتمله الخدم أوقاتاً أخرى وربما أحتمله الخاصة زمناً إلى الحد الذي لم يعد فيه يُحتمل فطُرد لتصرفاته الغريبة الشائنة القاسية. أغلب الظن أنه تخيل نفسه ثوراً يخور مع الثيران فيأكل أكلها ويشرب شربها ويتبرز مثلها على أنه كان أكثر من ذلك إذ أحس بالذل أيضاً أمام الله فانطبق عليه قول أساف "وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك" (مز ٧٣ : ٢٢).

وعلى أية حال أذل الله نبوخذ نصر الملك العظيم ووضعه في مكان الحيوان لكي يمارس هوايته المجنونة إذ "طرد من بين الناس وأكل العشب كالثيران وأبتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النسور وأظفاره مثل الطيور" (دانيال ٤ : ٢٣) وقد أستمر الألم والذل لنبوخذ نصر فترة سبعة أزمنه رآها بعض المفسرين سبع سنوات ورآها البعض سبعة مواسم ورآها البعض شهوراً.. لكن على أية حال إنها كانت فترة ذل بل هي درس هام حتى يكون هذا الملك عبرة لنفسه وعبرة لجميع الذين يرفعون عيونهم إلى العلاء متكبرين شامخين.

الألم هو الطريق لمعرفة الله

ولم تنتهي قصة هذا الرجل عند هذا الحد لكن نرى الله الذي هوى به من القمة إلى القاع ومن المجد إلى الهوان يترفق به بعد ذلك ويحسن إليه ويرجع له عقله ليدرك عظمة الله. ويذكر فضله ورحمته عليه ولم يرجع إليه عقله فحسب بل أعاد إليه أيضاً جلال ملكه ومجده وبهاءه حيث طلبه مشيروه وعظمائه وثبت على مملكته فشكر الله وسبحه ونحن نرى قصته هذه في مدرسة الألم التي اجتازها وتعلم فيها هي شهادة للعالم اليوم والتاريخ يبقى متحدثاً عن القدرة الإلهية التي تطوى كل شئ وتنتصر على كل شئ إذ يقول "وباركت العلي وسبحت وحمدت الحي إلى الأبد الذي سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور وحسبت جميع سكان الأرض كلا شئ وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل.." (دانيال ٤ : ٣٤ ، ٣٥).

إن الألم وسيلة رائعة لإرجاع الإنسان الشرير عن طريق شره وهذا ما قال عنه الرب ذاته في نبوة ارميا "وأُضيّق عليهم لكي يشعروا" (إر ١٠ : ١٨). وفى نبوة هوشع يقول "في ضيقهم يبكرون إلى" (هو ٥ : ١٥).

الألم يكشف للإنسان حياته على حقيقتها

لقد علمنا السيد المسيح مثل اسمه مثل الابن الضال. هذا الابن الضال المذكور في المثل يشير إلى كل إنسان خاطئ ضال والأب يشير إلى الأب

السماوي وهذا الابن قد ضل الطريق وبعد عن أبيه وسافر إلى كورة بعيده وبذر ماله بعيش مسرف وانغمس في الخطية وتمرغ فيها. وهذا الابن لم يرجع عن طريق ضلاله ألا بعدما تضايق وجاع وتعرى وتذلل واشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب التي كانت الخنازير تأكله. فالألم كان هو الوسيلة لإرجاعه. ونحن في أحيان كثيرة ننس الله وننجرف وراء تيار العالم من شهوات وملذات فيسمح الله لنا بالألم فنصرخ ونرجع إليه عن طرقنا الرديئة ونقترب منه أكثر (لو ١٥). أحياناً كثيرة يظهر الألم كلوحة سوداء تظهر عليها الكتابة البيضاء وكظلام الليل الدامس الذي يتجلى على صفحته جلال النجوم وجمالها.

الألم يساعدنا أن نرى الله بصورة أوضح

لقد سمح الرب بمرض لعازر فعندما أخبروا السيد المسيح بذلك قال "هذا المرض ليس للموت ولكن لمجد الله" (يو ١١ : ٤). وقد مر أيوب بمجموعة من التجارب الصعبة والأليمة فاستطاع أن يرى الله بصورة أوضح في الدموع أكثر من الابتسامة وفي الألم أكثر من السعادة فبعد تجاربه الثقيلة والكثيرة يقول لله "بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن قد رأتك عيني" (أي ٤٢: ٥، ٦). وهذه شهادة بولس الرسول أيضاً بأن معرفة الرب واختبار قوه قيامته ترتبط ارتباطاً كلياً بشركة آلامه والتشبه بموته" (في ٣: ٩).

ثانياً: الألم يؤهلنا إلى مجد أعظم

وخير مثال لنا هنا هو يوسف الذي دخل مدرسة الألم وتعلم فيها أفضل العلوم وتخرج منها بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف. والحقيقة أنه لم يقض وقتاً صغيراً فيها لكنه قضى قرابة اثنتي عشرة عاماً متواصلة عاش فيها أحلك الليالي لكنه كان دائماً يتطلع خلف القضبان إلى كوكب الصبح المنير الذي لابد أن ينبلج مهما طال الليل أو امتد به القتام وبالفعل بعد طول فترة الألم هذه أرتفع يوسف إلى كرسي عالٍ بجوار فرعون الملك.

في أي مدرسة من مدارس الألم أنت تلتحق؟

قال أحد خدام الله العظماء أن مدارس الألم تختلف باختلاف الآلام وأنواعها في الأرض وباختلاف الهدف أو الغاية من هذه الآلام فإذا صح أن

تعطى هذه المدارس أسماء مختلفة فيمكن آن نذكر منها:- **مدرسة العقوبة**: التي يأخذ فيها المرء الجزاء والقصاص لما يرتكب من آثام وفجور. **مدرسة التأديب**: وهى نوع من المدارس لم يكن الهدف منها القصاص في حد ذاته بل الإصلاح والتقويم. وهناك **مدرسة الامتحان**: وهى التي تكشف لصاحبها وللآخرين عن قدراته وما يكمن في أعماقه من قوه أو ضعف. وهناك مدرسة أخيره يمكن أن نطلق عليها **مدرسة التدريب**: هذه المدرسة كانت هي مدرسة يوسف طوال الاثنتى عشر سنة حتى وقف أمام فرعون في الثلاثين من عمره.

حقائق أساسية هامة عن الألم

رأى يوسف في مدرسة الألم ثلاث حقائق عظيمة أساسية بخصوص الألم:

الحقيقة الأولى: إن الألم كان برنامجاً للتدريب وللتأهيل إلى مجدٍ أعظم في حياة يوسف فقد وصل يوسف بعد التخرج من هذه المدرسة إلى مرحلة نضوج وإدراك وتخطيط عاليه جداً. فقد كان أعقل من أن يحدث غريب كرئيس السقاة عن عورة أخوته وأفطن من أن يخوض في اتهام من هو في مركز ليس من صالحه فيثير ثائرته وغضبه مرة أخرى. أي أنه تعلم كيف يضبط لسانه على نحو يدعى إلى الإعجاب.

وقد تعلم الكثير بين بيت فوطيفار والسجن تعلم كيف يعمل ويشترى، يبيع ويربح، يكنز ويجمع. نعم فقد نزل هذا الشاب التقى الحر بقميصه الملون إلى قاع البئر. بئر الآلام والتعب والخدمة والاستعباد وعرف كيف تسير الحياة وتتبدل ويتحول الحر عبداً والعبد حراً وكيف تدور الساقية علو وانخفاضاً وهى تنزح ما في البئر إلى حيث يشاء الله في إرادته العالية العجيبة في حياة من تعصرهم الآلام وتدربهم الأحزان والتجارب.

الحقيقة الثانية: إن الألم الذي مر به يوسف كان آلماً مهدفاً وليس عشوائياً فلم يكن مجرد ضربات عشوائية سمح بها الرب أن تنهال عليه كشاب متألم باكي. بل في الحقيقة كان ألما محدداً مهدفاً متوازناً تماماً. كما قال أحدهم

أن الإنسان وهو يستخدم أفرن الطهي أو لصناعة الأشياء المختلفة يحدد درجة الحرارة التي لا يجوز أن تقل أو ترتفع عن الحد المطلوب فإن الله أكثر دقه واهتماماً بدرجة الألم التي يتوقف عندها الميزان. إذ أنه لا يسمح لنا أن نجرب فوق ما نستطيع أن نحتمل ومع التجربة يعطى المنفذ. وقد هدف الله الألم تماماً في قصة يوسف أنه ألم للخير والمنفعة وهناك هدف بعيد سيتحقق بعد رحلة الألم. ومع أنه كان ألما قاسياً محرقاً قال عنه المرنم في المزامير "بيع يوسف عبداً اذو بالقيد رجليه في الحديد دخلت نفسه" (مز ١٠٥ : ١٧) . ألا أن النعمة الإلهية منذ الدقيقة الأولى في رحلة الألم كانت تسانده وتشجعه وتنصره.

كان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً أعطاه نعمة في بيت فوطيفار، وأعطاه نعمة في عيني رئيس بيت السجن، وأعطاه نعمة في أعين كل من تعاملوا معه، وأعطاه نعمة إذ ذهب الله معه إلى الغربة والنفي والتشريد والسجن، فأحس يوسف أن كل خطوة كان يخطوها هي حسب خطه إلهيه بمقياس معين وميزان معين لتحقيق الهدف الذي حدده له الرب وأحس بأن الإنسان يمكن أن يهمل أخيه الإنسان لكن الله لا يهمله ولا يتركه.

<u>الحقيقة الثالثة:</u> إن الألم كان يسير على خط العناية الإلهية فكان للخير والمنفعة فعندما نقرأ قصة يوسف في الكتاب المقدس علينا أن لا نقرأها باعتبارها قصة شاب دفعته الصدفة إلى شكيم ثم لبيت فوطيفار فالسجن فقصر فرعون.. بل علينا أن نقرأ القصة باعتبارها جزء من خط العناية في شاب أرسل أولاً، وفى أمة تتبعه ثانياً وقد كانت هذه العناية عجيبة ودقيقة للغاية ليوسف ولأمة إسرائيل بعد ذلك.

من يتألم من أجل الرب لابد أن يتمجد أيضاً

وإن كان يوسف دخل مدرسة الألم وحمل صليبه وعاش في مصر قرابة اثنتي عشر عاماً للتأهيل فلا ننس أبداً أن الصليب لابد أن يلحقه التاج. وكما قيل عن سيد يوسف الذي حمل صليبه إلى الجلجثة "الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه أخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت

الصليب لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم" (في٢ : ٦ - ٩) وهكذا نرى يوسف يدخل مدرسة الألم ويتعلم فيها. وبين الصباح والمساء يشق طريقه من السجن إلى أعلى منصب يتلو منصب فرعون في مصر. نعم أن كنا نتألم معه فلا ننسى أبداً أننا سوف نتمجد معه (رو ٨ : ١٧) "وإن تألمنا من أجل الرب فطوبانا" (١بط ٣ : ١٤).

الألم يعلمنا الحلم والوداعة

وهناك شخصية أخرى عظيمة التحقت بهذه المدرسة مدرسة العناء والألم للتأهيل وكانت هذه الشخصية هي شخصية موسى النبي الذي تعلم في مدرسة مديان بكل ما فيها من عناء وألم فقد انقسمت حياة موسى من حيث الزمن إلى ثلاثة أقسام متساوية كل قسم منها أربعون عاماً. قضى موسى الأربعين سنة الأولى كأعظم ما تكون الحياة الإنسانية بين الأبهة والعظمة والقصور. وقضى الأربعين الثانية في مدرسة مديان راعياً للأغنام كأبسط ما تكون الحياة بين الناس على ظهر الأرض. وقضى الأربعين الثالثة كأقسى ما يواجه الإنسان من حياة عملية على رأس شعب أشتهر بالشغب والعناد والتمرد فالأربعين سنة الثانية التي قضاها في عناء رعاية الغنم كانت هي فترة التأهيل للأربعين سنة الثالثة من عمره ليكون راعياً وقائداً لشعب الرب.

وقد تخرج موسى من مدرسة مديان وهو يحمل شهادة تشتمل على ثلاثة بنود هامة قد تعلمها موسى:

(١) خروج موسى من مصر بل بالأحرى خروج مصر من داخل موسى بكل ما فيها من زهو وغرور وكبر واعتداد.

(٢) تعلم موسى الدخول الحقيقي في منهل الشركة مع الله فتقوى تأمله وأزداد إيمانه وارتفعت نفسه بعيداً عن الضجيج إلى الاختلاء مع الله.

(٣) حصل على شهادة في التدريب العظيم على أفضل ما وصل إليه من المبادئ والمثل الأخلاقية العظمى بما فيها من حياة وداعه وتواضع وصبر وحلم وزهد وقناعة وكان من المستحيل عليه أن يتعلم كل هذه في مدرسة

أخرى غير مدرسة مديان. رق طبعه وهدأت نفسه وتطبع على الأناة والوداعة والحلم. حتى وصل بها الأمر أن يكون أحلم إنسان على وجه الأرض.

نتذوق المر أولاً فنستلذ بطعم العسل ثانياً

قيل عن شعب الله قديماً في ذكراهم لقصة الخروج من أرض مصر كانوا يذبحون خروف الفصح وكانوا يعتبرون هذا اليوم فريضة كل عـــام وأشـــترط عليهم الرب أنهم قبل أن يأكلوه أنهم يأكلوه على أعشاب مرة قبل وصولهم إلى أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً. فالله هنا أرادهم أن يذوقوا المر ليشـعروا بعد ذلك بحلاوة العسل. أرادهم أن يتألموا كثيراً حتى يفرحوا بأرض كنعان.

الألم يكشف عن ما فينا من كنوز دفينة

قرأت عن زلزال مُروّع حدث في الجزء الغربي من الولايـــات المتحـــدة الأمريكية من عهد ليس ببعيد وقد دمر كثير من المباني والممتلكات غير أنـــه عوض أصحابها تعويضاً لم يكن في الحسبان إذ كشف لهم في قلـــب الأرض التي مزقها عن مناجم غنية بالذهب. وهذا ما يعمله الله في حياتنا عندما يسـمح بالزلزال أو الزوبعة أو العاصفة المُروّعة ليكشف عن ما في أعمـــاق قلوبنـــا الممزقة الجريحة عن مناجم الذهب التي خبأها فيها.

يعقوب خرج إلى الصحراء وتخبط فيها كثيراً ونام في العـــراء وكـــانت الأحجار وسادته وبعد ذلك استطاع أن يرى باب السماء. ويرى الســـلم الـــذي يربط بين الأرض والسماء ويرى ملائكة الله واستطاع بعد ذلك أن يـــرى الله على حقيقته. وهكذا أستفانوس رأى السماء مفتوحة عندمـــا كـــانت الأحجـــار تتساقط عليه.

ثالثاً: الألم يُنقّي الشوائب من حياتنا

يُباع في بعض الصيدليات أو المحال التجارية فلتر لتصفية المـــاء مـــن الشوائب العالقة به. وهكذا توجد في حياتنا شوائب كثيرة كالماء المعكر فـــالله يسمح لنا بالألم ليكون عبارة عن فلتر يُنقّى ويُصفّى كل الشوائب منا فتصـــير حياتنا نقية تقية مرضية أمام الرب.

زار أحد المؤمنين ذات مرة سائغاً ووجده يضع الفضة في البوتقة على النار فسأله إلى متى تترك الفضة في البوتقة على النار. فرد عليه قائلاً حتى أرى صورتي في الفضة فأعرف أنها صارت نقية. وهكذا الله يضعنا في بوتقة الألم لكي يصفينا من كل الشوائب العالقة بنا وربما تستمر نيران التصفية حتى يرى الله وجهه فينا فقد خلقنا على صورته على أجمل صورة لكننا بالخطية شوهنا هذه الصورة. وهذا ما أشار إليه المرنم في (مز ٦٦ : ١٠ ـ ١٢) بقوله "لأنك جربتنا يا الله محصتنا كمحص الفضة أدخلتنا إلى الشبكة جعلت ضغطاً على متوننا. ركبت أناسا على رؤوسنا ودخلنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب".

والسيد المسيح في حديثه عن الكرمة والأغصان يؤكد على ضرورة التنقية حتى يأتي بثمر أكثر قال "كل غصن في يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر" (يو ١٥ : ٢). وهكذا الله يعاملنا كأغصان في الكرمة ويريدنا أن نأتي بثمر كثير وكل ما يراه غير نافع فينا يُنقيه منا.

لا طعم ولا معنى للحياة بدون الألم

وختاماً نقول هنا أن الألم لازم لحياتنا أشد اللزوم وبدونه لا يكون طعم ولا معنى للحياة فهو كالملح للطعام تماماً وبدونه لا يكون طعم مقبول للطعام. والله يستخدم كل ألم لخيرنا فمن بعد اجتيازنا في بوتقه الألم والتجارب نستطيع أن نتذوق طعم السعادة الحقيقية.

ونثق أن إلهنا إله يستطيع أن يخرج لنا من الأكل أكلاً ومن الجافي يصنع حلاوة. (قض ١٤ : ١٤) وإن كان الناس من حولنا يقصدون بنا شراً لكن الله يحوله للخير (تك ٥٠ : ٥). وأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده" (رو ٨ : ٢٨).

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ

نحن لا نؤمن بالصدفة أو بالحظ لكننا نؤمن أن كل خطوة نخطوها هي بسماح من الله وحسب خطة الله لحياة كل واحد فينا. فكل أحداث الكون من حولنا ليست هي بنت الصدفة لكن هي نتيجة ليد القدير التي تدير الكون كله. وتشكل فيه كما يحلو لها كالخزاف الماهر الذي يأخذ الطينة ويصنع منها وعاءً نافعاً للكرامة. ومما صنعته يد القدير في الكون بخصوص حياة أي إنسان على الأرض متغيرة متقلبة فلا تكون كلها أفراح وسعادة ولا تكون كلها جراح وآلام أبداً على الإطلاق فكل الأشياء أي كانت فإنها تعمل معنا للخير للذين يحبون الله المدعوون حسب قصده.

لذا أريد أن أوجهك إلى أمر هام هو موقف الله من آلامك التي تمر بها فربما أنت تشعر بالجراح والحزن والمرارة ليس من الألم ذاته ولكن من إحساسك بأن الله كأنه يقف بعيداً عنك وخاصةً عندما يحاول عدو الخير أن يثير فيك شكوك كثيرة في ما يخص علاقتك بالرب وإيمانك بشخصه ويشككك في عنايته ورعايته وسلامه الذي يفوق كل عقل.

قد يكون موقفك في بعض الأحيان هو موقف المرنم الذي يقول "يارب لماذا تقف بعيداً. لماذا تختفي في أزمنة الضيق" (مز ١٠ : ١). لكن في حقيقة الأمر إن الله لم يكن بعيداً ولم يختفي في أزمنة

الضيق كما تصور المرنم لكنه يقول عنه بعد ذلك "يدعوني فأستجيب له معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي" (مز ٩١: ١٥،١٦). وقال لنا الوحي بفم إشعياء "اطلبوا الرب ما دام يوجد أدعوه وهو قريب" (أش ٥٥ : ٦).

وربما يكون اعتقادك أثناء آلامك كاعتقاد أيوب في لحظة معينة وهو يبحث عن الله ويشعر أن الله بعيد كل البعد عن آلامه فعبّر عن ذلك قائلاً "اليوم أيضاً شكواي تمرّد. ضربتي أثقل من تنهدي. من يعطيني أن أجده فأتي إلى كرسيّه. أحسن الدعوى أمامه وأملأ فمي حججاً فأعرف الأقوال التي بها يجيبني وأفهم ما يقوله لي. أبكثرة قوة يخاصمني. كلا ولكنه كان ينتبه إلى.... هاأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به. شمالاً حيث عمله فلا أنظره. يتعطف الجنوب فلا أراه (أي ٢٣ : ٢ - ٩).

هل فعلاً الله غير موجود في كل الاتجاهات والأماكن لكي نعرض عليه دعواناً وشكواناً. أبداً على الإطلاق أن أيوب سريعاً ما أكتشف الحقيقة فأقر أن التجارب التي سمح بها الرب له للفائدة والخير إذ قال في نفس الإصحاح "إذا جربني أخرج كالذهب" (أي ٢٣ : ١٠).

إن لله حكمة غير محدودة فكما علت السموات عن الأرض علت أفكاره عن أفكارنا نحن المحدودة البسيطة، وطرقه عن طرقنا. فإنه يجرح لكنه يعصب ويسحق لكن يداه تشفيان.


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
بقعة
دماء
ابرياء
تصرخ

الاحتياج الأول والرئيسي للإنسان اليوم

ما هو هذا الاحتياج يا ترى؟ يرى بعض العلماء أن الاحتياج الأول والرئيسي للإنسان اليوم هو تحسين حالته الاقتصادية وارتفاع مستوى دخله المادي للوصول إلى مستوى معين مرتفع فيعيش الإنسان سعيداً. ويرى بعض أخر أنه تنمية الإنسان اجتماعيا عن طريق الاهتمام بتربيته وتعليمه وصحته لأنهم يرون أن الجهل هو العامل الرئيسي للتخلف. وإن الكثير من أسباب أمراض المجتمع وتخلفه يرجع إلى الجهل وضعف الصحة فالإنسان أيضاً إن لم يكن بصحة جيدة لا يستطيع أن يعمل وينتج ويثمر ويعيش سعيداً مترفهاً.

والحقيقة إن اهتمام الإنسان لتحسين مستواه الاجتماعي أو الاقتصادي هو أمر هام جداً ومطلوب لكن الواقع يعرفنا أن الإنسان اليوم قد تقدم تقدماً علمياً واجتماعياً هائلاً ومذهلاً وللأسف أنه بتقدمه هذا واختراعاته الكثيرة وصل إلى مرحلة الدمار الشامل عن طريق الاختراعات النووية الدقيقة التي تدمر أخيه الإنسان.

وهذا يوضح لنا أن حاجة الإنسان الأولى إلى سلام الله الذي يفوق كل عقل. فالسلام كلمة ما أجملها على الأسماع وسط هذه الظروف القاسية والأزمات الخانقة والمخاوف الشديدة التي يختارها العالم الآن. وليس أحب إلى القلوب ولا أعذب لدى الأسماع من كلمة سلام. فالسلام هو الطائر الذي يعيش على القلوب الطيبة المُحبة. والسلام هو القيثارة التي تهتز أوتارها بأحلى نشيد، وتطرب لها الأذان، وتسعد بها القلوب. فبغير سلام يكون عالمنا جحيماً، وبغير سلام يضحي البيت عذاباً، وبغير سلام ليصير القلب أتوناً. فالسلام إذا وضع على كسرة يابسة فوق مائدة بسيطة جعلها وليمة فاخرة، وإذا أنتشر في مكاناً ما أوجد فيه نسيماً عبقاً. به يكون البيت سعيداً وبغيره يكون البيت سعيراً. وهو أعظم تركة تركها رب المجد يسوع لأولاده وتابعيه إذ قال "سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب" (يو ١٤ : ٢٧).

والإنسان في الآونة الأخيرة استطاع أن يخطو خطوة كبيرة جداً بل قفز قفزة هائلة، فحط رحاله على القمر، وأنتقل من العالم الأرضي إلى عالم الفضاء، وأنتصر بذلك على كل قوى الجاذبية الأرضية، وعلى قيود الخوف من المجهول وبدأ مرحلة علمية جديدة لا يستطيع الإنسان أن يتصور حدود لها. لذا سمي هذا العصر الذي نعيشه بعصر المعلومات نظراً لما فيه من قوة علمية هائلة.

رحلة الإنسان إلى أخيه الإنسان

ولكن رحلات الإنسان إلى عالم الفضاء اليوم مع كل ما تستحقه من إجلال واحترام وتقدير للقدرة العلمية الخارقة والدقة المتناهية التي تتم بها إلا أنها للأسف جعلت الإنسان ينسى رحلة أهم من هذه الرحلات كلها. هي رحلة الإنسان إلى أخيه الإنسان ليقترب منه ويعمل على التغلب على كل القوى المانعة والفاصلة له. فرغم العولمة والقرية الكونية باعتبار العالم أصبح قرية صغيرة لسهولة الاتصالات بكل أنحاء العالم إلا إن رحلة الإنسان إلى أخيه الإنسان أشق عليه من وصوله للكواكب الأخرى فما زال الإنسان يجهل أخاه ويخشاه فهو لا يرى منه إلا القناع الخارجي ويعجز عن اكتشاف الجوهر الداخلي.

رحلة الإنسان إلى شخص المسيح

وأهم من رحلة الإنسان لأخيه الإنسان رحلة أخرى هي زيارة بيت لحم بل هي بالحري زيارة إلى شخص المسيح رئيس السلام الذي قد جاء متجسداً في صورة إنسان داعياً للسلام لأنه ملك السلام كما يجد هناك منظر أخر بقعة دماء قد سالت من أطفال أبرياء من سن سنتين فما دون قد قتلهم هيرودس الملك الطاغية وبينما المظهر الأول يستدعى الفرح والسعادة إلا إن المظهر الثاني يستدعى الألم والحزن والبكاء. لكن يأتي أمامنا السؤال. هل ما نراه في المظهر الثاني يستطيع أن يلغى فرحتنا وسعادتنا بما نراه في المشهد الأول.

فرح عظيم لجميع الشعب في تجسد المسيح

هل يمكن للظلام أن يُطفي شمعة الميلاد...؟ أبداً لا يمكن نعم لا يمكن للظلام أن يطفي شمعة الميلاد. ولا يلغى فرحتنا ومن يرى غير ذلك فهو مخطئ فالنور دائماً ينتصر على الظلام ويقشعه.

ومنذ حوالي ألفى عام في ملء الزمان أشرقت أنوار شمس البر والشفاء في أجنحتها، بمجيء المسيح المولود نوراً لعالمنا المظلم، منتصراً على كل ظلام فيه، وطارداً لكل غيوم تخيم على البشرية. وبمناسبة مجيئه هذا أرسلت السماء رسلها النورانيين كجوقة ترنيم ملائكية رنمت ترنيمة الفرح والسلام "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو ٢ : ٤). وبشرت العالم كله بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنه ولد لكم مخلص هو المسيح الرب (لو ٢ : ١١).

أحلام وأشواق العالم تتحقق في تجسد المسيح

وقد كان ميلاده إعلاناً للعالم بأن أحلام وأشواق الملايين منهم قد تحققت. حتى أن بعضاً من حكماء المشرق المجوس عندما رأوا نجم ميلاده فرحوا فرحاً عظيماً جداً. لأنها كانت أسعد مناسبة في الوجود غمرت فيها الأفراح مدينة بيت لحم. ودقت لها أجراس الفرح والسلام، وهللت لها البشرية غبطة وسروراً.

عدو الخير يحوّل سعادة الإنسان إلى سجن من الأحزان

لكن عدو الخير لم يسترح لذلك وأراد أن يعكر صفو الجو. ففي وسط أفراح ميلاد المسيح تغير الحال فعلاً وتحول نشيد الفرح إلى شجن وغم، وتحول لحن السعادة إلى نغم أسيف حزين. العيون المتلألئة بالفرح غمرتها الدموع، والنفوس المتهللة بالبهجة أضحت تئن في سجن من الأحزان والأنين.

في الحقيقة أن رحلة الإنسان إلى بيت لحم ورؤيته للأحداث تعلمه درساً ثلاثياً:

(١) الأنانية لا يمكن أن تحقق السعادة.

(٢) التطرف لا يمكن أن يصلح المجتمع.

(٣) الظلام لا يمكن أن ينتصر على النور.

إنه درس رائع نتعلمه نحن الآن فيما يلي:

أولاً: الأنانية لا تحقق السعادة للإنسان

ظهرت الأنانية هنا بأوضح صورة. فحقيقة ما حدث هنا إن إنسان أناني كانت تهمه ذاته فقط، ولا يهمه غيره قتل جمعاً كبيراً من الأبرياء. نعم أبرياء والمجتمع كله يشهد بذلك إنهم أبرياء. وسن هؤلاء الصغار يشهد أنهم أبرياء. لكن رغم براءتهم قتلهم هيرودس الطاغية فارتفع صوت الأمهات الصارخات الحزينات، وأصبح في كل بيت مناحة، وفي كل شارع أحزان، وفي كل مدينة صراخ وبكاء وعويل. كالصوت الذي سُمِع في الرامة وراحيل وكل راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين (مت ٢ : ١٨). نعم إنها اليد الغاشمة التي فعلت ذلك.

الأنانية مرض نفسي يحطم العظماء

والأنانية التي قادت هيرودس إلى هذا العمل الإجرامي الفظيع فهي موجودة في أمثاله وتقودهم في النهاية إلى الفشل والإحباط والأمراض النفسية المختلفة. فهناك قصة تحكى عن فتاة جميلة جداً ومثقفة جداً وغنية جداً أحست إحساسا شديداً بأمراض كثيرة تسيطر عليها، وهي في ريعان شبابها. وكان الاضطراب والهزال واضحاً عليها، رغم أنها كانت تسكن في بيت جميل، وترتدى ملابس أنيقة غالية الثمن، وتتزين بكم كبير من الحلي والمجوهرات، وتنفق على نفسها بإسراف شديد في لبسها وطعامها وشرابها وملذاتها. ذهبت لعلاج حالتها عند الكثير من الأطباء فقرروا أنه لا يوجد بها أي أمراض عضوية. ولكن مرضها هو مرض نفسي نشأ من أنانيتها وتركيزها على

الاهتمام بنفسها دون النظر إلى حاجات الآخرين وآلامهم وأمراضهم. وقد كان لها من الأقارب من هم في أشد الحاجة إلى معونتها لكنها لم تفكر في مساعدتهم لأنها بعيدة التفكير عن مساعدة أي إنسان. وكانت نتيجة ذلك أنها عاشت وحيدة منعزلة مكروهة. وقد انتهت بها العزلة إلى اضطرابها هذا. شتان الفرق بينها وبين حماة بطرس التي قامت لتخدم كل الجماعة في بيتها بعد الشفاء من المرض مباشرة.

إن الله منحنا عطايا ومواهب وقدرات كثيرة لنخدم بها بعضنا بعضاً. لأن كل إنسان منا هو في حاجة إلى الآخرين. والإنسان خلق اجتماعياً بطبعه، ولا يمكن على الإطلاق أن يعيش في عزلة فما أعطانا الله إياه من قدرات ومناصب وغيرها لا نكون أنانيين بخصوصها، وتكون لخدمة ذواتنا فقط، بل للآخرين أيضاً. فالأنانية قادت هيرودس للقتل وكانت نتيجتها سلبية جداً على المجتمع. وهكذا تكون نتيجتها في كل أمثال هيرودس.

الأنانية داء والعطاء خير دواء

قص أحد الأطباء المشهورين قصة رائعة فيها درس جميل لنا. وهي تحكى عن سيدة تسلطت عليها الأوهام، بأنها مريضة بمرض لا تعرف علته، وأزداد بها الوهم حتى أثر في أعصابها. فبدأت تذهب من طبيب إلى طبيب وتبعثر أموالها على الأدوية حتى وصلت إلى هذا الطبيب. فقال فحصتها فإذا هي أكثر مني صحة وعافية. فأدركت أن سر آلامها أنها ركزت اهتمامها في نفسها، فطلبت منها أن تزورني في مستشفاى ولم حضرت ومررت بها قليلاً في حجرات المستشفى أريتها المشلولين ومرضى السرطان وأولئك الذين تسوست عظامهم فسجنوا في أسرة المرض. فلما رأت بعينيها مصائب ومتاعب الآخرين، وضعت يدها في حقيبتها وأخرجت دفتر شيكاتها وكتبت لي تحويلاً بمبلغ كبير لخدمة المرضى. وابتداءاً من هذه اللحظة زالت عنها

همومها وبدأت تخدم المحتاجين بأموالها وحنانها وقد صرّحت بأنها أصبحت من أبهج وأسعد الناس.

عزيزي القارئ:

جرب أن تغيث مسكيناً من شدة. أو تنقذ خاطئاً من سقطة. أو تمسح الدموع من عين باكية. أو تقدم الطعام لشخص جائع. وقرر بعد ذلك كم السعادة التي تحصل عليها. ليكن شعارك في الحياة خدمة الآخرين والاهتمام بهم. ففي الخدمة سعادة وفى التضحية لذة. وفى البذل عطاء.

قتل الأبرياء أهو قضاء الله أم هو مسئولية الإنسان؟

نعود إلى هيرودس الأناني ونتسأل لماذا يا ترى تغير وانقلب الحال في موقفه هذا؟ وما هو السر وراء كل هذه الأحداث المؤلمة؟ يجيب البعض ويقول أنه قضاء الله والمكتوب على الجبين لابد أن تراه العين. النصيب كده هل هذا صحيح؟ هل قتل الأبرياء هو قضاء الله؟ بالطبع لا فنحن نؤمن بقضاء الله ولكننا نؤمن أيضاً بمسئولية الإنسان فما حدث ليس هو قضاء الله ولكنه خطأ الإنسان. نعم هو التطرف بعينه عند هيرودس الطاغية الذي اهتم بمصلحته الشخصية وخاف من ضياع منصبه لميلاد ملك جديد لم يفهم أنه ملكاً روحياً وأعتقد أنه سيكون ملكاً أرضياً مثله وسوف يحل محله فقتل كل هؤلاء الأبرياء. حقاً إن هذا هو التطرف... إنه هو الإجرام... إنه هو الظلم... إنه هو الاستبداد... إنها هي القسوة المتجسدة داخل قلب هيرودس.

أيهما أفضل البقاء للأقوى أم البقاء للأصلح؟

ونتسأل أيضاً هل قتل هيرودس للأبرياء حدث تاريخي قد تم وانتهى أمره؟ أم إنه فعل متكرر على مر الزمان؟ الحقيقة إن هيرودس كفرد انتهى من الحياة على الأرض تماماً لكن شره كإنسان مازال باقياً داخل القلوب الحمقاء وعدو الخير يعمل ويجول كأسد زائر ملتمساً من يبتلعه. القوى يريد أن يأكل الضعيف كما لو كنا نعيش في غابة شريعتها البقاء للأقوى وليس البقاء

للأصلح. نسمع كل يوم عن قتل هنا وقتل هناك ودماء أبرياء تسيل وسط الشوارع أطفال يتيتمون، ونساء تترمل دموع تذرف، مصالح تتعطل، قلوب تتوجع. خسائر تنفق بأيدي قلة متطرفة في فكرها وفعلها.

ثانياً: التطرف لا يمكن أن يُصلح المجتمع

أمر عجيب وعجيب جداً أيها الأحباء يجعلنا نتسأل في حالة من الذهول. هل الذي فعل ذلك هو هيرودس فعلاً؟ وكيف يفعل ذلك وهو رجل مسئول عن إعطاء الحق والعدل لذويه. وهو مطالب من موقع مسئوليته أن يخدم المجتمع بكل إمكانياته. نعم فالمجتمع في حالة ماسة إلى خدمته لينصف المظلوم، ويعضد الفقير، ويقوى الضعيف، ويسند المسكين، ويحامي عن الأرملة، ويدافع عن البار. نعم هذه مسئوليته لكننا نرى الأمر مختلف تماما عن ذلك. فما فعله عكس ذلك تماما. إنه قتل الأبرياء وداس على الودعاء وسفك الدماء ولم يعرف شئ اسمه الحق ولاشيء أخر اسمه العدل. في حين إننا كنا نعشم بأن نرى له بصمات إصلاح واضحة في المجتمع ولكن للأسف كل بصماته هي بصمات التدمير والفساد ليس مجرد تدمير المنشآت بل تدمير القلوب.

بدلا من أن نلعن الظلام ننير شمعة

وللأسف أن كل هيرودس مثله يفعل الشر بأنواعه ونسمعه يعطى تعليلا كاذبا لفعلته هذه بأن هناك بعض الأوضاع والظروف في المجتمع لا تعجبه فتفرض عليه أن يفعل ذلك... وليست هذه هي الحقيقة لكنها الأنانية بعينها والمطامع الداخلية والتطرف في الفكر والفعل حتى وإن قبلنا هذه الحجج افتراضا لكن يلزمنا أن نفكر من الجانب الأخر هل قتل الأبرياء هو الطريق الصحيح لإصلاح هذه الأوضاع؟ لا... بل أن مسئولية المواطن الصالح المحب لوطنه في وسط الظلام ينير شمعة بدلا من أن يلعن الظلام ويزيده ظلاما... وكل من يريد الإصلاح الفعلي بأمانة عليه أن يبدأ بنفسه هو أولا. وأمام هذه الأحداث نشعر إننا في حاجة أن نتمهل قليلا ونراجع أنفسنا ونحن ندين هيرودس بشدة.

الصمت على احتياجات الآخرين خطية شنيعة

دخل شخص في الطريق السائر للسيارات السريعة إذ أنه فقد صوابه. ورآه الناس الواقفين. فكان بعضهم ينظر إليه مرتعبين مما سيحدث له. وبعض أخر من الناس حولوا أنظارهم بعيداً عنه حتى لا يروا المصيبة التي ستحدث له. ولكن رجلاً مخلصاً أندفع وسط السيارات وامسك بيده وعاد به إلى طريق الأمان. ولدهشة الرجل التائه لم يقدم الشكر له. فتعجب رجل المرور وأوقف الرجل الذي فعل التصرف الحسن. فأعتقد الرجل أنه يريد أن يقبض عليه. فقال له الشرطي إنك عملت عملاً عظيماً وأنا أوقفك لأقدم لك الشكر الآن وأريد أن أكتب تقريراً عما فعلت. قال له الرجل قل في تقريرك رجل مسيحي فعل ذلك.

آه لو كل واحد منا في موقعه استطاع أن ينقذ خسارة معينة، أو يفعل خيراً مع من حوله، لتغيرت أحوال الناس كثيراً. آه لو اكتفينا من البكاء على الإطلال ومددنا أيدينا بقدر ما نستطيع لخدمة الآخرين في موقعنا لشعرنا بالسعادة تغمرنا. لكن العقبة أننا كثيراً ما نقف في مكاننا محلك سر ونلعن الظلام دون أن نشعل ولو شمعه بسيطة تغيّر من الواقع بشيء. بل الأعجب من ذلك والذي يشعرنا بدهشة شديدة هو شعار البعض الذين يزيدون الظلام ظلاماً بتخريبهم وتدميرهم وسفكهم لدماء الأبرياء. وهم يعتقدون أن هذا هو الإصلاح للمجتمع بحسب وجهة نظرهم.

صلاة مثالية

صلى أحد الأشخاص صلاة جميلة قال فيها "قدرني يا الله أن أعمل اليوم شيئاً يزيل ولو جزءاً قليلاً من مخازن أحزان العالم. وأسمح لي بشرف زيادة أفراح حياة الآخرين ولو زيادة زهيدة. أعنى يا رب حتى لا أوذى عدو أو صديقاً بعمل نفساني أو بأنانية تنتابني، أو أن أسكت عن احتياج ولو غير منظور علناً. ومهما كنت فقيراً وممتلكاتي بسيطة في هذه الحياة فامنحني نعمة

مساعدة الآخرين على قدر الإمكان ولو بكلمة تشجيع، أو إشارة لطف، أو تخفيف كرب، أو القيام بأي عمل طيب من شأنه أن يجعل العالم اليوم أحسن مما كان بالأمس. وفوق الكل اجعلني يا رب رابحاً للنفوس الهالكة البعيدة عن شخصك.

ندين أنفسنا قبل أن ندين غيرناً

فالمسيحية تعلمنا أننا قبل أن ندين غيرنا علينا أن ندين أنفسنا أولاً لئلا ما ندين به غيرنا ينطبق علينا نحن أيضاً. وقبل أن نفكر في إخراج القذى من أعين غيرنا علينا أن نخرج الخشبة من أعيننا نحن أولاً. فهيرودس في القديم فعل خطية قتله للأبرياء علانية ومرة واحدة، لكننا نحن في عصرنا الحاضر نقتل في الخفاء وبصفة دائمة. والقتل في الخفاء أصعب بكثير من القتل علانية. لأن القاتل في الخفاء يقتل ويعتبر نفسه بريئاً. فكم من أحداث قتل معنوي نفعلها عن طريق إلقاء بعض الكلمات اللاذعة الحارقة في حديثنا مع الآخرين كالحجارة المدمرة. وأحياناً أخرى نقتلهم بالاتهامات التي نوجهها إليهم وهم منها أبرياء، وأحياناً ثالثة نقتلهم بجرح مشاعرهم وأحاسيسهم ووضعهم في مواقف حرجة. وهذه الأنواع المعنوية من القتل التي نرتكبها ربما تكون أصعب بكثير من قتل هيرودس لأطفال بيت لحم لأنها قتل بطئ والقتل البطيء أشد ألماً من القتل السريع المباشر لأنه يعتبر نوعاً من التعذيب.

ثالثاً : الظلام لا يمكن أن ينتصر على النور

نحن مازلنا في حالة من الذهول والتفكير العميق، هل نفهم من كل هذا الذي تحدثنا عنه سابقاً أن هيرودس قتل قديماً وأمثاله يقتلون اليوم؟ والحالة تستمر كلها أحزان وأوجاع وبكاء وأنين وكأن الظلام فعلاً أنتصر على النور؟ بالطبع لا... لأن للشر نهاية وللشرير أيضاً نهاية، وكل من يزرع الشر لابد أن يحصد نتيجته فبالنسبة لهيرودس حدث أن حفيدة التالي له؟ ضربه ملاك الرب لأنه بسبب أنانيته وشر قلبه لم يعط المجد لله فصار يأكله الدود ومات، فإن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً.

أحلك ساعات الليل يتلوها نور الفجر

هل من المعقول أن ينتصر الظلام على النور وأجراس السماء تدق وتخبرنا بفرحة ونور الميلاد وترسل لنا مع دقاتها المتتالية رسائل الطمأنينة والسلام قائلة "لا تخافوا.. فإنه ولد لكم اليوم مخلص .. لا تخافوا من نور الميلاد لرب المجد يسوع". فإنه:

لا خوف من الماضي مهما كان محملاً بالأثام.

ولا خوف من الحاضر مهما كان محملاً بالآلام.

ولا خوف من المستقبل مهما غيمّ عليه الضباب والغمام.

لا نخاف لأن الحق هو دائماً الذي ينتصر ومسيحنا المولود هو الحق ذاته.

لا نخاف لأن النور دائماً ينتصر على الظلام ويبدده ومسيحنا المولود هو نور العالم.

لا نخاف لأن أظلم ساعات الليل هي التي تسبق نور الفجر وبعدها يطوى الليل رداءه وينفجر نور الصباح وتنشر الشمس أشعتها كاللآلئ التي هي أبهى من التبر وأنقى من الذهب.

تغيير الإنسان هو الحل

حقيقة امتلكتني وامتلكتها وهى أمامي دائماً ألا وهى أن الإنسان هو القضية والإنسان هو الحل، فإذا تغير الإنسان تغيرت كل الأحوال، فالمشكلة ليست في الظروف ولا في المجتمع لكن في الإنسان ذاته. فإذا أُصلِحَ الإنسان أُصلِحَ المجتمع وتغيرت الظروف إلى الأفضل والأحسن. فنحن بأيدينا وبإرادتنا يمكننا أن نحول فرحة الميلاد إلى غم، ونحول السعادة إلى غم ونحول السرور إلى نكد، ونحول البهجة إلى أحزان، ونحول الابتسامة إلى دموع، عندما نفعل الشر. ويمكننا أن نفعل العكس تماماً، نحول كل غم ونكد وألم إلى فرحة وهناء وسرور عندما نبتعد عن الشر والخطية ونخرج هيرودس من داخل القلب ونملّك المسيح على عرش قلوبنا.

لا تغيير للإنسان بعيداً عن الحياة في المسيح

سقط إنسان في خطية ما. كانت تؤرقه وتتعب ضميره. وكان يشعر بقلق دائم وخاصة لأن صورته تشوهت أمام المجتمع فبحث عن علاج يريحه من أثر هذه الخطية عليه. ومركزه الذي فقده، وكرامته التي تلوثت. فذهب إلى كاهن لهيكل بوذي مشهور. وأخبره بأتعابه ومشكلته الشخصية وسقطته هذه. فقال له الكاهن نعم في إمكانيتي أن أساعدك بشرط أن تجلس ولا تتحرك أي حركة لمدة ثلاث ساعات أمام تمثال الإله بوذا. فإنه سيعطيك قوة لمقاومة تجربة الخطية التي سقطت فيها. فأطاع وبقى بقدر ما أمكنه بلا حركة في المدة المطلوبة على الرغم من صعوبتها والحشرات التي كانت تلسعه في ذلك الوقت لكنه بقى صامداً على قدر الإمكان. ولكنه خرج من الهيكل كما دخل دون أي تغيير. بل مازال ضعيف ساقط أمام تجاربه. وأستمر سنتين يطلب من الإله بوذا عوناً وراحة وأطمئناناً ولم يجد. حتى سمع عن المسيح أنه مريح المتعبين ووعد الناس بوعد وقال "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم".

حقاً إنه مانح السلام لكل مضطرب لجأ إليه هذا الشخص وتعامل معه روح الله القدوس فأعطاه المسيح قوة استطاع بها أن ينتصر على تجاربه وحدث تغيير كلى لشخصيته وسلوكياته في حياته. هذه هي الحقيقة الهامة التي يجب أن يعرفها كل إنسان بأن تغيير الإنسان يتم عن طريق الاقتراب من المسيح بل الحياة في المسيح. واللجوء إليه في كل الظروف كصديق ومحب ألزق من الأخ.

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ

هذا الفصل هو قصة لحدث كان من آلفـي عـام تقريبـاً ومضـى بالفعل لكن كلمة الرب باعتبارها حية وفعالة وباقية لكـل الدهـور. الله يكلمنا من خلالها اليوم. وبالإضافة إلى ذلك فـإن صـاحب هـذه الرسالة حي باق فهو أمسـاً واليـوم وإلى الأبـد. إنـه يريـد أن يضـع أمامك الأمور التالية لتراعيها وتهتم بها وتعيشها عملياً في حياتك.

١ـ كن ينبوع حب لغيرك:

حاول أن تتحرر من الأنانية القاتلة فالتاريخ يخبرنـا أنـه عقـب انتهاء الحرب العالمية الأولى وفى اجتماع مهم للكونجـرس الأمريكـي. عبّر الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت عـن أمالـه للعـالم وقـال أنـه يتمنى أن يتمتع العالم بأربع حريات. أـ حرية العبادة. ب ـ الحريـة من الفقر. جـ ـ حرية التعبير عن الـرأي. د ـ الحريـة مـن الخـوف. ولكن الرسول بولس يضيف لنـا حريـة خامسة هامـة جـداً ألا وهـى حرية الإنسان من أنانيته وهى حرية نحصل عليها من خلال الحيـاة في المسيح. نعم فهي في غاية من الأهمية لأننا نعيش في عصـر تسـيطر عليه الفردية والذاتية بأكبر صورها في حياة الناس.

لذا يا آخي كن ذو صـدر رحـب، كـن لطيفـاً في معـاملتك مـع الناس، كن بشوشاً ومرحاً مـع الآخريـن، أرسـل شـعاعاً وابتـهاجاً

ورجاءً حينما سرت. أفرش أزهار الأخلاق ذات الروائح الطيبة أينما مررت. ساهم بأي خدمة مادية متى استطعت.

أسعد غيرك بروح العطاء والبهجة. أنطق بكلمات حلوه جذابة. عش بحبك ولطفك وعطفك مع الجميع. قدم خدماتك على قدر المستطاع فإذا لم تستطع أن تقدم خدمات كبيرة فكن مستعداً على الدوام لعمل أشياء ولو صغيرة تستطيع أن تؤديها للآخرين. فأحياناً ابتسامة واحدة تقدمها أو كلمة طيبة صغيرة تنطق بها أو عملاً لطيفاً بسيطاً تعمله في لحظة ما قد تفرح به قلب الإنسان الآخر طوال اليوم. قد تقدم آية كتابية لحائر فتجد طريقاً لحل مشكلاته.

تذكر دائماً قول المسيح "من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد لا يضيع أجره" (مت ١٠ : ٤٢) وقول الرسول يعقوب "من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له" (يع ٤ : ١٧) فليست الخطية هي أن تعمل الشر فقط بل إن كانت أمامك فرصة لعمل الخير ولم تغتنمها فهذه خطية لك أيضاً.

٢ـ لا تنسب في حياتك لله ما هو برئ منه

إننا اعتدنا أن نجعل من الله في مواقف كثيرة شماعة نعلق عليها أخطائنا وسلبياتنا. ونعتبرها أنها قضاء الله وإرادته ونردد العبارات القاتلة "المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين" و "النصيب كده" و "إنها إرادة الله". وغير ذلك والله يكون برئ

تماماً من كل إهمالنا أو أفعالنا الشريرة. نعم الله يقضي لكن الإنسان مسئول.

٣ـ إن كنت صاحب حق فلا تخف

سر باستمرار في النور وتأكد أن الظلام لا يمكن أن ينتصر على النور في أي وقت وفى أي مكان وفى أي ظرف.

٤ـ كن قدوة حسنة لغيرك

فلا يمكن للإنسان أن تكون له رسالة إصلاح في المجتمع وهو في ذات الوقت كيان فاسد في داخله فمن يُصلح المجتمع يُصلح ذاته أولاً. وهذا لا يتم ألا عن طريق تسليم الحياة بجملتها للمسيح ليسود عليها.


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
الإله
المجهول

سار الرسول بولس في مدينة أثينا باليونان أثناء خدمته وجوالاته التبشيرية، والتي هي تعتبر العاصمة الفكرية للعالم في ذلك الوقت ولها ماض عظيم. وكان يقصدها الباحثون عن العلم من كل مكان. وقد تمشى في شوارعها فرآها مملوءة بالأصنام الكثيرة جداً. لأن اليونانيين كانوا من اكثر الشعوب اهتماماً بالإلهة وكان لهم إلهة متعددة مثل إلهة الحرب والشمس والحب والرزق والجمال والبحر والزرع والحصاد وغير ذلك من الإلهة الكثيرة. وكانوا يصنعون تماثيل ومذابح لكل هذه الآلهة، ويقدمون لها عبادتهم حتى ترضى عليهم. وكان عدد تماثيل الإلهة في أثينا وحدها يزيد عن عدد التماثيل في كل بلاد اليونان. حتى قيل أنه أيسر لك أن تقابل إلهاً في أثينا من أن تقابل إنساناً. وكانت عبادتهم لهذه الإلهة هي نوع من الخوف والتوجس فقط.

عظة رائعة لأعظم المفكرين

ورغم رؤية الرسول بولس لإلهة كثيرة وعبادات كثيرة تملأ مدينة أثينا، ألا أنه رأى الشر والفجور يملأ كل جوانب المدينة، فاحتدت روحه فيه. وذهب بقيادة أهل أثينا إلى ميدان من أكبر ميادين أثينا، اسمه "اريوس باغوس" فوق جبل يطلقون عليه جبل الإله مارش. وفى هذا الميدان قاعة خاصة كانت تجتمع فيها جماعة مختارة، لا تزيد عن ثلاثين شخصاً للمناقشة في الموضوعات الجديدة والهامة جداً. وهكذا وقف بولس يُعلِن إيمانه ويشرحه أمام خلاصة المفكرين في أعظم مدينة للفلاسفة. وربّما كان يضايق هذا الموقف بعض الناس لكن بولس لم يكن يشعر بأي حرج أو خجل من إنجيل يسوع المسيح ونظر إلى الموقف باعتبار أنه فرصة أخرى أتاحها الله له ليشهد للمسيح وفى هذه الفرصة قدم لهم عظة رائعة وعظيمة بعنوان "**الإله المجهول**".

خيط رفيع يقود لعظة مؤثرة

وللإله المجهول قصة فقد جاء في التواريخ اليونانية قبل زيارة بولس الرسول هذه إلى أثينا بحوالي ستمائة سنة أنه قد تفشى وباء شديد لمرض الطاعون اللعين في أثينا ونسبوه إلى غضب أحد الآلهة وأرادوا أن يعرفوا من من هو هذا الإله فاستشاروا ابيميندس أحد الشعراء فقدم لهم اقتراحاً، بأن يطلقوا الغنم في المدينة وأنه حيث تربض إحداها قرب هيكل أو صنم يذبحونها هناك. رجاء أن تأتى الغنمة إلى مقام الإله الذي غضب عليهم فيرفع نقمته عنهم. وبالفعل تم ذلك وأطلقوا الغنم لكن بعضها ربض حيث لا صنم ولا هيكل فأقاموا في المربض مذبحاً وكتبوا عليه "الإله مجهول" اعتقاداً أنه الذي أرسل النقمة وهو الذي يقدر أن يرفعها، وأصبح في أثينا نظام معترف به للإلهة المجهولة. ومن هنا التقط بولس الخيط الرفيع ليبدأ عظته الجميلة فقد كان فناناً في توجيه رسائله إلى أي مجموعة من السامعين وقد كتب لوقا البشير في سفر أعمال الرسل الإصحاح السابع عشر خلاصة هذه العظة. بعنوانها "الإله المجهول".

حكمة فائقة لتوصيل الرسالة

وقد ضرب لهم الرسول بولس على الوتر الحساس إذ كلمهم عن احتياجهم فعلاً فشد انتباههم وهم يبحثون فعلاً عن إله مجهول يرضونه. لكنه أعتبر لهم هذا الإله هو المسيح فكلمهم عن يسوع والقيامة. وبدأ لهم بمقدمة جذابة جميلة إذ مدحهم على صفة التديّن التي فيهم لكنه وجههم بعد ذلك إلى الحياة اللازمة التي يجب أن ترافق هذا التديّن. وعرفهم بطريق سحري جذاب أن كل عباداتهم ومعبوداتهم الأصنامية باطلة ولا قيمة لها ولا جدوى منها. وزيارة بولس لأثينا هذه وعظته التي قدمها فيها رسالة عظيمة لنا نحن اليوم وللاستفادة منها نشعر أننا في حاجة إلى دراستها من خلال النقاط التالية ليكلمنا الرب من خلالها في عصرنا الحاضر الآن فيما يلي:

أولاً: تديّن كثير بلا فائدة.

ثانياً: طريق وحيد لوصول إلى الله.

ثالثاً: قلب غيور لتوصيل رسالة الرب.

أولاً: تديّن كثير بلا فائدة

رأى الرسول بولس في جولاته التبشيرية بأثينا زحمة دينية كبيرة. إلهه كثيرة ومتعددة، وعبادات كثيرة جداً، وفى نفس الوقت خطية منتشرة بصورة كبيرة جداً. فاستخدم بولس الرسول أسلوبه الخاص في شرح الواقع الذي يعيشونه، وجذبهم بطريقة فنية لكي يسمعوا له ويصغوا إليه وحاول بولس أن يحولهم عن رغبتهم في العبادة الباطلة إلى العبادة الحقيقية ويقودهم من اعتقادهم في إلهه كثيرة وهمية إلى معرفة الإله الواحد القدوس غير المنظور وغير المحدود الأزلي المحب.

المسيحية هي نور على الطريق

قيل أنه لما كرز بولينيوس بالإنجيل للوثنيين في مدينة اسمها نورثا جلس الملك "أدون" على رأس مجلسه ومن حوله حكماءه ومستشاريه لدراسة ما إذا كانوا يغيرون دين أجدادهم الذي كانوا يعتنقونه في ذلك الوقت ويقبلون إلى الدين المسيحي الجديد أم لا. فوقف أحد المستشارين أمام الملك وقال "في الشتاء وأنت جالس أيها الملك وسط حاشيتك ونار المدفأة ترسل خيوط الحرارة وتبعث من قلبها بنور يضيء وسط ظلمات الشتاء، يدخل من النافذة طير فيلتقي نور النهار ودفئه ويسر بوجوده لحظة، ولكنها قصيرة يخرج بعدها إلى ظلام ليالي الشتاء الباردة. لقد جاء من ظلمة الشتاء واختفى في الشتاء وكذلك حياتنا أيها الملك قصيرة، تأتي من ظلمة المجهول وتختفي في ظلمة المجهول، لا نعرف شئ إننا نأكل ونشرب وغداً نموت لا نعرف شئ بعد الموت وليس عند إلهتنا ما يكشف لنا ظلمة المستقبل على الأقل. فإذا كان الدين الجديد الذي تسمونه دين المسيحية نوراً كما يقولون ويلقى أشعة من النور على الغد. وإذا كان يرينا الجانب الأخر من نهر الموت فحرى بنا أن نتبعه فنعيش في النور.

وهكذا خرج الملك "أدون" وحاشيته وشعبه من ظلمة الوثنية إلى نور الإنجيل فصاروا مسيحيين وهدموا أصنامهم وهكذا تم فيهم قول الكتاب "الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في كورة الموت أشرق عليهم نور" (مت ٤ : ١٦).

واليوم نرى موقف الكثيرين كموقف أهل أثينا. في حياتهم مظاهر كثيرة جداً للتديّن تتمثل في عبادات ومناقشات وأبحاث لكنها بلا حياة وبلا فائدة وأهم هذه المظاهر هي:

١- التديّن المظهري

في القديم أعطى الله شريعته للأمة اليهودية وأعلن فيها عن نفسه وطبيعته وصفاته بأنه إله قدوس محب طاهر رحيم أمين..... الخ وهو يطلب من المؤمنين باسمه أن يتمثلوا به فيكونوا قديسين محبين أمناء طاهرين... فالمؤمن يجب أن يكون قدوة حسنه لغيره وشهادة حية لله. لكن الشعب لم يعش بهذه الوصايا كحياة فحفظها حفظاً نظرياً فقط. ولقد شدد الرب على حفظها عملياً والحياة بها كثيراً فأوصى الشعب قائلاً في سفر التثنية "ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشى في الطريق وحين تنام وحين تقوم وأربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك وأكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك" (تث ٦ : ٦ ـ ٩). لكن الشعب حفظ هذه الوصايا نظرياً فقط ولم يعيشها كحياة، وأصبحت علاقته بالله والعبادة له هي مجرد حفظ بعض الآيات والنصوص الكتابية. يحفظها الناس ويرددونها ويتناقشون فيها دون أن تسكن في قلوبهم، أو تثمر في حياتهم. لذلك قال الرب "هذا الشعب قد أقترب إلى بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة" (إش ٢٩: ١٣).

محبه المال أصل لكل الشرور

جاء الشاب الغنى إلى يسوع وتقدم إليه وركض أمامه وجثا له وسأله، أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع أحفظ الوصايا.

فقال الشاب ليسوع أية الوصايا فقال يسوع لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتي فماذا يعوزني بعد. فالأمر هنا في ذهن الشاب هو مجرد حفظ نصوص من الكتاب المقدس. لكن المسيح يريده أن يحفظ الشريعة فكراً وقولاً وفعلاً. فأتاه بما يُظهر نقصانه، والسبيل إلى نوال الكمال وهو المحبة. فهي كمال الناموس الذي حفظه، ومطلب ذلك الناموس هو أن يحب الله فوق كل شيء وأن يحب القريب كالنفس. فعليه أن يسلّم ماله إطاعة لأمر الله ونفعاً لقريبه فأمتحنه المسيح. أي الأمرين أحب إليه: أماله وذاته أم الله وقريبه وضرب له المسيح على الوتر الحساس بالنسبة له وهو محبة المال فأمره بتركه واعطائه للفقراء فيكون له كنز في السماء لكن هذا الشاب رسب في امتحان المسيح له. فأغتم ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت ١٩ : ١٦-٢٢)، (مر ١٠ : ١٧-٢٢).

إكرام الله بالشفتين والقلب بعيداً عنه

نظر السيد المسيح إلى حياة الكتبة والفريسيين فوجد فيهم نفس الظاهرة. ظاهرة التديّن الكثير جداً وظاهرة العبادة الشكلية المظهرية فكانت حياتهم كالتالي:

(١) عندما يتصدقون على الفقراء يصوتون بالبوق قدام الناس لكي ينظروهم كالمرائيين ولكي يمجدوا منهم.

(٢) عندما يصلون فهم يصلون قائمين في المجامع وفى زوايا الشوارع كالمرائين لكي يظهروا للناس قدسيتهم الشكلية.

(٣) عندما يصومون فإنهم يكونون عابسين كالمرائين لكي يظهروا للناس صائمين. ولذلك يقول المسيح أكثر من مرة لا تتشبهوا بهم ففي حياتهم عبادة كثيرة جداً. تديّن كثير جداً لكن بدون حياة فقط بقصد الرياء.

وذات مرة كلمهم المسيح بما قاله إشعياء عنهم "قال لهم حسناً تنبأ إشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد

عنى بعيداً وباطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا الناس لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس" (مر ٧ : ٦-٨ أ).

حياة دينية ستار للخطية

تقابل السيد المسيح مع المرأة السامرية ودار حوار بينه وبينها ويتضح من الحوار أن هذه المرأة كانت متديّنة كثيراً جداً لكن للأسف تديّن بلا حياة. فقد كانت لديها معرفة واسعة في التاريخ المقدس، إذ أنها تكلم يسوع وتقول له آباؤنا... العلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا... وكانت لديها أيضاً معرفة في نظم العبادة وموقعها هل هي في جبل جرزيم أم هي في أورشليم. وكانت لديها معرفة عن الأنبياء وصفاتهم ويتضح ذلك من قولها ليسوع أرى انك نبي. كما أنها بيّنت أنها تنتظر المسيا. فقالت للمسيح أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء. "وهنا نتأمل ونتألم حزناً على ما نراه في هذه المرأة وأمثالها فقد كانت لديها معرفة واسعة جداً ومتديّنة كثيراً جداً. ولديها انتظار لمجيء المسيا ولكن حياتها أبعد ما تكون عن المسيا فما زالت تعيش في حياة الآثم والخلاعة والفجور.

حقاً إن الشياطين يؤمنون ويقشعرون فكم من أناس ارتدوا ثوب الدين وتمسحوا به واتخذوه وسيلة لتحقيق مآربهم وفعل خطاياهم هذا ما يندى له الجبين خجلاً ويقشعر له الجسد رعباً وهولاً. فالأثام والآلام والدموع والشقاء والدماء المنهمرة التي أُرِيقت تحت ستره تجعلنا نفزع قائلين يا أيها الدين كم من أثام ترتكب باسمك الجميل. إن الله الذي نعبده إله قدوس وفى أكثر من موضع يقول لنا "كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (لا ١١ : ٤٤، ٤٥، ٢٠ : ٢٦، ابط ١ : ١٦). فهو يطالبنا أن نحيا حياة القداسة الفعلية وليست المظهرية.

أبواق جوفاء وحياة بعيدة عن الرب

وكما رأى بولس في مدينة أثينا تديّن ظاهري كثير جداً بلا حياة ولا جدوى ولا رسالة، هكذا في أيامنا الحالية نجد العلاقة بين الكثيرين وبين الله هي علاقة التديّن الشكلي الكثير وليست هي علاقة الحياة المسيحية العملية فكم من أناس

يحفظون الكثير من الآيات والنصوص الكتابية ويعظون غيرهم بها وكم من أناس يتفنون في الدين ويتفقهون فيه ويخرجون منه فتاوى ويحرمون ويحللون ما يشاء لهم ولكن هؤلاء المتديّنون كثيراً ما يصدر من قلوبهم وافعالهم من حقد وكراهية وحسد وغيرة ونميمة وأنانية يكشف ويعبّر على أن تديّنهم ظاهري فقط بدون فائدة أنهم أبواق جوفاء يرددون كلاماً دون تكريس الحياة للرب.

اغتسلوا. تنقّوا. اعزلوا شر أفعالكم

إن الرب يخاطب هؤلاء بلسان إشعياء النبي قائلاً "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر. حينما تأتون لتظهروا أمامي من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمه باطلة. البخور مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليّ ثقلاً. مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عينيّ عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع"

وهنا يأتي السؤال لماذا يا رب ترفض كل هذه العبادة لك ؟ يجيب الرب ويقول أن سر ذلك هو أيديكم ملآنة دماً. بمعنى عباداتكم كثيرة وحياتكم كلها خطية. إذن ماذا العمل؟ وما هو العلاج؟ يوّجه الرب الشعب نحو الحياة المرضية وليست إلى العبادة الكثيرة قائلاً "اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيّ كفوا عن فعل الشر. تعلموا فعل الخير اطلبوا الحق أنصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة. هلّم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف. (أش١).

المسيح يحذرنا من الرياء وخداع النفس

حذر المسيح من الرياء وخداع النفس الناتج عن الشعور الوقتي والتظاهر بغيرة دينية أمام الآخرين. فقال "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط. "أذهبوا عنى يا فاعلي الآثم" (مت ٧ : ٢١ - ٢٣).

٢- التديّن غير المرتب

كل إنسان منا يضع أولويات لحياته ويؤدى أعماله بترتيب معين. ينجز أولاً ما هو أهم ثم ما هو أقل أهمية ثم ما هو أقل... وهكذا. وأيضاً في حياة الإنسان الدينية أي ما يخص علاقته بالله يجب أن تكون فيها أولويات يعرف الإنسان ما هو أهم ثم ما هو أقل أهمية لئلا يكون تديّنه بلا جدوى.

سيق شاب إلى المحكمة ليحكم عليه في تهمة قاسية وجهت له. وكان والد هذا الشاب يعمل قاضياً فذُهل القاضي الذي كان يحاكمه وسأله كيف حدث منك ذلك وأين دور والدك معك ألم ينبهك إلى فداحة هذا الجرم الذي تقف أمامه الآن للمحاكمة؟ فقال الشاب أبى كان مشغولاً بالآخرين وبكتب القانون ومحاكمة المتهمين. ولم يعطيني جزءاً من وقته فلو كان أعطاني بعضاً من وقته لما ارتكبت هذه الجريمة أو جئت لهذا المكان. نعم إنها قضية الكثيرين الذين لا يعرفون الأولويات في حياتهم وعلاقتهم بالرب.

دقة متناهية لصغائر الأمور وبلا حياة عملية

كلم السيد المسيح الكتبة والفريسيين بأسلوب شديد اللهجة وأشار لهم إلى الأولويات في حياتهم وعرّفهم أن عباداتهم رغم كثرتها لكن لا فائدة منها. لأنهم لا يعرفون الأولويات في حياتهم الدينية. فمثلاً قال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأوون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك" يا للعجب إنه يظهر اهتمامهم بأصغر الأمور فهم يقدمون العشور من الأشياء البسيطة الصغيرة جداً التافهة مثل النعنع والشبث والكمون لكن تركوا ما هو أهم الحق والرحمة والإيمان فالمسيح لا يمنعهم أن يكونوا مدققين كان من المفروض أن يعملوا هذه ولا يتركوا تلك.

موقفهم هذا كموقف إنسان يدفع للكنيسة العشور بدقة مثلاً يدفع خمسين جنيهاً وعشرة قروش. ويرى في نفسه أنه رجل دقيق جداً يدفع العشرة قروش قبل الخمسين جنيه لكن حياته خارج الكنيسة تكون أبعد ما يكون عن الله فيها

غش ورشوة وسرقة ومشكلات مع آخرين واخذ حقوقهم وترتيب مكـــائد لـــهم وغير ذلك. أيهما افضل الحياة المسيحية الفعلية حتى ولو كانت بعطاء مادي بسـيط جداً أم العشور الدقيقة بخمسين جنيهاً وعشرة قروش مع حياة بعيدة عن الله. هـــذا سؤال يلزمنا أن نفكر فيه والمقصود منه أن يشجعنا على أن نعيش الحياة المسـيحية العملية وليست الشكلية. وليس المقصود منه عدم التشجيع على العطاء.

أول الأولويات الجلوس عند قدمي السيد

دخل السيد المسيح إلى بيت مريم ومرثا ولعازر (لو ١٠ : ٣٨- ٤٢) وكـان المسيح في المعتاد يفضل دائماً أن يستريح في هذا البيت لأن الأسرة كانت تقدم لـه محبة وافرة في وقت كان يجد فيه الانتقاد الكثير والعداوة الشديدة مـــن جماعـات الحاقدين والناقدين عليه. والمسيح عندما ذهب لهذا البيت كان فيه الأختيـن مريـم ومرثا وكل واحدة عبّرت عن محبتها للمسيح بصورة تختلف عن الأخرى.

فمريم جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع لكلامه. وشعرت أن هذه هـي الأولوية الأولى. أما مرثا فشعرت أن من واجبها أن تعد وليمة كبيرة من أنـواع كثيرة من الطعام. وانشغلت كل الوقت في إعداد الطعام وأصنافه وهى تشـتكى للمسيح من أختها، وتقول له يا رب أما تبالي أن أختي قد تركتني وحدي. قل لـها أن تعينني أي قل لها أن تقوم من جانبك وتعمل معي. وكأن الكلام فيـه توجيـه اللوم للمسيح أيضاً. لكن يسوع وجهها إلى فكرة الأولويات أي إلى الأهم ثم الأقل أهمية فقال لها مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمـور كثـيرة لكـن الحاجة إلى واحد. وكلمة "واحد" أختلف عليها المفسرين كثيراً منهم من قال أنـه المسيح أي الحاجة للمسيح فقط. ومنهم من قال الحاجة إلى طبق طعام واحـد. أي لا تقلقي نفسك المهم أن المسيح وجهها إلى الأولويات الضرورية والهامة جـداً لكن ما فعلته مريم أنها اختارت النصيب الصالح.

نحن أحياناً كثيرة نفعل كمرثا نكرم المسيح بخدمة متفانية. لكن الخدمـة بدون معرفة كلمة الرب، بدون معرفة الأولويات والأهم، بدون طاعة الـرب، بدون حياه تمجد الرب لا قيمة لها. بل أكثر من ذلك كم من أنـاس متديّنـون كثيراً جداً لكن ديانة بلا رسالة لأنهم لا يعرفون الأولويات في حياتهم.

الاستماع افضل من الذبيحة

في القديم يعرفنا الوحي في (١صم ١٥) أن الرب أمر الملك شـــاول أن يغزو عماليق. ويحرر كل من فيها. لكن شاول أبقى بعض الغنم والبقر بحجـة ذبحها للرب. لذلك وبخه الله على فم صموئيل النبي وقال له "هل مسرة الـرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاســتماع أفضـل مـن الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش" ع٢٢ أيهما افضل يا شاول تنفيـذ وصايا الرب كما قال لك أم أنك تقدم له بعض التقدمات - كم من أناس تعمـل مثل شاول الخطية تملأ حياتها لكن في وقت معيـن تعطـى الله جـزء مـن المحصول لإرضائه وإسكات غضبه عليهم.

٣- التديّن العاطفي

في (إنجيل مرقس ٥ : ٢١ ـ الخ) يقول البشير مرقس في ع٢١ ولمـا اجتاز يسوع في السفينة أيضاً إلى العبر أجتمع إليه جمع كثير وكان عند البحر وبعد ذلك طلب منه يايرس رئيس المجمع أن يشفى ابنته فسار معه يسوع إلـى البيت وأثناء سيره يقول البشير في ع٢٢ تبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه. نعم جمع كبير جداً وازدحام شديد حول المسيح. لماذا كل هذا الازدحـام الشـديد؟ كان بقصد رؤية يسوع وحب الاستطلاع فيهم ليروا ماذا يفعل وكيف يصنـع المعجزة لكنهم لم يؤمنوا به وفى وسط الجمع الكثير والازدحام الشـديد علـى يسوع وقف يسوع فجأة وسأل سؤال عجيب وقال من لمـس ثيـابي. تعجـب التلاميذ وردوا عليه رداً طبيعياً جداً إذ قالوا أنت تنظر الجمع يزحمك وتقـول من لمسني بالطبع مئات من الناس قد لمستك. لكن المسيح كان ينظـر حولـه قاصداً شخص معين إيمانه قوى به كان هو المرأة النازفة دم التي أنفقت كل ما عندها على الأطباء ولم تنتفع شيئاً منهم. فجاءت بإيمانها للمسيح واثقة أنها لـو لمست هدب ثوبه فإنها تشفى وفعلاً هذا ما حدث جف ينبوع دمها في الحال كم من الناس الذين كانوا مزدحمين حول يسوع وكانت عواطفهم جياشة لكنهم لـم يستفيدوا شيئاً بالمرة. لكن التي استفادت هذه المرأة فقط. واحدة فقط من جمـع غفير جداً وفى أيامنا الحالية كم من أناس كثيرين يتزاحمون حول الدين والتديّن

فهناك الكتّاب والصحفيين والسياسيين الذين يتحدثون ويكتبون عن الدين لكنهم قد يكونوا أبعد ما يكون عن الحياة الدينية الحقيقة التي يريدها الله منا.

في حياتنا الكنسية كم من أناس يجرون إلى النهضات، ويستمعون إلى العظات، ويتسابقون إلى حضور المؤتمرات، ويعيشون في زحمة دينية حول المسيح. لكن لم يستفيدون شيئاً، ولم ينالوا بركة، لأنهم يفتقرون إلى الإيمان الحقيقي. إلى الإيمان العامل بالمحبة والطاعة. إن زحمتهم حول المسيح هي زحمة حب الاستطلاع ومعرفة ما هو جديد فقط. يا ترى لو سار المسيح في أعماق قلوب هؤلاء وأفكارهم هل سيقول لهم ما قاله الرسول بولس لأهل أثينا "إنكم متديّنون كثيراً جداً" وتديّن بلا فائدة أم سيقول لهم أنكم ستحيون الحياة المسيحية المرضية لله.

ثانياً: طريق وحيد للوصول إلى الله

هناك مثل يردده الناس كثيراً وهو "كل الطرق تؤدى إلى روما" وهذا المثل صحيح، لأن روما في وسط البحر، وكل الطرق تصل إليها. لكن هل يا ترى الوصول إلى الله يكون بنفس الفكر له طرق عديدة يمكن أن يسير عليها الناس للوصول إليه، هناك من يعتقد أن الوصول إلى الله يتم بالسلوك الأدبي الحميد، وهناك من يعتقد أن الوصول إلى الله يتم عن طريق كثرة العبادات، وهناك من يعتقد أن الوصول إلى الله يتم عن طريق الأعمال الصالحة كالصوم والصدقة وغير ذلك، وهناك من يعتقد أن الوصول لله يتم عن طريق الانتماء إلى طائفة معينة. إن لله طريقاً وحيداً للوصول إليه يتمثل في الإيمان بشخصه. فعندما تعامل سجان فيلبى مع بولس وسيلا سألهما سؤالاً في غاية من الأهمية إذ قال لهما "يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي اخلص؟" (أع ١٦ : ٣٠) نعم علينا أن نؤمن بالرب وعنايته ويرتبط بالإيمان السعي لإيجاده ثم نثق في عنايته وجوده ورحمته.

١- نؤمن بوجوده

هل الله موجود؟ إنه سؤال هام ولم يعرف التاريخ أهم منه وأعظم وأبعد أثرا للإجابة عليه. إنه سؤال كل العصور. فمنذ فجر الإنسانية حتى اليوم وإلى

أواخر الدهور يتكرر هذا السؤال. إنه سؤال لا يمكن أن نتجنبه أو نتجاهله أو نتهرب منه. بل إنه السؤال الجوهري الهام الذي ينبغي الإجابة عليه قبل مناقشة أي موضوع آخر، فالإيمان بوجود الله هو أساس الحياة المسيحية أولاً.

أجاب الملحدين على السؤال وقالوا أنه غير موجود. هؤلاء الذين يصفهم الكتاب المقدس رغم ما لديهم من علم ومعرفة وجاه ونفوذ وسلطان لكنه يقول عنهم "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٤ : ١) فهم لديهم معلومات علمية ومعارف عامة وفلسفات كثيرة لكنهم يجهلون ما هو أهم لحياتهم، وهو معرفة الإله الخالق الفادي العظيم. قال نيتشه الفيلسوف أن الله مات. وقال غيره أن فكرة الله هي من صنع واختراع البشر. وقال آخرون أن الله نسبى لا مطلق.

وأما الآدريين فقد وقفوا في الوسط بين الإلحاد والإيمان فلم يقطعوا بهذا أو ذاك وكانت إجابتهم "نحن لا ندرى" أي أنهم أجابوا على السؤال بالامتناع وازدحمت عقولهم بالشكوك والقلق وإرادتهم بالفوضى ومبادئهم بالاضطراب. وقد قال ديفيد هيوم أحدهم "إن الديانة في كل أبوابها هي لغز وسر لا يحل. وكل ما نحصل عليه من البحث في هذا الموضوع هو الشك وعدم التأكد والتوقف عن الحكم".

لكن المؤمنين فهم لا يخضعوا إيمانهم بالرب للتحليل العقلي أو المادي أو الحسي المجرد. فالله روح وبالتالي لا يدرك إدراكاً مادياً محسوساً عقلياً. ولذلك يقول الرسول بولس "لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (٢ كو ٥ : ٧) ووصف كاتب الرسالة إلى العبرانيين الإيمان بالقول "هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى" (عب ١١ : ١). وهناك الأدلة الكثيرة التي تؤكد لنا على وجود الله، وقد كتبت عنها مجلدات كثيرة، وليس المجال هنا لسردها بالتفصيل. لكننا نشير إلى نقاط بسيطة جداً عن أهمها فيما يلي:

١- **الكتاب المقدس:** فهو كتاب الله، وأول آية واردة فيه تذكر اسم الله العظيم، إذ تقول "في البدء خلق الله السموات والأرض".

٢- **الناموس الطبيعي:** في الإنسان الذي يتمثل في الضمير الحي، وهذا الناموس يدفع الناس حتى الذين لا يعرفون الله إلى الإحساس بوجود كائن اسمي عظيم يستحق أن نعبده ونعظمه.

٣- **الطبيعة:** بما فيها من نظام ودقة وعجائب لا حصر لها ولا عدد. لذا نحن نؤمن بوجود الله العظيم حتى لو أنكره البعض فنكران الحقيقة لا يبطل وجودها.

٢- نسعى لإيجاده

لا يكفى لنا كمؤمنين أن نؤمن بوجود الله كخالق عظيم مبدع للكون فقط بل علينا أن نسعى بأنفسنا لكي نتعرف عليه شخصياً ونختبر عنايته ورعايته لنا في حياتنا. والله ليس بعيداً عنا كما يقول عنه الوحي في المزامير "الله قريب من الذين يدعونه. الذين يدعونه بالحق" (مز ١٤٥ : ١٨). وحسب قول بولس الرسول "إنه عن كل واحداً منا ليس بعيداً" بل إن الرسول يوحنا يعطينا إجابة شافية واضحة للوصول إلى الله عن قول المسيح في (يو ١٤ : ٦) إذ يقول "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الأب ألا بي" إذاً نحن نصل إلى الله عن طريق المسيح يسوع فقط ولا طريق آخر سواه.

يسوع هو الطريق الوحيد إلى الله

لماذا المسيح بالذات؟ بما أن الإنسان خاطي فهو لا يقدر أن يدنو من الله القدوس. قديماً قال الله لموسى "لا يقدر ابن آدم أن يراني ويعيش" لذلك كان من اللازم أن يحدد الله نفسه بطريقة ما لكي يقترب من البشر ولكي يقتربوا هم إليه وهذا الأمر تم في المسيح يسوع. فالمسيح هو الله المتجسد.

ثم أن هناك سبب آخر جعل الله ينزل إلينا بصورة إنسان وهو أن الله أراد أن يكلم البشر ويعلن لهم عن محبته بشكل عملي لهذا السبب دعي المسيح في كتابات يوحنا "بالكلمة". وقد أيد لنا هذه الحقيقة كاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما قال "الله بعدما كلم الأباء بالأنبياء قديماً بأنواعها وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عب١ : ١ ، ٢)

٣ــ نثق في جوده

فالله يجازى الذين يطلبونه ويكافئ الذين يجدونه. قال بطرس للمسيح ذات يوم يا رب قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا؟ إجابة يسوع "مئة ضعف في هــذه الحياة" بالإضافة إلى مكافأة الحياة الأبدية. وقد قال كلفن عن هذا الأمـــــر "إنـــي لا أؤمن بعناية الله كإله فحسب بل بعنايته كأب محب مشفق". وجون وسلى الذي قـــال "أنه كلما يقرأ صحيفة من الصحف فهو يقرأ ما يفعله الله في حياة الناس".

ثالثاً: قلب غيور لتوصيل الرسالة

يقول الوحي الإلهي عن بولس الرسول انه عندما رأى مدينة أثينا بما فيها من أصنام وزحمة دينية حول الإلهة الوثنية الكثيرة والمتعددة، ورآهم في نفس الوقت بعيدين كل البعد عن الإله الحقيقي الذي خلقهم ويرعاهم ويـــــهتم بكــل شئون حياتهم. فلم يحتمل واحتدت روحه فيه. وقد رأى حياتهم مليئة بالفواحش والفجور مشابهة لما قاله الرسول في رسالة رومية "استبدلوا حق الله بـــالكذب وأتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد أميـــن. لذلــك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان. لأن إناثهم أستبدلن الاستعمال الطبيعـــي بـــالذي على خلاف الطبيعة. وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثـــى الطبيعـــي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض. فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور. ونائلين فـــي أنفسهم جزاء ضلالهم المحق" (رو ١ : ٢٥-٢٧).

واقع مؤلم يستحق التحدي

ومثل هذا التحدي الذي وجده بولس في مدينة أثينا وجده أيضاً مرة أخرى في أثناء رحلاته التبشيرية في مدينة كورنثوس. التي كانت عاصمـــــة ولايـــة اخائية ومن أشهر مدن اليونان بل من أشهر مدن العالم كله. وكان تعدادها فـــي أيام بولس بحسب ما يقول الكتّاب عنها حوالي أربعمائة ألف نسمه. ومع أنـــها لم تصل يوماً إلى مقام أثينا في المعرفة والعلم لكنها تفوقـــت علـــى عاصمـــة اليونان في ميدان التجارة واللهو والفجور إذ كانت ممراً عالمياً للتجـــارة بيـــن الشرق والغرب. كما كانت هي المدينة التي تقام فيها الألعاب الأولمبيـــة كـــل

أربع سنوات. كما كانت هي المدينة المشهورة بالفجور والفساد لذلك دعاها يوحنا فم الذهب بأنها أشر مدينة عرفها التاريخ. ودعاها البعض بأنها سدوم القرن الأول الميلادي إذ كان لها هيكل فينوس أو افرودت الهه الجمال والحب. وكان بالهيكل ألف امرأة خصصن أنفسهن لأشر ألوان الدعارة والفجور كجزء لازم من أجزاء العبادة وقد قيل أن بولس كتب الإصحاح الأول من رسالته إلى أهل رومية وهو ينظر حزيناً إلى ما يحدث في مدينة كورنثوس من أثام ومفاسد.

عزيزي القارئ ضع نفسك مكان بولس الرسول وأنت ترى الفجور والفساد والجهل والعمى الروحي هل تستطيع أن تحتمل وتسكت وتقف مكتوف الأيدي؟ أم أن روحك ستحتد فيك مثل بولس الذي احتدت روحه فيه.وتحدى كل هذه الشرور والعوائق التي يمكن أن تعوق رسالته حتى أنه لم يترك كورنثوس إلا بعد أن أسس وانشأ فيها كنيسة كبيرة وكان يتابعها بالرسائل بعد ذلك.

غيرة نارية في خدمة السيد

نعم هو بولس الذي كان ينظر للحياة فيراها كالوحش الضاري ولم يحتمل السكوت عليها وخاصة ما كان يراه ليس فقط من الفساد الأخلاقي بل اضطهاد المؤمنين أيضاً. فالواقع الذي كان أمامه أوجد فيه غيره ملتهبة تحولت إلى نار متقدة في داخله لا تهدأ في خدمة سيدة وفاديه فعندما تحدث مثلاً أمام الملك اغريباس في سفر الأعمال ظنه فستوس من طريقة حديثه وحركاته مجنوناً قائلاً له "أنت تهذي يا بولس. الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان" (اع٢٦: ٢٤) فستوس كان عاجزاً عن أن يدرك النار العظيمة التي كانت تتقد في أعماقه وأوقدها يسوع المسيح بداخله. ولم يستطع سيف الجلاد نفسه ألا أن يشهد بشجاعتها الباسلة التي لا تتراجع حتى الموت.

لا توجد خدمة ناجحة بدون دافع حقيقي

كم من أناس مسئولين بالكنائس تقلهم الله بمسئولية توصيل الرسالة للآخرين عندما تقابلهم أقل معضلة وأبسط تحدى فيتخلوا سريعاً عن رسالتهم التي كلفهم الرب بها. كم من أناس يخدمون بدون الدافع الحقيقي، ودون التهاب

داخل القلب. لذلك رسالتهم لا تأتى بثمر أو ثمرها يكون ضعيف جداً. إن السيد عندما أرسل تلاميذه للخدمة لم يعدهم بفراش من حرير. لكنه وعدهم بالاضطهادات بالسجون بالتضحيات الكثيرة بالصليب. (مت ١٠)

حزن ووجع في قلب بولس على بعد البعيدين

تأمل معي يا عزيزي القارئ في ثبات وصبر بولس ومواجهته للتحديات الكثيرة التي كانت تواجهه أثناء الخدمة إذ يقول "في كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام في طهارة في علم في طول أناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء في كلام الحق في قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار. بمجد وهوان بصيت رديء وصيت حسن كمضلين ونحن صادقون كمجهولين ونحن معرفون. كمائتين وها نحن نحيا. كمؤدبين ونحن غير مقتولين. كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ" (كو ٦ : ٤ - ١٠).

هذا الرجل بولس عاش فرحاً بالرب بعدما تعرف عليه في الطريق إلى دمشق. وفى رسالة فيلبى يدعونا أن نكون دائماً فرحين في الرب إذ يقول لنا "افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضا أفرحوا" (في ٤ : ٤). إلا أنه رغم ذلك كان ينتابه حزن شديد جداً بين الحين والأخر وكان حزنه حزناً عميقاً على من لم تصل إليهم نعمة الرب ومن لم يقبلوا المسيح كمخلص شخصي لحياتهم ويعيشون في العالم وكل شعارهم نأكل ونشرب لأننا غداً نموت لذلك من حزنه عليهم وغيرة قلبه يقول "أقول الصدق في المسيح لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس أن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع. فإن كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل أخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو ٩ : ١-٣).

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ:

الله يريد أن يوجهك هنا إلى عدة أوامر هامة لحياتك ومن المهم أن تراعيها وهى:

الأمر الأول: لا تعتقد أن مسئولية توصيل الرسالة للآخرين هي مسئولية نخبة الخدام والرعاة والقسوس فقط لكنها مسئولية كل مؤمن نال حياة جديدة عليه أن يخبر بكم صنع به الرب ورحمه. ويكون شعاره باستمرار ما قاله المرنم "بمراحم الرب أغنّى إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي" (مز ٨٩ : ١) وقوله أيضاً "هلم أسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي" (مز ٦٦ : ١٦). فالله منح كل مؤمن مواهب معينة تختلف عن غيره لا يريده أن يطمرها. بل عليه أن يستثمرها جيداً لمجد المسيح الذي فداه. فما هو دورك تجاه من حولك؟ ماذا تقدم لهم؟ وهل أنت مشغول بهم؟

الأمر الثاني: توجد قضية آثارها المسيح أثناء خدمته الجهارية على الأرض وهى أن الحقول ابيضت للحصاد. وهى كثيرة والفعلة قليلون وهذه القضية التي أثارها المسيح لم تنتهي بعد لكنها باقية بل إنها زادت وكبرت واتسعت واصبح الاحتياج الآن أكثر وهذا يجب أن يشعرنا بالحماس الشديد للخدمة ويوجد فينا غيرة نارية للانطلاق للجهات المحرومة التي لا تعرف شمالها من يمينها مثل نينوى وهى كثيرة الآن. هل تنشغل بهذه القضية الهامة؟

الأمر الثالث: ضرورة النزول إلى أرض الواقع فالرسالة لا تصل للآخرين ونحن جالسين في أبراج عالية. ولا تصل إليهم ونحن منعزلين عنهم فالرسول بولس يقول صريحاً "كيف يدعون بمن لم يؤمنوا به. وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز. وكيف يكرزون إن لم يرسلوا. كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات" (رو ١٠: ١٤، ١٥).

الأمر الرابع: الواقع يفرض أنه لابد من تغيير مفهوم الخدمة عند الكثيرين. فمفهومهم عن الخدمة هو الجلوس في الأماكن المريحة، والقاعات الفسيحة، والحصول على المرتبات بالدولار، والكرازة في مفهومهم هي كتابة تقارير وهمية عن أنشطة متعددة وكثيرة كان من الواجب أن يؤدونها.

الأمر الخامس: هناك فرق بين التديّن وبين نوال الحياة الجديدة كما اتضح من الحديث سابقاً. في ضوء ذلك راجع مع نفسك وأجب ما هي علاقتك بالرب. هل هي علاقة التديّن أم علاقة الحياة الجديدة في المسيح؟ وماذا يريد الله منك؟

الأمر السادس: يعتقد بعض الناس أن هناك طرق كثيرة توصّل إلى الله لكن الله يؤكد لنا في الوحي المقدس أنه يوجد طريق واحد للوصول إليه هو إتباع المسيح يسوع. فما هو اعتقادك أنت؟ وفى أي طريق أنت تسير لكي تصل إليه؟


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
ملء
الزمان

منذ أن عصى آدم وصايا الله وسقط في الخطية فهوى إلى حضيض البؤس والشقاء فتبدل بأسه يأسا وسعادته غماً وابتسامته دموعاً. فتساقطت هذه الدموع على الأرض لكنها لم تبقى ساكنه في مكانها فتصاعدت مرة أخرى عبارة عن أنات ملتهبة من قلوب البشرية جمعاء إلى السماء طالبة الغفران راجية الأمان والسلام متمنية الخلاص من رب الأنام فتعامل الله مع البشرية بطرق كثيرة لإنذارها وإصلاحها لأن أجرة الخطية هي موت والله لا يسعد بموت الخاطئ لكن للأسف البشرية لم تستجيب لنداء حبه وبقيت بشرها وفسادها. فأرسل الله مياه الطوفان المغرقة ومن بعدها نيران سدوم المحرقة لإصلاح حال البشرية لكن حال البشرية كان يتطور إلى الأسوأ فتحولت الأنات إلى صيحات وصرخات. إلى أن جاء ملء الزمان وأعلن الرسول بولس ذلك في رسالة إلى أهل غلاطية إذ يقول لهم "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس" (غل ٤ : ٤).

وهل لنا بنعمة إلهنا وبإرشاد روحه القدوس أن نكتشف ما في هذا الإعلان من حكمة إلهية في سر عجيب؟ وخاصة أن السيد المسيح قد قال لتلاميذه مرة عندما سألوه قائلين "يارب هل في هذا الوقت ترد الملك لإسرائيل" حيث أجابهم "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات" (أع ١ : ٦،٧).

لتكن أحقاؤنا ممنطقة وسرجنا موقدة لانتظار سيدنا

نعم كانت هناك حكمة سماوية في إخفاء الأزمنة والأوقات عن أذهان البشر ليجعلهم مستعدين في كل لحظة من لحظات حياتهم منتظرين كما قال السيد لتلاميذه "لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقده. وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس. حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت" (لو ١٢ : ٣٥، ٣٦). "فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة" (لو ٢١ : ٣٤).

نعم جاء ملء الزمان فولد في إحدى قرى فلسطين الوليد العجيب الذي جمع إلى جمال الأرض وجلال السماء. والتقت فيه الحكمة بالبساطة واجتمعت فيه عزة النفس بالوداعة وفيه أشرقت شمس البر لمن هم تحت جنح الظلام.

لا بالتهديد ولا بالوعيد يُصلح حال البشرية

جاء قديماً نوح بالطوفان نذيراً فأعلن لشعبه إن غضب الله ينصب في الطوفان على الخطاة والمعاندين ثم جاء موسى فنزل من فوق جبل سيناء منادياً شعبه بعدل الله وحقه الذي يصرع الكاذبين. وجاء بعد ذلك إيليا فوقف على جبل الكرمل مهدداً البشرية بأن نار الله تحرق كل المنافقين، لكن في ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة فادياً ومعلناً في ذاته وصفاته أن الله محبة يترفق بالضالين والبعيدين. جاءنا المسيح الوديع الهادئ فلم يهدد أحداً ولم يتوعد أحداً. بل كانت كلماته الرقيقة العذبة تنساب من بين شفتيه كما ينساب النسيم العليل.

بعد اختفاء كل ينابيع الأمل ظهر كوكب الصبح المنير

جاء ملء الزمان فجاءنا المسيح بعد أن اختفت كل ينابيع الأمل وفاضت أعين الناس بدموع اليأس فظهر لنا كوكب الصبح المنير وأستقر في بيت لحم. فسجد له المجوس وفرح بميلاده الرعاة وترنمت له السماء. نعم فرح الجميع بمجيئه لأنهم وجدوا فيه تحقيق رجاءهم فهو مشتهى جميع الأمم.

جاء ملء الزمان فجاءنا المسيح الذي حيّر كل العلماء والفلاسفة في شخصه الذي كان وديعاً كالحمل أمام الضعفاء قوياً كالأسد أمام الأقوياء رحيماً بالمساكين. جباراً قاسياً على المرائين. منعشاً بكلماته الرقيقة قلوب البائسين. حقاً لقد اجتمعت فيه أعظم الصفات وأجمل الفضائل.

جاء ملء الزمان فجاءنا المسيح محققاً أهم ما نحن في حاجة إليه وما تبحث عنه البشرية من قرون طويلة ولم تستطيع أن تناله فوجدته في المسيح كما يلي:

(١) في ملء الزمان جاء المسيح للسلام رئيساً.

(٢) في ملء الزمان جاء المسيح للحب ناشراً.

(٣) في ملء الزمان جاء المسيح للفقراء مشاركاً.

ونتأمل في كل أمر من هذه الأمور التي حققها لنا المسيح بمجيئه متجسداً إلى عالمنا هذا على حده فيما يلي:

أولاً: في ملء الزمان جاء المسيح للسلام رئيساً

تنبأ عنه إشعياء فترنم بالقول "لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (أش٩:٦).

جاءنا المسيح فرنمت له جوقة الملائكة السماوية "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو ٢ : ١٤). جاء إلى أرض مرصوفة بجماجم الشهداء الأبرياء. وإلى بشرية قد طغت فيها أبواق الحرب على أصوات موسيقى السلام وعلى ترنيمات وتسبيحات العابدين. جاء إلى بشرية ظهر فيها عالِم الذرة ومُفجِرها فجعل الإنسان من نفسه قاتلاً وقتيلاً.

أعظم منحة أعطاها يسوع للإنسان

جاء ملء الزمان فجاءنا المسيح بتعاليمه فطوب صانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون (مت ٥ : ٩) وترك أعظم تركه لتلاميذه وتابعيه وهى تركة السلام إذ قال لهم "سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب" (يو١٤ : ٢٧). منح الإنسان سلاماً مثلث الأركان. سلام للإنسان مع نفسه وسلام للإنسان مع غيره، وسلام للإنسان مع ربه.

١- <u>السلام مع النفس</u>: فمنذ سقط الإنسان في الخطية أغلق على نفسه وسجنها وهو يبحث عن الحقيقة لكنه لم يصل إليها لأنه كان يدور حول نفسه، تحول الإنسان إلى عدو لنفسه فأحتاج إلى السلام مع النفس فما نراه اليوم يحدث من تطرف في سلوك البعض ما هو إلا نتيجة للحرمان من السلام الداخلي مع النفس.

٢- <u>السلام مع الآخرين</u>: فمن طبيعة الإنسان أن يعكس ما بداخله على الآخرين فالخطية الساكنة بداخله لابد أن تفرق وتمزق لكن المسيح جاء ليعقد سلاماً بين الإنسان وأخيه الإنسان. فقد جمع في ميلاده بين البسطاء والحكماء وبين الفقراء والأغنياء وبين المجوس والرعاة.

٣- <u>السلام مع الله</u>: لا يستطيع الإنسان أن يهنأ بسلام مع نفسه أو مع غيره وهو محروم من السلام مع الله. فقد جاء المسيح ليصالح الإنسان مع الله ليرفع الخطية ويقيم سلاماً بين الإنسان وبين ربه.

قيمة السلام العظمى

كان شخص اسمه جون يعمل محامياً، وكان مشهوداً له بالذكاء والدقة وطيبة القلب. وكان دائماً يرغب في فض النزاع بين الناس بالود والحب وليس بالقانون. أي بروح القانون أكثر من نص القانون. وبجلسات المحبة أكثر من اللجوء إلى المحاكم. وهذا الإنسان أشترى قطعة أرض كان الناس الآخرين يرفضون شرائها لشراسة وفظاعة الجار. لكن هو أقتنع بها واشتراها. وعندما ذهب ليتسلمها واجهه الجار بتحفز شديد للصراع وإحداث المشكلات بأكثر عنف وشدة. والجار يقصد أن يفهّم جون إنه لا يهمه على الإطلاق عمله كمحامى أو الإلمام بالقانون والالتجاء للقضاء. لكن جون سأل الجار عن الحد الفاصل للأرض بينهما. قال الجار أني ظُلِمت وحقي قد أعتدي عليه وإن الحد الصحيح يلزم أن يدخل في أرضك مترين. قال له جون، لا تقلق نفسك يا صديقي ارسم الحد وأضف أربعة أمتار لأرضك وليس مترين فقط. فصاح الجار وقال ولكن هذا ضعف ما أنا أريد. قال له جون نعم نفذ ذلك وأنا جئت لهذا الموقع لا لكي أجعل من هذه الأرض نقطة خصام أو نزاع بيني وبينك. وأنا أريد أن أرضيك وإن هذا سيسعدني ويبهجني أفضل من أي مساحة من الأرض يمكن أن نختلف عليها أو نتنازع بسببها. وبعد إن قال هذا الكلام رد عليه الجار وقال إن هذا الحد الذي بيننا لن يتزحزح عما هو عليه الآن. فلتذهب الأرض كما تذهب لأنه لا يوجد ما يساوى السلام بيننا على الإطلاق.

ثانياً: في ملء الزمان جاء المسيح للحب ناشراً

يا ترى لماذا نحن نُعيّد في بداية كل عام عيد الميلاد كذكرى لميلاد السيد المسيح؟ ولماذا نفرح ونهلل ونبتهج وننشغل ببرامج رائعة نعدها ونسعِد بها غيرنا..؟ هل ذلك نفعله لمجرد ميلاد طفل عظيم فقط؟ أو لحدث عظيم دخل

سجلات التاريخ فقط. إننا نفرح ونعيد لمجيء المسيح لعالمنا لأننا قد اكتشفنا حقيقة لم يكتشفها العالم من قبل عن الله فقد كانت سلوكيات الإنسان مليئة بالحقد والكراهية قايين يثور على هابيل أخيه ويقتله. يعقوب يخدع أخاه ويكذب على أبيه ويسرقه. أخوه يوسف يحقدون على أخيهم ويتخلصون منه. لذا عامل الله الناس بالطوفان مرة ثم بالنار والكبريت مرة أخرى. فظن الناس إن الله منتقم جبار فقال موسى عنه "من يعرف قوة غضبك وكخوفك سخطك" (مز ٩٠: ١١). وقال آساف "أنت مهوب أنت فمن يقف قدامك حال غضبك. من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكنت" (مز ٧٦ : ٧، ٨).

محبة المسيح تستأثر قلوبنا وأفكارنا لطاعته وخدمته

كانت هذه هي صورة الله عند البشر لكن عندما جاء المسيح إلى عالمنا تجسد الحب ونطق يوحنا الحبيب بالقول "الله محبة" (١يو ٤ : ٨، ١٦). وكتب الرسول بولس "الله ظهر في الجسد" (١تيمو ٣ : ١٦). حقاً إن المسيح جاء إلى عالمنا حباً متجسداً لكي يستأثر بالمحبة قلوبنا وأفكارنا لطاعته وإرادتنا لخدمته. وحبه عجيب، فقد علمنا أن نعيش به ليس فقط للقريب ولا للصديق بل قال "أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم. احسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت ٥ : ٤٤).

وقال "لا تقاوم الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً فأذهب معه أثنين" (مت ٥ : ٣٩، ٤١).

لأجل ذلك قال نابليون قولته المأثور لقد أقام قيصر وشرلمان وأنا إمبراطوريات كبرى لكنها انهارت في حياتنا لأنها كانت مؤسسة على القوة. أما ذلك الناصري فقد أقام مملكته على أساس عظيم هو المحبة. ومع أن آلافاً من السنين قد توسطت بينه وبين تابعيه إلا أن عشرات الآلاف منهم مازالوا يستشهدون طوعاً لنداء حبه .

صوت إلهي يناديك

يا من تعيش في كراهية لغيرك وتحرم نفسك من المحبة التي هي أسمى الفضائل وأعظم المواهب. أعلم أن الله قد أحبك رغم أنه لم يكن فيك شئ يُحب ويريدك أن تبادله هذا الحب بمحبتك لأخوتك. فكيف تحب الله الذي تعبده ولا تحب اخوتك. فمحبة الله يجب أن تظهر في محبتك لأخوتك. وقد جاءنا المسيح حباً متجسداً لكي نعيشه كسلوك عملي ونترجمه للآخرين كحياة كما علمنا الرب في الوحي المقدس بلسان الرسول بولس بأن "المحبة تتأنى وترفق المحبة لا تحسد... المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق. وتحتمل كل شئ وتصدق كل شئ وترجو كل شئ وتصبر على كل شئ. المحبة لا تسقط أبداً" (اكو ١٣ : ٤ – ٨). حقاً يا يسوع بمجيئك لأرضنا تجسد الحب إنساناً وأصبح لحياة الإنسان طعم ومعنى إذ أثرت لنا الحياة والخلود.

نؤثر في الناس بحياتنا أكثر من تعاليمنا

قيل عن غاندي إنه تأثر بكلمات المسيح وأعجب بها رغم أنه لم يكن مسيحياً في ذلك الوقت. الكلمات الوارد في الموعظة على الجبل التي قال فيها "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً فأذهب معه اثنين. من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت ٥ : ٣٨ – ٤٤). وبعد إعجابه هذا بكلمات المسيح القوية قيل عنه أنه كان يُشرف على مجموعة من الشباب في جنوب أفريقيا وفى مرة أثناء غيابه. فعل أحدهم

عدة أخطاء جسيمة دون أدنى اهتمام. وعندما رجع غاندي من غيابه علم مـــا فعله الشاب فناداه وتحدث معه عما فعل. ورأى فيه الإصرار على تصرفه هذا دون أدنى إحساس بألم أو ندم أو توبة. فما كان من غاندي إلا أنه قال أن هناك خطأ قد حدث ويبدو أني فشلت في إصلاحه ولابد له من علاج . ولقد قـررت أن أعالجه بالانقطاع عن الطعام عشرين يوماً. ولم يدرك الشاب فـــي بدايـة الأمر قسوة هذا القرار حتى جلس على مائدة الطعام ولم يستطع أن يأكل بسبب تبكيت ضميره. فكيف يأكل هو وأخر يجلس بجواره جائعاً لا يتذوق أي طعـام بسببه. ذهب الشاب إلى غاندي وحاول أن يقنعه بتناول الطعام لكـــن غـاندي رفض ذلك. فتألم الشاب وأحس بأخطائه الجسيمة التي فعلها كلها وقال إنه تعلم درساً رائعاً لحياته لم يتعلمه من كل المواقف السابقة الأخرى. وهنا نرى تأثير الحب والوداعة في علاج الأخطاء. قيل عن الشاب أن هذا الأسلوب جعله مـن أحسن الشباب بعد ذلك الذين عاش معه غاندي.

هذا ما عمله الله مع البشرية في المسيح يسوع. فلم يصلح حال البشـــرية بالتهديد ولا بالوعيد لكن جاء المسيح حباً متجسداً لها فغيّر من حالتها.

ثالثاً: في ملء الزمان جاء المسيح للفقراء مشاركاً

أفتقر من أجلنا مع إنه هو الغنى فقد ولد فقيراً وعاش فقيراً ومات فقـــيراً في حين إنه أغنى الأغنياء. وعلى مر الأيام والسنين عطش إلى قطرات المـاء في حين أنه روى ربوات من العطاش بماء الحياة. جاع حتى أنه أفتقـر إلـــى بضع سنابل من القمح في حين أنه أشبع الجياع خيرات كثيرة. وأفاض علـــى الجميع وفرة من غناه. لم يجد يوم ميلاده مكاناً في المنزل في حين أنه مــانح أفخم القصور للأثرياء. في غضون حياته على الأرض قال "للثعالب أوجـــره ولطيور السماء أوكار. أما هو فليس له أين يسند رأسه". ثـــار علـــى نظـام الطبقات ونادى الأغنياء بأن يوزعوا أموالهم على الفقراء. وضرب لنـــا مثـل

الغني ولعازر ليعلمنا أن أكبر جرم يرتكبه الأغنياء نحو الفقراء هو تجاهلـــهم وإغفالهم. وأن "من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له" (يع ٤ : ١٧).

عطية الفقير هي قرض للمسيح

كما أن من يعطى الفقراء يقرض المسيح لأنه قال "بما أنكم فعلتمـــوه بأحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم" (مت ٢٥ : ٤٠) "ومن سقى أحـــد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره" (مت ١٠ : ٤٢).

في أثناء تعاليمه أتخذ من صخر الجبل منبراً وجلس ســامعوه علــى عشب الوادي باعتباره مسرحاً وعند مبارحته الأرض رفعه أعداءه علـــى خشبتين متقاطعين كصليب فاتخذ منهما عرشاً فوق جبل الجلجثة وأخـــيراً دفن في قبر مستعار.

النجاح جائزة المجتهدين

يا أيها الأغنياء يا من تبحثون عن المسيح ستجدونـــه وســط أخوتـــكم الفقراء ويا أيها الفقراء لا تتذمروا على واقع حياتكم فالمسيح كان أخاً مشـــاركاً لكم في الفقر وليس في الكسل فجدوا واجتهدوا وأعملوا فالإنسان بعرق وجهـــه يأكل خبزاً وعلى قدر أتعابكم وجهدكم الله يكافئكم وتذكروا دائماً أن سر شـــقاء الكثيرين إنهم يرغبون لكن لا يعملون. قلوبهم مليئة بالأمل لكن حياتهم تفتقـــر للكفاح والعمل والمثابرة لكي ينالوا النجاح في حياتهم ونسوا أن النجاح جـــائزة المجتهدين ومكافأة العاملين الصابرين.

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ

الله يريد أن يخاطبك بهذه الرسالة أنت شخصياً ويريد أن ينبهك فيها إلى هذه الأمور الهامة الآتية :

١ـ تواجهنا قضايا كثيرة في حياتنا ونعتقد أن علاجها يأتي عن طريق سلطان القوة لكننا نكتشف أن سلطان المحبة أقوى فالمحبة قوية كالموت. لذا جرب ذلك في حياتك مع الآخرين وقدم لهم حباً صادقاً من عمق قلبك. أقترب مما يعاديك. أجلس وتحاور مع من يختلف معك في الرأي. قدم رسالة حب لإنسان يحاول أن يعكر صفو حياتك. اكتشف نتيجة ذلك.

٢ـ أحياناً كثيرة نعتقد أنه قد اختفت من أمامنا كل ينابيع الأمل، وتمتلئ أعيننا بدموع اليأس، وتفيض الكأس المرة بنا حتى أخرها أي يمتلئ بنا الزمان نلجأ ليسوع فتتفتح أمامنا كل أبواب الرجاء. فتتحول الدمعة إلى بسمة والحزن إلى سعادة، لأن فرح الفاجر إلى لحظة أما سعادة القريب من المسيح فهي دائمة.

٣ـ إننا نعيش في عصر التحضر السريع جداً. وهذا التحضر أنعكس بنتائج سلبية على الإنسان. فبالتحضر أخترع الإنسان ما يدمر به أخيه الإنسان. والعالم كله اليوم يعيش في رعب من الأسلحة النووية، أي أنه يشعر بحرمان من السلام. رغم أن السلام هو الاحتياج الأول والرئيسي له. وحقيقة الأمر أن الله لم يخلقنا

ويمنحننا عقلاً لا لندمر بعضنا بعضاً لكن لكي نعيش بسلام كل واحد تجاه الأخر. وقد طوب صانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون. فهل لك دور في صنع السلام؟ فلو كل واحد منا صنع السلام في موقعه لصار العالم كلى في سلام .

٤- يخبرنا علماء السكان بالإحصائيات المختلفة عندهم لمن هم تحت خط الفقر على مستوى العالم كله. كم من أناس يموتون جوعاً وعندنا في مصر ربما يصل العدد إلى ثلث عدد السكان. هل لك دور في علاج قضية الفقر هذه؟ ليس المقصود بهذا السؤال أن تتصدق على غيرك رغم أن الصدقة مطلوبة وأوصى بها المسيح. لكن قد تكون هناك أدوار أخرى أفضل من ذلك كالعمل الجيد أو الإبداع أو التنمية أو إعطاء المشورة الصحيحة أو إعطاء النصيحة المخلصة لمن هو في حاجة إليها.


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
كنيسة
ناجحة

غرست يمين الرب الكنيسة المسيحية على الأرض لتعلن الإنجيل وتدعو للايمان بالمسيح حتى تجد رسالة الخلاص طريقها إلى مسامع الناس بواسطتها. وقد كثرت كتابات الكتّاب حول موضوع الكنيسة فهناك من تناولها في أوصافها.. وهناك من تناولها في رسالتها... وهناك من تناولها في سلطانها... وهناك من تناولها في تاريخها... وهناك من تناولها في أمراضها... الخ. وفى وسط زحمة الكتابات المختلفة عن الكنيسة أعجبني وصفا بارعاً وصفه شخص يدعى هنري هث كرين للكنيسة قال عنها "الكنيسة الحية هي التي لم تكن جدرانها من أحجار وطوب بل من عزائم مكرسة يربطها التعاون والتبادل والولاء المشترك لإعلان الأسمى والأحسن".

.. ولم تكن نوافذها من الزجاج الملون بل من الألوان المتعددة من الأحلام والأماني والأشواق التي يبدو منها جمال لا نهائي يشع بالأضواء اللامعة التي من شمس البر. ولم تكن أعمدتها العالية وأقواسها المقببة من الأحجار والصُلب. بل من الأذرع الممتدة المرتفعة في الصلوات الضارعة التي لا حصر لها. وأبوابها لا تغلق أبداً إذ هي واسعة ومفتوحة للإنسانية كلها، القديسين والخطاة، الأغنياء والفقراء، السود والبيض على حد سواء. لم يكن المنبر فيها منصة الحديث الذهبي. بل كان النور والنار الذي يشع منه الحق والقوة. والكتاب المقدس فيها لم يكن مجرد مجلد واحد موضوع في مكان منعزل على المقرئة بل هو الحياة التي تشهد بجسارة وتختبر بعمق وتتعزى برقة وتتحدى باستمرار. وليست الموسيقى فيها اختلاط الأصوات مع الأرغن. بل في القيادة المكرسة والخدمات النامية المتنوعة التي تتسق وتتجمع في تعاون مجيد.

وهذا الشخص في وصفه للكنيسة أنه يقصد إن الكنيسة لا يمكن أن تكون مجرد مبان عظيمة، أو أبهة واسعة، أو مناظر عالية مرتفعة شامخة في الجو، مهما يكن جمالها وعظمتها. ولا يمكن أن تكون مجرد فرائض ميته جامدة مهما يكن حظها من حلاوة المظهر أو ضجيج التعبير مادامت لا تدفع الإنسان

دفعاً متصلاً متزايداً متوالياً نحو الله. ولا يمكن أن تكون الكنيسة مجرد أنظمة إدارية أو اجتماعية أو علمية، مهما تكن هذه الأنظمة دقيقة وجميلة ما لم تنظم حياة الإنسان وتستثمر وزناته وخدمته لمجد الله ولخير الآخرين.

والعالم من حولنا يتطلع ويوجه أنظاره إلى الكنيسة في رسالتها، ويريد أن يراها كنيسة ذات رسالة عظيمة جداً، في محاربة الشر في العالم، وفى إيجاد السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان ورب الإنسان، وفى استنارة الإنسان وتعليمه وغير ذلك. والسؤال هل يا ترى ذلك موجود بالفعل في الكنيسة أم لا؟ الرسول بولس يقول "فإني أرى الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت لأننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس" (١كو٩:٤). ونحن كمنظر للعالم والعالم يسلط أضواءه علينا ماذا يرى فينا يا ترى؟

ما يجب أن يراه العالم في الكنيسة هو:

أولاً: يرى العالم الكنيسة جيشاً يحارب

يقول الوحي الإلهي في سفر النشيد "أنت جميلة يا حبيبتي كترصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بألوية.. ثم يقول.. من هي المشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية" (نش ٦ : ٤ ، ١٠) والألوية هي جمع لواء واللواء يتكون من عدة كتائب، والكتيبة تتكون من عدة سرايا، والسرية تتكون من عدة فصائل، والفصيلة تتكون من عدة جماعات، والجماعة تتكون من عدة أفراد. وهذا يعنى أن الكنيسة هي جيش كبير وقوى وعظيم ومتنوع ومتعدد.

دور هذا الجيش لا أن يبقى ساكناً صامتاً، لكن لكي يحارب في الميدان. وهنا نرى الكنيسة كجيش عليها أن تحارب في الميدان ضد الشر والفساد. ضد الخطية بكل أنواعها. والرسول بولس يوجه أنظارنا إلى أن حرب الكنيسة ليست سهلة لأنها روحية فيقول في رسالة أفسس "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاه العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦ : ١٢). والرسول بطرس يوجهنا أيضاً لضرورة الحذر والتحدي الدائم للعدو فيقول "لأن إبليس خصمكم يجول كأسد زائر ملتمساً من يبتلعه هو" (١بط ٥ : ٨).

وهكذا المسيح لا يرغب بأن يرى كنيسته مهزومة صامته ساكنة مكتوفة الأيدي لكن يريد أن يراها دائماً منتصرة قوية محاربة ضد الشر. ولا يكون دورها سلبي تقليدي تصوم وتصلي وتتعبد والشر يكون باقياً في حياة الناس.

الله لا يرضى بالتناقض أو الازدواجية في حياتنا

قال الرب للشعب قديماً على فم إشعياء النبي "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر. حينما تأتون لتظهروا أمامي من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الآثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم بغضتها نفسي. صارت على ثقلاً مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كفوا عن فعل الشر. تعلموا فعل الخير. أطلبها الحق أنصفوا المظلوم اقضوا لليتيم. حاموا عن الأرملة. هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيّض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (أش ١: ١١ - ١٩) ورسالة الرب للشعب هذه تثير فينا عدة تساؤلات:

١- هل يجوز أن الشعب أن يصلي ويتعبد كثيراً جداً، يصوم ويكرس أياماً والخطية تكون باقية في حياته بكل أنواعها من غش ورشوه وظلم وسرقة وكذب ونميمة.. وغير ذلك؟ فالرب يقول بصريح العبارة هنا لست أطيق الإثم والاعتكاف لأنهما لا يتفقان معاً. هل من الصح أن نأخذ الدين ستاراً لخطايانا في حياتنا العملية. هل يجوز أن الينبوع الواحد يخرج ماءً عذباً وماءً مالحاً؟

سار السيد المسيح ودخل مدينة اسمها بيت عنيا وجاع هناك فنظر أمامه ووجد شجرة تين مخضرة مليئة بالأوراق. شكلها جميل جداً لكن لم يجد فيها أي ثمر فلعنها (مت٢١ : ١٨-٢٢). وهكذا المسيح لا يريد أن يرى كنيسته شكلاً جميلاً براقاً فقط فيها صلوات كثيرة - أصوام كثيرة - إعتكافات كثيرة لكنها بلا ثمر فما الفائدة منها؟

دور الكنيسة الرئيسي هو التغيير في حياة الناس للأفضل

إن الكنيسة دورها الأول والرئيسي هو أن تُحدث تغيير في حياة النـــاس إلى الأفضل ونحن كشعب الرب كل فرد منا يجب أن يكون جندي قوى صالح للجندية المسيح لا يرغب أن يرانا وعاظاً قديرين. المسيح لا يرغب أن يرانـــا مسئولين مديرين، عظماء ظاهرياً أمام الكنيسة ولكن بلا جدوى وبلا رســـالة. لكن يريدنا أن نحرز نصراً ضد الشر المنتشر في العالم، ونعمل على جـــذب الكثيرين المأسورين في ميدان الخطية.

وربما يرى البعض أن هناك تعارض بين أقوال الوحي عـــن الكنيســـة. فكيف تكون الكنيسة ملكة السلام. وكيف تكون جيش يحارب في نفس الوقــت. والسلام ضد الحرب تماماً على خط مستقيم.

المسيح يريد أن يرى كنيسته جيش يحارب ضد الشر والخطيـــة، ضـــد الضلال والفساد والرشوة، واللامبالاة والنميمة والحقد والكراهيـــة..... الـــخ. ويريد أن يراها ملكة السلام لتوجد صلحاً بين الله والناس، وبين النـــاس مـــع بعضهم.

الجندي لا بد أن يكون يقظاً وساهراً ومستعداً للحرب

عزيزي القارئ: إن كنت نلت حياة جديده وأصبحت ابناً لله وعضو فـــي كنيسة المسيح فثق أن عليك مسئولية في كل مكان وكل زمان لمحاربة ما تـراه خاطئ. كل ما هو ليس من الإيمان فهو خطية. كن كعاموس الذي كان يصـرخ في وجه الأمراء منادياً بالحق. محارباً الظلم الاجتماعي. كن كإيليا الذي وقـف بكل شجاعة أمام شرور وظلم أخاب ملك إسرائيل وزوجته إيزابل الشـــريرة. كن كيوحنا المعمدان الذي كان كالسيف أمام هيرودس الملك وكلمه بكل قـــوة لكي يتراجع عن خطاياه وشروره مع هيروديا. فـــالجندي دوره لا أن يـــأكل ويشرب وينام في الجيش وانتهى الأمر، لكنه دائماً يكون يقظاً وساهراً ومستعداً للحرب كلما هاجمه العدو.

ثانياً: الكنيسة مستشفى للعلاج

قال السيد المسيح لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فهذا القول يعنى أن المريض يحتاج إلى علاج، والكنيسة هي مستشفى لمرضى الروح، والمرضى يأتون إلى المستشفى بكل أنواع أمراضهم للعلاج.

منهم من يأتي مكسّر مخلع مصاب في حادث لِيعالج، والكنيسة كمستشفى روحي تقوم بعلاجه. فالحكيم سليمان يقول "الخطية طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم ٧ : ٢٦). والكنيسة يجب أن يكون بابها دائماً مفتوح يأتي إليها المريض روحياً فيجد شفاءً لعظامه، والرب قادر بروحه القدوس أن يحول العظام النتنة اليابسة إلى جيش قوى عظيم (حز ٣٧).

ومنهم من يأتي وهو مصاب بميكروب في جسده (فيرس) نتيجة عدوى من الغير أو البيئة الملوثة من حوله. وهذا النوع يحتاج لمضاد حيوي قوى جداً لقتل الميكروب. ويحتاج لكم معيّن من العلاج، وإذا حدث تقصير ينشط الميكروب مرة أخرى. هذا هو المرض الذي حذر منه السيد المسيح ملاك كنيسة برغامس (رؤ ٢ : ١٢ــ١٧). إذ يحذر ملاك الكنيسة من الميكروب المنتشر في جسد الكنيسة ويجب ألا يتهاون معه. قال له "عندك تعاليم بلعام منتشرة فهي تسبب معثرة لبنى إسرائيل" تصدى لها ولا تتركها عالجها بكل الطرق لإيقاف خطرها. هنا يظهر دور الكنيسة كمستشفى للعلاج لمن قد أصيب بعدوى من البيئة المحيطة في المدارس أو الجامعات أو وسائل الإعلام أو العمل أو غير ذلك.

هناك من يأتي إلى المستشفى منهك ضعيف مرت به الظروف والتجارب قد أنهكته أتعبته فأصبح يشعر بضعف شديد. وهكذا توجد مثل هذه النوعية التي تأتى للكنيسة باعتبارها مستشفى المسيح دور الكنيسة هنا أن لا تحاكمه وتستمر في محاسبته فهو لا يحتاج إلى محاكمة أو محاسبة بل يحتاج إلى فيتامينات مقوية من كلمة الرب. يحتاج إلى عناية ورعاية وطعام أكثر. مهم

جداً أن تقدم له الكنيسة هذا العلاج من خلال شركته مع اخوته المؤمنين ومـــن خلال جرعات التعليم الصحيح القوى المهدف في بيت الرب. يقول الرســـول بولس في (رو ١٤ : ١) "ومن هو ضعيف فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار" ويقـــول في (رو ١٥ : ٧) "لذلك اقبلوا بعضكم كما إن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله".

الكنيسة يجب أن تكون بلا جدران

الكنيسة عليها أن تفتح أبوابها للخاطئ مهما كانت خطيته وتهتم به وتقـــدم له ما يحتاج إليه لعلاج حالته فالمسيح قبل السامرية ولم يرفضها، ورحب بـــها رغم سيرتها المنتشرة في كل مكان حولها، ومعرفة كل السامرة بشرها. وقبـــل زكا العشار رغم سمعته المنتشرة إنه يأكل مال الفقراء اليتامى المعدمين.

وهناك من يأتي إلى المستشفى وهو مصاب بمرض نفسي تسبب له مـــن الأوهام والغرور والكبرياء التي سيطرت عليه فأوجدت فجـــوة بينـــه وبيـــن المجتمع وأصبح في حالة عدم تكيف مع الآخرين. وهكذا بنفس الفكر.

هناك من يأتى إلى الكنيسة وهو ملئ بالأوهام والغرور والكبريـــاء ودور الكنيسة هنا أن تعلمه كيفية الخضوع والانكسار أمام الله.

هناك من يأتى إلى المستشفى بمرض نفسي أساسه هو الشعور بـــالذنب. وهذا الإنسان يحتاج إلى علاج خاص يشعر فيه براحة نفسية مما يقلقه ويؤنـــب ضميره. وهكذا هناك من يأتى إلى الكنيسة وهو شاعر بذنبه نتيجة خطايا قـــد فعلها ودور الكنيسة هنا أن لا تنفر منه أو تهمله أو تتجاهله لكنها تعرفه طريق غفران المسيح وقلبه المفتوح الذي يحتوى الكل متى لجأ الإنسان إليه.

ثالثاً: الكنيسة ملجا للحماية

يذكر الوحي الإلهي في سفر نشيد الإنشاد سؤال رائع، لكنه غامض فـــي نفس الوقت. هو "ماذا ترون في شولميث"؟ ثم يعطى الإجابة قائلاً "مثل رقـــص صفين" (نش ٦ : ١٣). ماذا يعنى هذا التعبير؟ في الحقيقة إننا عندما نتأمل فيه في اللغة العربية لا نفهمه ويبدو علينا غامضاً. وقد تعددت التفاسير لإيضـــاح

هذا القول وللوصول إلى المعنى الصحيح المقصود منه. ولكي نفـــهم معنـــاه الصحيح لابد أن نرجع إلى اللغة الأصلية التي كتب بها وهى اللغة العبريــــة. فترجمة الأصل العبري لهذا التعبير تعرفنا أن كلمة شولميث هي الاسم المؤنث لسليمان، وسليمان يعنى ملك السلام فشولميث تعنى ملكة السلام. وتعبير "مثـــل رقص صفين" معناه التقاء جيشين للحرب أو بمعنى أدق "التقاء فرقتيــــن مـــن الجيش للحرب". وشولميث هنا هي التي تقوم بـــدور الســـلام بيـــن الجيشـــين المتحاربين، لأن سليمان كما يقول الكتّاب عنه فيه رمز إلى المسيح ملك السلام وهو عريس الكنيسة. وشولميث ترمز إلى الكنيسة ملكة السلام، وهى عـــروس المسيح. وهذا التعبير في اللغة العبرية هو محنايم.

يتكرر التعبير محنايم في أكثر من موقف في العهد القديم فمثلاً نجـــده فـــي (تك٣٢) في موقف يعقوب عندما كان خائفاً مذعوراً من مقابلة أخيه لـــه وهـــو يتوقع إنه سيقتله. وفى مجيئه إلى أخيه عيسو قابله جيش من ملائكة الله فدعا اسم ذلك المكان "محنايم" (تك٣٢ : ٢). بمعنى أنه وجد في هذا المكان ما يطمئن قلبـه ويهدئ روعه. وجد ما ينقله من الخوف والرعب والذعر إلى الأمان والطمأنينة.

كما أن محنايم كانت هي إحدى مدن الملجأ التي كان يأتى إليها المذنـــب فينال حماية عندما يرتكب خطية قتل ويعترف بها. فيجد حماية وهذا ما نـــص عليه الوحي في (يش ٢١ : ٣٨، ١أخ ٦ : ٨٠).

ومحنايم هذه هي التي هرب إليها داود عندما هرب من وجـــه أبشـــالوم (٢صم ١٧ :٢٤، ١مل ٢ : ٨). عندما كان يطارده.

الكنيسة أداة جاذبة وليس أداه منفرة

وهكذا الكنيسة هي مثل رقص صفين أي هي محنايم أي هي ملجأ الأمـــان لكل متعب مذعور قلق خائف مرتعب. يأتـــي إليهـــا المتعـــب الـــذي أنهكتـــه مصارعات الحياة فيجد فيها قلباً عطوفاً حنوناً. إن المشكلة الحقيقية التي توجـد في الكنيسة اليوم إنها عندما يأتي إليها المجهد المتعب الذي يعانى معاناة شديدة نفسياً وجسدياً وروحياً فيجدها بغير الصورة التي أرادها الله أن تكون عليـــها.

فيجد فيها جو من الانقسامات والمشاحنات. جو يسود عليه التوتر وعدم الراحة. هل يبقى فيها؟ بالطبع سيهرب سريعاً. يتركها ويبحث عن مكان أخر ليجد الراحة فيه. وبالتالي تكون الكنيسة أداة منفرة وليست أداة جاذبة. وهذا ما حدث في كنيسة كورنثوس. عندما أعطاهم الرب مواهب متعددة قادتهم للتشاحن والكبرياء والتفاخر بعضهم على بعض فأدى ذلك إلى وجود عدة انقسامات داخل الكنيسة جعلت المقبل إليها من الخارج لابد أن يهرب منها سريعاً.

سمات الكنيسة الناجحة

١ـ الكنيسة الناجحة تعرف أولويات خدمتها

أحتار الكسندر هوايت في يوم من الأيام وهو يبحث عن إجابة السؤال الذي كان يشغل باله كثيراً. وهو لماذا لم ينجح نوح في خدمته الكرازية والوعظية؟ جاءت الإجابة على السؤال في حديثاً له ذات مرة عن خدمته هو الشخصية والكرازية بين الناس عندما قال أعطانا الرسول بطرس إضافة عن حياة نوح بعد الأربعة الإصحاحات التي ذكرها موسى عنه إذ قال عنه "حفظ نوح ثامناً كارزاً للبر" وكواعظ يهمني جداً لطبيعتي ولأسباب أخرى كثيرة أن اعرف لماذا لم ينجح نوح في خدمته كواعظ؟ هل لأنه كان يكرز بالبر؟ قد يكون هذا لأني بخبرتي أعرف أن البر هو الشيء الوحيد الذي ينفر منه السامعون فقد يرحب بعض الناس بأنواع أخرى من الوعظ كالوعظ الجدلي والوعظ الدفاعي والوعظ التاريخي والوعظ القصصي والوعظ العقائدي وقد يطلبونها ولكنهم جميعاً يتفقون في مقاومة ورفض الوعظ بالبر أي الوعظ بالتوبة وإصلاح النفس والأخلاق نعم فهذه غير مقبولة لديهم.

كلام الكسندر هوايت يوجه الكنيسة أن تعرف ما هي أولويات رسالتها لا ما هو يعجب الناس ويرضيهم. فأولويات الرسالة قد تتعارض مع رغبات الناس. أولويات الرسالة الأولى في الكنيسة أن تكون كارزة للبر أولاً وقبل كل شئ. والكنيسة عليها أن تكون أمينة في توصيل الرسالة بغض النظر عن تقدير الناس لها.

٢ـ الكنيسة الناجحة لا تفرّق بين غنى وفقير

قد يكون سبب من أسباب أمراض الكنيسة هو التمييز بين الناس. فقد تهتم الكنيسة المحلية بفئة من الناس أكثر من غيرهم لا لأن هذه الفئة أكثر احتياجاً ولكن مجرد أنها من منطلق تمييزهم باعتبارهم أغنياء، أو أصحاب مراكز مرموقة، أو عائلات كبيرة لا لأسباب أخرى تعبّر عن الاحتياج. فهناك قصة تقول ذهب أحد الأشخاص لزيارة إنسان يعمل كناساً في الشوارع عندما كان مريضاً في كوخه وسأله الزائر هل زارك أحد اليوم. أجاب الكناس نعم زارني جلادستون وكان جلادستون في ذلك الوقت رئيس وزراء بريطانيا عندما كانت إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس كما يقولون. ولم يصدق السامع القول إذ بدأ له أنه غير قابل للتصور أن جلادستون يأتى إلى كوخ رجل كناس ليزوره في أثناء مرضه. ولكن هذه هي الحقيقة أن جلادستون تعوّد أن يرى الرجل كل صباح في الشارع وكان يقدم له التحية لعمله رغم أنه بسيط لكنه عظيم. وعندما لاحظ غيابه سأل عنه فعلم أنه مريض لذلك أتى وزاره في كوخه الصغير الحقير.

إن ما فعله جلادستون يجب أن تفعله الكنيسة في تأدية رسالتها تهتم بالفقير أولاً وهكذا المريض والمتعب والمجروح والجائع... ولا تفرق بين إنساناً وآخر. ما أكثر الكنائس اليوم التي تهتم بخدمة الطبقة العليا من الأغنياء والمثقفين وأصحاب المراكز المرموقة وتنشغل بهم أما البسطاء والفقراء فهي تنشغل عنهم.

٣ـ الكنيسة الناجحة تؤدى رسالة عملية وليست نظرية

يذكر جون ستوت الكاتب العظيم في إحدى كتاباته قصة جميلة فيها يوجه الكنيسة أن تكون عملية في تأدية رسالتها ولا تنشغل فقط بالوعظ الكثير والصلاة والتخطيط للبرامج المختلفة ولا تنطلق للخارج فقال عن راعى كنيسة جاءته امرأة لا مأوى لها تطلب منه المساعدة، فوعدها بأن يصلى لأجلها ولاشك أنه فعل ذلك بإخلاص لأنه كان منشغلاً وكان يشعر بعجزه. فكتبت له بعد ذلك هذه الرسالة الآتية وهى عبارة عن قصيدة شعرية أرسلتها له وقالت فيها:

كنت جائعة، فشكلت لجنة ممن يهتمون بالشفقة لبحث مسألة جوعي.

كنت مسجونة، فزحفت بهدوء إلى كنيستك الصغيرة وصليت لأجل إطلاق سراحي.

كنت عريانة، وفى ذهنك ناقشت أخلاقيات مظهري.

كنت مريضة، فجثوت وشكرت الله لأجل صحتك.

كنت بلا مأوى، فوعظتني عن الملجأ الروحي الذي تؤمنه محبة الله.

كنت وحيدة وبلا نصيب، فتركتني وحيدة لتصلى لأجلي.

إنك تبدو قديساً جداً، وقريباً جداً من الله، لكنني ما زلت جائعة جداً. أقاسي الوحدة وأعاني من البرد الشديد

إن الكنيسة الأولى كانت تكرز بكلمة الله بدافع الحب للبشر المحتاجين إذ لا يوجد شئ أخر يملأ قلوب الناس محبه وعطفاً نحو أخوتهم البشر نظير الإنجيل فكانت تقدم لهم الإنجيل بطريقة عملية مرفقاً بالخدمة الاجتماعية كما أننا نجد المسيحيون الأوائل قد أسسوا المدارس والمستشفيات وملاجئ المتبوذين. وفى مرحلة لاحقة أبطلوا تجارة الرقيق، وحرروا العبيد، وحسنوا أحوال العمال في المطاحن والمناجم، وغيروا من أحوال السجناء في السجون إلى الأفضل، وحماية الأولاد من الاستغلال التجاري في المصانع ومن البغاء الطقسي في هياكل الشرق، ثم الاهتمام بالعمى والصم واليتامى والأرامل والمرضى والمحتقرين. وكانوا يذهبون أيضاً إلى مدمني المخدرات، ويبقون بجانبهم أثناء صدماتهم التي يعانون منها أثناء حرمانهم من تعاطى المخدرات بقصد مساعدتهم. وكانوا يقاومون بشدة العنصرية والاضطهاد السياسي، ويقحمون أنفسهم في مسرح أحداث المدينة أو القرية. وكانوا يعملون للوصول إلى أحياء الفقراء المهمشة ويبحثون عن أي وسيلة للتعبير بها عن تضامنهم مع الفقراء والجياع والمعدمين الذين لا يجدون ما يسد رمقهم، والذين لا يجدون أبسط مقومات الحياة اقتصادياً واجتماعياً.

إن القضية التي تعيشها الكنيسة اليوم هي خروج شعبها بعد اجتماعات العبادة يشكرون الرب على أنهم تعزوا وأعطاهم الرب اجتماعات انتعاشية مباركة، وانتهى الأمر بعد خروجهم من باب الكنيسة. فالله لم يعلمنا ذلك، وإيمان بدون أعمال ميت في ذاته ولا جدوى منه. والكنيسة إذا كانت رسالتها وعظية نظرية وليست عملية فلا جدوى منها. لأن المسيح ثقلها بأن تصل لكل فئات هؤلاء المحتاجين.

٤ـ الكنيسة الناجحة تتغلغل وتنتشر في المجتمع

صلى المسيح صلاة كانت في غاية من العظمة والقوة من أجل تلاميذه وتابعيه والتي نسميها بالصلاة الشفاعية قال فيها "كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم. ولأجلهم أقدس أنا ذاتي. ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق" (يو١٧ :١٨، ١٩). وطلب المسيح من الآب في صلاته هذه طلبتين من أجل تلاميذه المرسلين للخدمة وهما الحفظ والتقديس. لماذا ركز المسيح على هاتين الطلبتين بالذات؟

إنه لم يطلب لأجلهم هكذا لا لكي يظهروا كجماعة متميزة فريدة في العالم تفتخر بأنها شعب الله المختار وجماعة الله المتميزة. والقادرة على هدم حصون الشر، والمحفوظة في يد القدير دون غيرها من الناس. ولم يصلى من أجلهم هكذا لكي تكون قداستهم مجرد نشيد ينشدونه أو شعار يعلنونه. أو رأيه يرفعونها بين الناس اعتزازاً وافتخاراً فقط. ولم يطلب لأجلهم هكذا لكي تصير الكنيسة باعتبارها الزنبقة البيضاء وسط الأوحال كأداة تدين العالم أو تشعر أنها الجماعة المستنيرة بنور الرب فتتفاخر بنفسها في وسط ظلام العالم. أو لكي تُظهر قبح العالم بجمالها، وسواد العالم مقابل نصاعة بياضها.

هكذا ظن بعض الناس إذ تصوروا أن تميزهم عن غيرهم هو هدف في حد ذاته فازدادوا تقوقعاً على نفوسهم وانعزالاً عن مجتمعهم. لكن السيد المسيح يخالفهم في هذا المبدأ فانه يصلى للآب ليحفظهم ويقدسهم لرسالة يؤدونها في هذا العالم، وليس للتقوقع والانعزال، لكن للانطلاق لخدمة أفضل. ليكونوا نوراً

للعالم منتشراً ومضيئاً للكل وغير موضوع تحت المكيال. وليكونوا ملحاً ذائباً في الأرض. وليكونوا خميرة صغيرة تخمّر العجين كله. وليكونوا رائحة بخور يشتم فيهم الناس رائحة المسيح الذكية.

٥ـ الكنيسة الناجحة رسالتها تكون امتداداً لرسالة المسيح

قال السيد المسيح في صلاته الشفاعية كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم. هذه عبارة تبدو بسيطة لكنها تحمل معاني يحار بل ويعجز العقل في إدراك مداها. فهي تتكلم عن أعظم إرساليتين هما إرسالية المسيح للعالم وإرسالية الكنيسة متمثلة في التلاميذ إلى العالم.

١- إرسالية المسيح للعالم كانت لإتمام الفداء والتكفير عن الخطايا. وإرسالية الكنيسة للعالم كانت للبشارة بهذا الفداء أي إنها مكملة لها.

٢- الله الآب قدس ابنه يسوع المسيح وأرسله للعالم كما قال المسيح عن نفسه في بشارة يوحنا "الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم. أتقولون له إنك تجدف لأنك قلت إني ابن الله" (يو١٠: ٣٦). وهكذا المسيح أرسل الكنيسة للعالم عن طريق تقديسه للتلاميذ وإرسالهم للعالم. كما أوضح البشير متى في قوله "هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً.." (مت ١٠: ٥)، وقول المسيح "فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨ : ١٩، ٢٠).

٣- الله أرسل ابنه يسوع المسيح ليخبر الناس عن محبته للعالم ويعلن لهم سمات الآب المحب ليفهموه بصورة أوضح. وهكذا المسيح أرسل كنيسته متمثلة في تلاميذه وتابعيه ليكونوا رسالته المقروءة من جميع الناس. ويخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب.

٤- الله أرسل ابنه متجسداً في صورة إنسان لكي يعيش بين البشر ويعايشهم. وهكذا المسيح أرسل كنيسته لكي توصل الرسالة وتذوب كالملح لتعطى طعم المسيح للعالم (بالطبع مع الاحتفاظ بكيانها). وكالخميرة التي تخمر العجين كله

مهما كانت صغيرة. وهذا ما عبّر عنه الرسول بولس بالقول "فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهود لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس. مع أني لست بلا ناموس بل تحت ناموس للمسيح. لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوماً" (١كو ٩ : ١٩ – ٢٢) .

٥– إرسالية الآب للمسيح إلى العالم كانت مرتبطة بالألم والصليب. وهكذا إرسالية الكنيسة للعالم في شخصيات التلاميذ فهي أيضاً مرتبطة بالألم والصليب مع الفارق العظيم بين آلام المسيح التي أوصلته للموت وبين آلامانتا نحن ككنيسة في العالم التي لا تساوى ذرة بسيطة من آلام المسيح. لكن رغم ذلك فهي كانت مرتبطة بالألم الذي يتضح من أقوال المسيح عدة مرات "في العالم سيكون لكم ضيق...." و"من أراد أن يتبعني فليحمل صليبه وينكر ذاته كل يوم ويتبعني".

٦ـ الكنيسة الناجحة هي التي تكون جسد واحد ليسوع المسيح

أوضح الرسول بولس في (رو ١٢ : ٤ – ٥، ١كو ١٢: ١٢– ٣٧) أن شعب الكنيسة الذين يلقبهم بالقديسين يجب أن يكونوا جسداً واحداً ليسوع المسيح وهم أعضاء بعضهم لبعض. وفي قوله هذا يريد أن يؤكد على حقيقتين هامتين. الحقيقة الأولى: هي صفة أساسية في الكنيسة وهى صفة الوحدة رغم التنوع والتي يؤكد عليها بقوله "فإنه كما في جسدٍ واحدٍ لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد" (رو ١٢ : ٤). وقوله "لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسدٌ واحدٌ كذلك المسيح أيضاً" (١كو ١٢: ١٢). والحقيقة الثانية: هي الالتزام الموضوع على كل فرد بأن يخدم أخاه الذي هو عضو معه في ذلك الجسد. فالجسد البشرى له أعضاء كثيرة لكن كل عضو له عمل خاص وكل الأعضاء مترابطة معاً ولها هدف واحد، واتساق وظيفي. وأهم ما في الأمر هنا أن الكنيسة

تعيش بما قاله الرسول بولس"إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضـــاء تتـألم معه. وإن كان عضو واحد يُكرّم فجميع الأعضاء تفرح معه" (اكو ١٢ : ٢٦).

رسالة إلهية شخصية إليك

الله يريد أن يخاطبك أنت شخصياً بهذه الرسالة من خلال الأمور التالية :

١ـ إذا كانت الكنيسة هي جيش يحارب ضد الخطية في العالم فهذا يفرض عليك واجباً أن تكـون جندياً صالحاً ليسوع المسيح. والجندي يجب عليه أن يكون يقظاً بصفةً دائمةً. ويجـب عليـه أن يكون ساهراً مستعداً لأي هجوم مـن العـدو فينتصر عليـه. ويجـب عليه أن يكون صبوراً فالجندية كلها مشقات صعبـة. ويجـب عليـه أن يكون شجاعاً لا جبانـاً. فإذا خاف وأرتعب وتوارى فإن العدو يزحف وراءه وينتصر عليه.

٢ـ إذا كانت الكنيسة مستشفى للعلاج وأنت واحـد مـن أسرة هذه المستشفى فعليك دور إيجابي في علاج كل فئات المرضى الـتي تأتي إليها. وهذا يتطلب منك أن تقوم بدورك مـع اللجوء للمسيح لمنحك نعمة في مد يد المعونة بحكمة وطريقـة صحيحـة. قد يكـون هذا الدور هو كلمة حب أو رسالة تشجيع أو تسديد احتيـاج معين أو تقديم رسالة مناسبة من كلمة الرب أو مساندة وتعضيـد سـاقط أو توجيه وإرشاد لضال وحائر.

٣ـ إذا كانت الكنيسة جسد واحد ليسوع المسيح وأنت عضو في هذا الجسد فعليك رسالة. لأن الله لم يخلق عضو في الجسد بلا فائدة. حتى الأعضاء التي تكون في نظرناً إنها قبيحة أو بلا كرامة لكنها في نظر الله لها كرامة أفضل. فأنت مهما كانت إمكانياتك وقدراتك بسيطة فعليك رسالة أيضاً. وليس ذلك فقط بل معنى هذا الكلام من زاوية أخرى إنه كما قال الرسول بولس "إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه. وإن كان عضو واحد يكرّم فجميع الأعضاء تفرح معه" (١كو ١٢ : ٢٦). فعليك أن تعيش بحياة المشاركة المسيحية تفرح لفرح غيرك وتتألم لآلامهم وتسعد لنجاحهم.

٤ـ إذا كانت الكنيسة دهى محنايم أي ملجأ الأمان فمعنى ذلك أن كل أعضاء الكنيسة يجب أن يكونوا أداة جذب وليسوا أداة تنفير تجعل الآتي إليها من الخارج يهرب سريعاً. فعليك أن تراعي نفسك كواحد من هذا الملجأ باستمرار فتكون بمثابة جفنه ملح تعطي مذاق المسيح للعالم . وشمعة مضيئة تحترق لتضيء لغيرك. ورائحة بخور يشتم فيك الناس رائحة المسيح الذكية. لا تكن صانع مشكلات. لا تكن متسلط لا يكن كل اهتمامك هو الوصول للأماكن الأمامية ، أو كراسي القيادة، الجري وراء العظمة لأن العظمة الحقيقية كما علمنا المسيح هي في خدمة الآخرين وغسل أقدامهم.


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
كوكب
الصبح
المنير
المتألق

كانت مناسبة مجيء رب المجد يسوع لعالمنا المادي هذا وتجسده في صورة إنسان إتماماً للوعد الإلهي لخلاص الجنس البشرى من الخطية التي بدأت بسقوط آدم وحواء. كما كانت أيضاً إتماماً لنبوات العهد القديم ففي سفر الخروج الإصحاح الثالث ظهر ملاك الرب لموسى في صورة لهيب نار في وسط عليقة تتوقد وتشتعل لكنها لم تحترق. وقال موسى أميل لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. "فلما رأى الرب موسى قد مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى فقال هأنذا. فقال له الرب لا تقترب إلى ههنا أخلع حذائك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة ثم قال له أيضاً أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله..." (خر٣: ٤-٦).

وملاك الرب هذا الذي ظهر في العليقة بلهيب نار. هو شخص المسيح وكإنما كان ذلك المنظر العظيم منظر النار المتقدة في العليقة ولكنها لا تحترق إشارة إلى ذلك السر العجيب سر التجسد واتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح ذلك السر الذي قال عنه بولس في الوحي الإلهي "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد برز في الروح تراءى لملائكة كرز به بين الأمم أو من به في العالم رفع في المجد" (١تى ١٦:٣).

نبوات متعددة للتجسد العظيم

وكذلك أيضاً قبل أن يولد المسيح بحوالي سبعمائة سنة تنبأ عنه إشعياء بأنه سيكون مولوداً عجيباً ويضع الله الرياسة على كتفه وإنه سيكون إلهاً ورئيساً للسلام فيقول في نبوته "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (أش٦:٩). وهناك نبوه أخرى على لسان إشعياء أيضاً تشير إلى أن المسيح سيكون الإله المتجسد وأن هذا الإله سيولد من عذراء. وتقول هذه النبوة

"ولكن يعطيكم السيد نفسه آيه ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو أسمه عمانوئيل "الذي تفسيره الله معنا" (أش ٧ : ١٤). ثم أيضاً تنبأ ميخا وكانت نبوته تشير إلى أن المسيح سيكون مدبراً لشعب الله وأنه سيولد في مدينة بيت لحم فتقول النبوة "أما أنتِ يا بيت لحم إفراته وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا. فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على شعبي..." (ميخا ٥ : ٢).

مفاجأة سارة من السماء للأرض

وعندما جاء الوقت المعين جاء المسيح إلى عالمنا وتحققت النبوات التي تنبأت عنه وتهلل الرسول بولس وأعلن في رسالته إلى أهل غلاطية هذا الإعلان وقال "وفى ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس" (غل٤ : ٤). وقد كانت مناسبة مجيئه مفاجأة سارة فاجأت بها السماء الأرض والأرض عنها لاهية بلذاتها غافلة عن أهم احتياجاتها.

ومما هو جدير بالذكر أننا عندما نفكر في قصة تجسد رب المجد ومجيئه لعالمنا فنحن لا نقف أمام أمر هين لكننا نقف على أرض مقدسة وصوت الله ينادينا "اخلع حذائك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". لذا يتطلب الأمر منا هنا أن نخلع كل شكوكنا البشرية وحيرتنا الإنسانية ونقر ونعترف بعجزنا عن إدراك أسرار الله العجيبة التي هي فوق إدراك عقولنا ونتقدم إليه بروح الإيمان والخضوع لنقبل كلمة الله الصادقة التي أعلنها لنا في الكلمة المقدسة.

حقائق الإيمان فوق إدراك العقل

ولا نحاول أن نثبت حقيقة التجسد ببراهين عقلية لكن علينا أن نقبلها بالإيمان لأنها حقائق فوق إدراك العقل وبرهان المنطق. والإيمان فيها لابد أن يسبق الفهم والرؤية فبعدما نؤمن يرشدنا روح الله القدوس لمعرفة حقائقه العظيمة كما قال المسيح لمرثا عند قبر لعازر "إن آمنتِ ترين مجد الله" (يو ١١:٤). فالإيمان ينبغي أن يسبق المعرفة.

ونحن لا يمكننا أن نتعدى حدودنا ونتكلم عن كيفية التجسد فهذا ليس شأننا لكننا نحاول أن نجيب على السؤال لماذا جاء الله لعالمنا هذا؟ أو لماذا تجسد الله في صورة إنسان؟ إنه بإشراق كوكب الصبح المنير وتألقه ومجيئه في الجسد لعالمنا المادي تم ما يلي:

(١) حرر الإنسان من قيود الخطية.

(٢) حقق العدل بين أفراد البشرية.

(٣) قدم حياته للخدمة الإنسانيـــة.

وهنا نتأمل في كل هدف قد تحقق بإشراق كوكب الصبح المنير في حياتنا على حده

أولاً: المسيح حرر الإنسان من قيود الخطية

جاء المسيح لعالمنا وبمجيئه ولدت الحريـــة في هذا العالم المقيـــد بقيـــود الخطية. فبعد أن قضى سنوات عمله كنجار مع يوسف وبدأ خدمته الجهاريـــة "وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع حسب عادته يوم السـبت وقام ليقرأ. فدفع إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الـــذي كان مكتوباً فيه "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي المأسورين بـــالإطلاق والعمـــى بـــالبصر أرســل المنسحقين في الحرية. فابتدأ يقول لهم أنه اليوم قد تـــم هـــذا المكتـــوب فـــي مسامعكم" (لو٤ : ١٦ ٢١، أش٦: ١، ٢).

أقسى أنواع العبودية هي عبودية الإنسان لشهواته

أنواع العبودية هي عبودية الإنسان لذاته وشهواته وأن أعظم حرية هـــي حرية مجد أولاد الله.

جاء المسيح وعرفنا الطريق للحصول على الحرية، وهو تجديـــد قلـــب الإنسان. فإذا لم يتحرر قلب الإنسان من الآثم والشر والفساد فمـــهما منحنـــاه حريات أخرى خارجية سيظل عبداً ذليلاً أسيراً. كالقبور الفاخرة التـــي تبنـــى

وتشيد لكن تسكنها جثث هامدة بلا نفع وهـذا مـا يعملـه رجـال الإصـلاح الاجتماعي والنفسي والسياسي في تحسين الأحوال الخارجية للناس. لكن ما لـم يتجدد قلب الإنسان أولاً فكل الجهود تذهب هباء وتبوء بالفشل لأن القلب هـو عجلة القيادة للإنسان.

الحياة مع المسيح لها هدف ومعنى وطعم

جاء المسيح إلى عالمنا فوجد الإنسان أسير للخطية بكل أنواعها عائشـاً مستعبداً في سجنها فحرره المسيح وأعطاه حرية مجد أولاد الله. لذلك كـانت الحياة قبل مجيئه كلها ظلام وبلا معنى وبلا هدف وبلا طعـم فأنـار الحيـاة والخلود، وأعطى لحياة الإنسان هدفاً ومعنـى وطعـم. تقـابل مـع شـاول الطرسوسي الذي كان أسيراً للتديّن الشكلي فحرره وأنار أمامه الحياة وصنـع منه أعظم رسول للأمم. تقابل مع السامرية التي كانت أسيره للشهوات الهوجاء فصنع منها كارزة عظيمة. تقابل مع نقوديموس الذي كان أسيراً لرياء المنصب الديني فحرره وصنع منه شاهداً للحق متحدياً للنفاق. تقابل مع زكـا العشـار الذي كان أسيراً للطمع والجشع وظلم الفقراء فحرره وصنع منه قديسـاً تائبـاً راجعاً إلى الحق. تقابل مع المفلوج الذي كان أسيراً للشعور بالذنب فحـرره إذ منحه نعمة الغفران. تقابل مع مريض بيت حسدا الذي كان أسـيراً لليـأس إذ قضى ٣٨ سنة ملازماً لفراش المرض فحرره إذ شفاه وملأه بالرجاء والأمل.

إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً

جاء المسيح إلى عالمنا فوهبنا الحرية لأنه هو الحق المتجسد الذي قـال لمقاوميه ومعانديه "تعرفون الحق والحق يحرركم .. فإن حرركم الابن بالحقيقة تكونون أحراراً" (يو٨: ٣٢، ٣٦) وفى أثناء محاكمتـه التاريخيـة ينطـق بيلاطس بالقول "أنت تقول أنى ملك. إني لهذا قد ولدت ولهذا قد أتيـت إلـى العالم لأشهد للحق كل من هو من الحق يسمع صوتي" (يو١٨: ٣٧).

أقوى سلطان هو سلطان المحبة

جاء المسيح ومنحنا الحرية إذ كانت تسيطر على العالم ثلاث قوى جبارة: قوة الرومان بسطوتهم السياسية، وسحر القوة المادية، فقيدوا العالم بقيود حديدية. فجاء المسيح محرراً من هذه القيود وبين للعالم ولهم أن الرحمة قوة مقنعة، والقوة ضعف مقنع، وأن سلطان الحب والحنان يفوق سلطان السيف والصولجان. والقوة الثانية كانت قوة اليونان بثقافتهم وفلسفتهم فقد غمروا المسكونة بسحر بلاغتهم. عبدوا الجمال ولم يعرفوا شيئاً سواه فقضوا على الفضيلة في هياكلهم وداسوا على القيم ولم يعطوا لها أي اعتبار. فجاء المسيح الذي هو أبرع جمالاً من كل بنى البشر، وأوضح للعالم أجمع أن الجمال المجرد عن الفضيلة إنما هو قبح وجالب للشهوة. والقوة الثالثة كانت قوة اليهود التي تتمثل في الحرص على التقاليد وتفسيرهم الخاطئ للنبوات لانتظارهم مجيء مسيح ذي قوة أرضية، بها يكسر جناحي النسر الروماني، الذي كان يحلق فوق رؤوسهم فجاء المسيح الوديع وبين للعالم إنه لا سلطان أقوى من سلطان المحبة ولا قوة أفضل من قوة التضحية والبذل لأجل الآخرين.

ثانياً : المسيح حقق العدل بين أفراد البشرية

جاء المسيح إلى عالمنا ونادى بأبوة الله للجميع ورفع علم المساواة والإخاء بين البشر فأزال الفوارق بين اليهودي والأممي. ورفع الحواجز التي كانت بين السيد والعبد، وساوى بين الرجل والمرأة، وأصبح الجميع واحداً. وعلم الناس أنه لا فرق "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو٣: ٢٣). وبمجيئه هذا صالح السماء والأرض فتنازلت السماء لتلاقى الأرض وارتفعت الأرض لتلاقى السماء.

مجيء المسيح للأرض هو ثوره عظيمة على الطبقية بين الناس

جاء المسيح إلى عالمنا بثورة على الطبقية الموجودة بين الناس فنادى الأغنياء إن لا ينسوا أخوتهم الفقراء وضرب لهم مثل الغنى ولعازر ليعلم الأغنياء أن أفظع جريمة يرتكبونها هي تجاهلم لأخوتهم الفقراء وأن "من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له" (يع ٤: ١٧).

فالمسيح كان أول من رسم للمساواة الحقيقية بين البشر خطوطها الرئيسية ومعالمها الواضحة وبعد صعوده مباشرة إلى السماء ظهرت ثمار تعاليمه لتلاميذه وتابعيه. فقد كان جميع المؤمنين معاً "وكان عندهم كل شئ مشتركاً وكانوا يبيعون أملاكهم وأمتعتهم ويوزعونها على الجميع حسب الاحتياج فلم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل. ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا. إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل" (أع٤: ٣٢ - ٣٧).

المسيحية تنادى بالاخوة بين البشر

ثم جاء رسول الأمم بولس ليطبق ما علم به السيد المسيح من مبادئ سامية ضد الرق والطبقية فنادى بإلغاء الفوارق بين البشر إذ نالوا الحرية في المسيح فلا يوجد عبد ولا سيد فكتب إلى تلميذه فيلمون يوصيه بخصوص معاملة أنسيمس فيقول أن يعامله "لا كعبد فيما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً.. ويضيف قائلاً فأقبله نظيري" (فل ١٦، ١٧).

جاء المسيح أنزل الأعزاء ورفع المتضعين

جاء المسيح إلى عالمنا قوياً في إعلان الحق فلم يكن كقصبة مرضوضة تهتز أمام الرياح بل كان هو ذاته عاصفة قوية ضد الظلم والطغيان فلا عجب أن تترنم أمه الطهور بترنيمتها "صنع قوه بذراعه شتت المستكبرين بفكر قلوبهم أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين" (لو١: ٥١، ٥٢). جاء المسيح إلى عالمنا حاملاً معه أخلاقيات العهد الجديد التي تعلن ما كان العالم يجهله قبل ذلك عن أبوة الله للجميع وأخوة كل البشر. هذه الأخلاقيات هي التي وجهت القلب والنفس والعقل نحو توطيد ملكوت البر على الأرض فكانت محركاً ومنبهاً للضمير المسيحي فنشر المسيحيون ما علّم به السيد من مبادئ مسيحية.

لكل إصلاح ثمن قدراً من التضحية

جاء جون وسلى المبشر الواعظ الشهير والذي كان نموذجاً رائداً ومؤثراً في الإصلاح الاجتماعي عن طريق إيقاظ القلوب والضمائر، كان قديراً في توصيل رسالة المسيح للشعوب فكان رائد النهضة الإنجيلية في القرن الثامن عشر في أوربا وأمريكا. فاستطاع أن يعالج بعض العادات الوحشية الصعبة المنتشرة كتجاره الرقيق اللاإنسانية، وخطف الناس لأبناء بلدهم وبيعهم كعبيد، وتفشى عادة القمار، ووحشية معاملة المساجين، والفوضى الأخلاقية، والبغاء وانتشار التمرد، والخرافات والفسق والإهمال الكنسي في معالجة هذه القضايا. نعم كان أداه مباركة بين يدي المسيح في توصيل رسالته وحقه للناس.

وجاء أيضاً ولبرفورس في أوربا فحطم أغلال العبيد في سنه ١٨٣٣. وجاء إبراهام لنكولن وركز رسالته على تجاره الرقيق فاستطاع أن يقضى عليها سنه ١٨٦٥. بعد أن دفع ثمناً غالياً لهذا الإصلاح العظيم إذ أنه ضحى بنفسه والتضحية بالنفس من أجل إعطاء حياة كريمة للآخرين هي أسمى غاية الجود. ولم تكن تضحيته هذه سوى شعاعه من نور تضحية المسيح من أجلنا الذي مات ليفدينا.

ثالثاً: المسيح قدم حياته للخدمة الإنسانية

جاء المسيح إلى عالمنا نبعاً فياضاً من الحب والحنان فعاش وسط عامة الناس وعايشهم ولم يترفع عليهم بل دخل إلى بيوت المساكين والضعفاء والخطاة. ليخدمهم ويجود بنفسه من أجلهم ولم تكن خدمته قاصرة على طبقة واحدة أو فئة واحدة من الناس بل كانت للجميع فإن الآب الذي أرسله يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين، ولم يميز بين إنسان وأخر في تقديم الخدمة.

الحياة المسيحية هي حب وعطاء وتضحية

ولم تكن خدمته أيضاً في مجال واحد معين بل امتدت خدمته إلى كل مجالات الحياة فكان هو ذاته ابتسامة شافيه للمرضى في أمراضهم. يده دائماً

ممدودة لهم بالحنان، وكان لمسه معزية للحزانى في حزنهم. وكان رسولاً للمصالحة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والله. وكان صديقاً لمن لا صديق له. مبتسماً في وجوه كل الناس العابسين في وجهه وكان قوة لتحطيم الجمود الديني الثقيل الذي وضعه المرائون الكتبة والفريسيين فوبخ الرياء. وجعل المحبة شعاراً للناس ليعيشوا بها. كان نوراً جديداً في تعاليمه فكشف أعماق النفس البشرية في بساطة رائعة. ولم تكن خدمته أيضاً قاصرة على مكان معين لكنه كان يجول يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس (أع ١٠ : ٣٨).

من أراد أن يكون سيداً فليكن للآخرين خادماً

كانت حياته كلها حباً وعطاء وتضحية من أجل الآخرين فقد كان كالشمعة التي تحترق لتضئ للآخرين باذلاً ذاته لأجل غيره. وقد علّم تلاميذه وكل تابعيه هذه المبادئ النبيلة في الخدمة وحب العطاء. وقال لهم "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا" (مت ١٠ : ٨). وقال لهم أيضاً "من أراد منكم أن يكون سيداً فليكن خادماً" ولم يكن تعليمه تعليماً نظرياً لكنه كان عملياً قوياً إذ نراه له المجد قد خلع ثيابه وأخذ منشفة وأتزر بها وغسل أرجل التلاميذ (يو١٣).

خدمتنا للرب نقدمها لاخوته الأصاغر

لم تكن خدمة السيد قاصرة على زمن معين، فهو أمساً واليوم وإلى الأبد. فهو حي في حياة خدامه وبالتالي فان خدمته لا تنتهي أبداً إذ أنه أوكل إلى خدامه وتابعيه مواصلة هذه الخدمة. وعند مجيئه في مجده سيكافئهم لأنهم قدموها لأخوته الأصاغر فيناديهم "تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني. مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم إلى.. بما أنكم فعلتم بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم" (مت ٢٥: ٣٤-٣٩).

سار أحد الأشخاص ذات يوم في طريق وعر أثناء حر النهار وهو يشعر بالتعب والإعياء والعطش والجوع وأثناء سيره وجد مكان مظلل بنباتات متسلقه وجريد النخيل فدخل فيه ووجد بداخله مقعد وورقة ملصقة فوق المقعد

مكتوب عليها أجلس هنا وأسترح فوق المقعد. فأقترب الرجـــل مــن المقعــد بسرعة ليسترح فوجد سله بها تفاح وفوقها ورقة مكتوب عليها خذ تفاحه مـــن السلة وكلها وعندما أخذ التفاحة رأى ورقة مكتوب عليها "بعد بضع أمتار قليلة من هنا نبع ماء صافى أذهب إليه واشرب" وتعجب الشخص وأراد أن يعــرف قصة ذلك المكان فرأى من على بعد كوخاً يقف علـــى بابـــه رجــل عجــوز فأستفسر منه الرجل فأجابه العجوز "هذا المكان ملكي أنا، وقـــد كتبــت هــذه الوريقات ربما يأتي متعب في الطريق فيجد مكاناً يستريح فيه. وربما يكـــون جائعاً وفى حاجة إلى الطعام وعندي تفاح فائض. فلماذا لا يأخذ واحدة منــــه؟ وقد يكون عطشاناً ظامئاً ويحتاج إلى من يهديه إلى منبع الماء الصافي ليشرب ويرتوي. استمع الشخص إلى كلمات الرجل العجوز الواقف على باب الكــوخ ووقف مذهولاً وتأثر بهذا اللقاء فعاد وكتب قصيدة شعر تمنى فيـــها أن يقــف على الطريق باستمرار ليعين متعباً فيريحه. أو جائعاً ليقدم له الطعام ويشــبعه. أو عطشاناً فيقدم له الماء ويرويه.

يسوع جاء إلى عالمنا هذا فكان راحة لكل جائع متعب ومنكوب في طريــق حياته الذي يسير فيه المليء بالآلام والمتاعب والمآسي والدموع. هل تأخذ يسوع قدوة لك وتجعل حياتك رسالة لغيرك ربما تخدم الآخرين بأشياء تبــدو صغــيره لكن في وقت معين يكون لها فاعلية كبيرة عند الشخص المحتاج إليها.

نعم إن المسيح جاء إلى عالمنا لا ليُخدَم بل ليخدِم

مجيء المسيح كان مفاجأة عظيمة لنا

١- إشراق كوكب الصبح المنير وتألقه في عالمنا كان مفاجـــأة عظيمـــة طربت لها قلوب العجائز بترنيمة حنة بنتفنوئيل التي وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءاً في أورشليم" (لو ٢: ٣٦-٣٨). ورقصت لـــها قلوب الشيب بهتاف سمعان الشيخ الذي قال "والآن تطلق عبدك يا سيد حســـب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قـــدام وجـــه جميـــع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو ٢: ٢٩-٣٢).

في مجيء المسيح تجلى الحب إنساناً

٢- إشراق كوكب الصبح المنير وتألقه في عالمنا كان هو مناسبة عظيمة أجتمع فيها جلال اللاهوت بكمال الناسوت "فالكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١ : ١٤). وأمامها هتف بولس الرسول قائلاً "الله ظهر في الجسد" (١تيمو٣: ١٦). وأعلن الرسول يوحنا أن الله محبة" (١يو ٤ : ٨) وبذلك تجلى الحب إنساناً في شخص يسوع المسيح وعاش بيننا على الأرض فرأى فيه الناس الحب متجسداً.

أشواك الألم تختلط بريحان الأمل

٣- إشراق كوكب الصبح المنير وتألقه في عالمنا كان مناسبة عظيمة اختلطت فيها أشواك الألم بريحان الأمل. فعندما ضجت البشرية من فلسفة الأبيقوريين لأنها عظمت الحاضر والمنظور وتجاهلت المستقبل. وعندما يئست الأرض من حكمة الرواقيين لأنها عظمت النفس لدرجة التعبد. وعندما خابت أمال الناس في الحكمة اليونانية لأنها عظمت القدرة الفكرية،وتجاهلت كل ما عداها فخيّم الظلام على الناس وبلغ اليأس أشده، فحل نور المشرق من العلاء، ولاح كوكب الصبح المنير وأشرق شمس البر في قلوبنا بميلاد المسيح نوراً لدنيانا ورحمة للعالمين. إشراق كوكب الصبح المنير إلى عالمنا هذا كان مناسبة أنشق فيها التاريخ إلى قسمين متميزين قبل الميلاد وبعد الميلاد والناس الآن حتى الذين لا يؤمنون بلاهوته يجدون أنفسهم كل يوم يكتبون التاريخ في كل معاملاتهم منسوباً إلى ميلاده.

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ

الله يريد أن يخاطبك أنت شخصياً بهذه الرسالة من خلال الأمور التالية

١ـ توجد علاقة شخصية بين كل إنسان وبين الله لا يعلمها أحد إلا الشخص ذاته والله خالقه. فالله له القلب وأما الإنسان له العينان أي أن الله يرى خفايا القلوب لان الإنسان لا يرى إلا ما هو خارجي ظاهري وأنت يا أخي بالطبع لا يعلم أحد خفايا قلبك وعلاقتك الشخصية بالله فمن الممكن أن تكون إنساناً حراً نلت حرية في المسيح يسوع، ومن الممكن أن تكون عبداً مازلت أسيراً لعاداتك وشهواتك . فإذا كنت حراً وابناً لله فأشكر الرب على الحياة الجديدة في المسيح يسوع، وإذا لم تكن قد نلت حياة جديدة ومازلت عبداً أسيراً لشهواتك وعاداتك فالمسيح مازال يقرع على باب قلبك ويريدك أن تفتح له ويدخل وينقى قلبك من كل رداءة وسواد فيه.لا تشك في هذا الكلام ولا تستهتر به خذ شعار جديد لحياتك ورده مرات عديدة "أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني" وجرب النتيجة.

٢ـ كل إنسان منا يبحث عن طريق العظمة فهناك من يبحث عنها ويتمكن من الوصول إليها، وهناك من يتوه عنها ولا يتمكن من الوصول إليها لأنه يبحث عنها في الرفعة والعلو والتشامخ على الآخرين. بينما الحقيقة غير ذلك فالعظمة في التواضع وغسل أقدام

الآخرين. وتقديم كل خدمة ممكنة لهم. فهل ترغب أن تكون عظيماً بهذا المفهوم المسيحي؟

٣ـ قد ترى أوضاعاً مقلوبة أمامك وتستحق الاهتمام منك. فتدفعك وتثير فيك الرغبة للإصلاح فهل وضعت في خطتك للإصلاح أن لكل إصلاح ثمن معين من الجهاد والكفاح والألم. فالإصلاح لا يأتي عفواً. ولا توجد حلاوة من غير نار. ولا توجد ورود من غير أشواك.


رسالة إلهية إليك
رسالة
من
بقعة
عظام
يابسة
تنهض

أخذ الرب النبي حزقيال وأنزله وسط بقعة وهي عبارة عن ساحة كبيرة مملوءة بالعظام اليابسة كانت هذه العظام بقايا معركة حربية. انتهت هذه المعركة بهزيمة ساحقة لأحد الطرفين وكانت أجساد القتلى فيها مبعثرة في ساحة المعركة عبارة عن أشلاء متناثرة. ولم يوجد من يجمعها أو يدفنها فبقيت كما هي، ثم تحللت. ولم يبقى منها إلا العظام المتناثرة وهي عظام يابسة جداً وكثيرة جداً. إنها صورة مؤلمة لمن يتأمل فيها فهي تترك فيه أثار نفسية مؤلمة تستدعي التحسر والرثاء والدموع واليأس وفقدان الروح المعنوية وانعدام الرجاء.

لكن يأتي السؤال أمامنا الآن. لماذا أخذ الرب حزقيال وأمره على هذه العظام اليابسة في هذه البقعة؟ لماذا قصد أن يُريه هذه الصورة المؤلمة؟. يعطي الرب الإجابة لحزقيال في (ص ٣٧: ١١) يقول له "هذه العظام هي كل بيت إسرائيل ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا" فهم كانوا قد أخذوا إلى السبي إلى مملكة بابل وكان من ضمن هؤلاء المسبيين النبي حزقيال. وكانت حالتهم فعلاً تستدعي الرثاء والحزن هيبتهم كشعب، وفقدوا عبادتهم. فقدوا كل شيء جميل في حياتهم ولا يوجد أي نوع من الرجاء أمامهم. لذلك هم يقولون هذه الكلمات "يبست عظامنا. وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا".

وبعد أن أمّر الرب النبي حزقيال على بقعة العظام اليابسة هذه، سأله وقال له "يا ابن آدم أتحيا هذه العظام.. فلم يعرف النبي حزقيال أن يجيب فأجاب إجابة كنوع من الهروب من الموقف قال له. يا سيد الرب أنت تعلم" فأكد له الرب بعد ذلك أنه سيصنع من هذه العظام اليابسة المبعثرة جيشاً عظيماً جداً جداً. أي سيصنع من شعب إسرائيل البائس اليائس جيشاً عظيماً جداً أمة قوية مباركة عظيمة جداً.

وبنفس الطريقة التي كلم الرب بها الشعب قديماً يكلمنها بها اليوم. ونفس الرسالة التي وجهها الرب إلى إسرائيل قديماً يوجهها لنا اليوم. باعتبارنا نحن إسرائيل الروحي. فكثيراً ما ينتابنا شعور باليأس إذ أننا نشعر أن الكنيسة قد ضعفت جداً في رسالتها، والناس أصبحت في جفاف روحي، والعضوية تشتتت إلى أماكن كثيرة، والصلاة أصبحت عبارات محفوظة روتينية شكلية، والأسر أصبحت مفككة منقسمة على ذاتها، والعلاقات بين الناس أصبحت ممزقة. والشيطان شبه ملاك نور يخدع أولاد الله ويسبي عقولهم. والمطامع الدنيوية تملكت على قلوب الناس. اشتكى الأخ أخاه وتنازع الابن مع أبيه وامتلأت المحاكم بقضايا مؤسفة محزنة.

أين المذبح العائلي من بيوتنا؟. كم بيت يجلس فيه الأب والأم والأبناء معاً ويصلون ويدرسون كلمة الله معاً؟ أين التسبيح والصلوات التي كان يتميز بها البيت المسيحي. في الماضي؟ لقد استبدلت بأغاني مبتذلة أين قوة المحبة وحرارة الشركة؟. كثيرون من الناس يشعرون بهزيمة روحية في هذه الأيام. كثيرين من الناس يعيشون بحياة التدين الشكلي لكن الشر يملأ حياتهم. إلا أننا وسط هذا الجو المؤلم نجد رغبة داخل البعض بالأحياء والنهضة والتجاوب مع عمل روح الله والتغيير في حياة الناس، وانتعاش الكنيسة في رسالتها. ففي (مز ٨٥:٦) يعبر المرنم على شوقه إلى النهضة والفرح والإحياء فيقول "ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك" وفي (مز ٨٠:١٤-١٩) يقول "يا إله الجنود ارجعن اطلع من السماء وتعهد هذه الكرمة والغرس الذي غرسته يمينك والابن الذي اخترته لنفسك... فلا نرتد عنك أحينا فندعو باسمك. يارب إله الجنود أرجعنا أنر بوجهك فنخلص". لكن يأتي سؤال أخر أيضاً. كيف تحولت العظام اليابسة المبعثرة إلى جيش عظيم جداً؟.

وكيف تنهض حياتنا وكنيستنا من الخمول والكسل والفتور الروحي إلى الانتعاش والبهجة والفرح؟

هناك ثلاثة أمور هامة كلم الرب حزقيال عنها في هذا الإصحاح السابع والثلاثين من نبوته بها يمكن أن تحدث النهضة في حياتنا.

١-عند وصول كلمة الرب إلينا.

٢-عندما تهب علينا روح الحياة.

٣-عندما تتقارب عظامنا المبعثرة من بعضها البعض نتأمل فيها بالتفصيل.

أولاً: تنهض حياتنا عند وصول كلمة الرب إلينا

كان أول طلب للرب من حزقيال هنا أن يقدم كلمة الرب للعظام اليابسة ففي ع٤ يقول "فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها. أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب". وفي ع٧ يقول "فتنبأت كما أمرت". وهنا كلمة تنبأ بمعنى قدم كلمة الرب لهذه العظام اليابسة. وبعدما قدم كلمة الرب ماذا حدث؟ يقول "وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه". تأمل معي يا عزيزي القارئ في قوة كلمة الرب أنها تنعش العظام اليابسة وتضع فيها حياة فترتعش وتتحرك وتنهض. قال عنها كاتب الرسالة إلى العبرانيين في (عب٤:١٢) "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته".

كلمة الله تعالج فينا الإحساس بالفشل

قيل أن مودي الواعظ العالمي الشهير كان يحب باستمرار الاستشهاد بقصة نوح في عظاته المختلفة وأحاديثه وكتاباته لأن القصة كانت بمثابة نقطة تحول في حياته وخدمته لأنه في لحظة من أحرج اللحظات التي مر بها في حياته كلها وكان يشعر فيها بالفشل في خدمته بكل ما تشمل الكلمة من معنى وفي مرة من المرات زاره أحد أصدقائه الخدام ورآه حزيناً وكئيباً يحمل الهم كله في داخله. ودار حوار بينهما وعلم منه سر كئابته وحزنه كان ذلك لجدوب خدمته وعقمها وعدم إثمارها. فأشار عليه أن يعيد تأملاته مرة أخرى في قصة نوح والفلك. قصة نوح الذي ظل يكرر مائة وعشرين عاماً دون ملل أو كلل، ودون أن يكسب منهم فرد واحد لله. وبالفعل قرأ مودي القصة مرة أخرى بتأمل وبتدقيق، فهاله الفرق بين إيمان نوح وشجاعته وصلابته وصبره وكفاحه في مواجهة عالم شرير إثم وإيمانه وصبره وجهاده في عالم مهما يكن شره.

فلا يمكن أن يؤثر ذلك على خدمته أو يضعف من قوتـــه أو عزيمتـــه يكـــون ضربياً للعالم قبل الطوفان. وفعلت القصة فعلها الرائع العجيب فيه إذ زودتـــه بإدراك ووعي جديد لخدمته وارتفعت به من وادي الإتضاع واليأس والمذلـــة والقنوط الذي هبط إليه. حتى وصل إلى قمـــة النجـــاح والتقـــدم والانتصـــار والعظمة التي بلغها في خدمته فيما بعد. ولم يعد من ذلك اليوم كما أعتـــاد أن يعلق عوده على شجر الصفصاف.

كلمة الرب تلهب قلوبنا غيرةً للإصلاح

عندما وقف عزرا الكاهن على منبر الخشب (نح ٨) في مساحة كبيرة جـــداً وتجمع كل الشعب وقرأ لهم سفر شريعة الله حدثت لحياتهم عدة تأثيرات هامـــة جداً فمثلاً (١) عندما سمع الشعب كلمة الرب تأثر بها وناح وبكى على خطيتـــه. (٢) لم يقتصر الأمر على البكاء والنوح لكن حدث تغيير في حياتهم وســـلوكياتهم وبدأوا في حياتهم سلوك جديد بنور جديد (٣) تعلموا الحرص على تقديس يـــوم الرب الذي كان يوم السبت في عهدهم. (٤) كسروا المعابد والتمـــاثيل الوثنيـــة الموجودة عندهم (٥) بعثوا أنصبة لمن ليسوا لهم أنصبة فمن يقـــدم الروحيـــات شاركوه بالماديات (٦) انفصلوا عن الزوجات الوثنيات اللاتي تزوجهن بهم.

عزيزي القارئ: إن كلمة الرب لا ترجع إليه فارغة فهو الذي يقول عنـــها في (أش٥٥: ١١) هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلى فارغـــة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له.

كلمة الله تغير مجرى حياة أعظم المفكرين

صوّر أغسطينوس في كتابه العظيم "اعترافات أغسطينوس" حقيقة هامـــة تتعلق بدور كلمة الله وعملها في الإنسان لتغيير مجرى حياته. قال أنـــه كـــان رجل ذا طبيعة عميقة التفكير. أجاجة العاطفة. شديدة الإحساس وقد مضى فجر شبابه مستهتراً ماجناً يرتاد أماكن الإثم والفجـــور والخلاعـــة حتـــى ضجـــت قرطاجنة بالشاب الماجن الفاسد الذي كان يبحث عن السعادة ولما لم يجدها في

"الشهوة" انصرف عنها وتحول إلى "الصداقة" أملاً أن يجد في العلاقة بالمجتمع بعض راحته واستقراره غير أنه صُدِم بوفاة أعز صديق له، الصديق الذي قال "عجبت كيف ظل الناس أحياء بعد وفاة من أحببت. بل كيف بقيت أنا حياً وقد كان هذا الصديق نفسه الثانية" "وإذ لم يجد في الشهوة والصداقة شعبه تحول إلى العلم" أملاً أن يجد راحته هناك فأنصب في الدراسات العلمية والفلسفية أملاً أن يجد في أفلاطون وأرسطوا ما يستشعر من حزن وأسى وارتباك ولكن العلم لم يزده إلا إحساساً أعمق باليأس والتعاسة والبؤس والشقاء... وفي عام ٣٨٦ وفي حديقة من حدائق ميلان سمع صوت صبي صغير يقول افتح واقرأ. وأسرع إلى الكتاب المقدس ليجد الكلمات التي جاءت به إلى المسيح "قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات". وقد كانت هذه الكلمات هي المحول العظيم للرجل الذي ارتوى من المسيح إلى الدرجة التي قال له فيها عبارته المشهورة "يؤلمني أنني أحببتك متأخراً أيها الجميل القديم الأيام". نعم أن كلمة الرب لا ترجع إليه فارغة وبأي أسلوب تقدم لابد أن تعمل عملها فيه. لابد أن تغير مجرى حياته.

كلمة الله تعالج الفساد الأخلاقي في حياة الناس

وعظ الراهب الثائر سافونا رولا في مدينة فلورسنا بإيطاليا ووضع أمامه هدفاً وهو تطهير فلورنسا وإيطاليا كلها من كل فساد موجود وأثر وعظه في الكثيرين من النساء والرجال والفنانين والموسيقيين فأحضروا من الصور والزينات والتحف كل ما وجدوه غير لائق بالحياة المسيحية الصحيحة وجعلوها أكواماً في ميدان القديس مرقس وأحرقوها وقد كانت تعاليمه هي بداية فجر الإصلاح الإنجيلي ولذلك تعاليمه لم تعجب البابا الكسندر السادس فأمر بحرقه هو واثنين من رفقائه الرهبان فأحرقوا وهم على إيمانهم بالمسيح والفضائل المسيحية عام ١٤٩٨.

كلمة الله أشعلت شرارة الإصلاح

حدثت شرارة الإصلاح داخل قلب مارتن لوثر عندما كان يقرأ الكتاب المقدس وقابلته الآية التي في رسالة رومية "أما البار فبالإيمان يحيا" فكان لها الفضل الأول للنهضة في القرون الـ ١ التي غيرت مجرى التاريخ كله ليس في حياة مارتن لوثر فقط بل في حياة الملايين.

النهضة التي حدثت في سفر أعمال الرسل يوم الخمسين. حدثت عندما كانت الجموع تستمع إلى كلمة الرب على فم الرسول بطرس وتعامل روح الله مع الناس فتجددت ثلاثة آلاف نفس. وهكذا نحن إذا أردت نهضة في حياتنا. وإذا أردنا تغيراً لواقع حياتنا فعلينا أن نشبع من كلمة الرب.

كلمة الله تجدد السجناء المجرمين

قيل أنه في صيف عام ١٩٥١ عين مستر ولتر أندرسون مديراً لأحد السجون في نورث كارولينا الأمريكية وإذ كان أندرسون يعتقد أن السجن ليس عقاباً للمجرم بل هو بالأحرى وسيلة لعلاجه شجع على قيام خدمات دينية منتظمة للمسجونين. وقد قام بهذه الخدمات عدداً من العلمانيين أو المؤمنين وقد أتت هذه الخدمات بثمار عجيبة إذ أن سبعين سجيناً من ست وثمانين من المحكوم عليهم بمدد طويلة أصبحوا مسيحيين ويسعى هؤلاء المجددون للإتيان بالستة عشرة الآخرين للمسيح وقد كتب أحدهم إلى أمه يقول "لم يعد السجن سجناً بعد أني أحبك وأحب كل واحد في العالم. لقد كنت قبلاً أكره كل إنسان. أما الآن فإني لن أفعل الخطأ وتستطعين أن تفخري لأنني سأعيش حياتي للمسيح".

نلاحظ كيف أمكن أن يتحول هؤلاء من الإجرام إلى القداسة، ومن الأوحال إلى الطهارة، ومن الظلمات إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى سلطان المسيح عن طريق سماعهم لكلمة الرب وتأثرهم بها.

متى يكون لكلمة الرب فاعلية وتأثير في حياتنا؟

وأمام الكلمة الإلهية يلزمنا أن نراعي ثلاثة أمور هامة تجعل الكلمة لها فاعلية وتأثير في حياتنا وهي:

١- لابد أن يكون في حياتنا الداخلية رغبة قوية لسماع كلمة الرب. وهذا يتضح من خلال نهضة نحميا وعزرا ونهضة يوشيا أيضاً (٢مل٢٢:٢٣). فالشعب كان يستمع لكلمة الرب ليس كأي كلام عادي ولكن بنوع من التلهف والتشوق وبنوع من التقدير والاحترام الغير عادي. هناك فرق بين إنسان يسمع لكلمة الرب بروح التشوق والتلهف، بروح الجوع والعطش، وبين إنسان يستمع آخر يسمع لكلمة الرب كمجرد كلام أعتاد أن يسمعه. هناك فرق بين إنسان لكلمة الرب باعتبارها رسالة شخصية مرسلة له من الله. وبين إنسان آخر يسمع للكلمة بأذن ناقده. ولذلك إذا أردنا أن الكلمة تعمل فينا فلابد أن يكون في داخلنا جوع وعطش وتلهف وأن نعتبر أن ما نسمعه من عظات وخدمات روحية متنوعة هي رسائل شخصية يقدمها الله لنا.

٢- المواظبة: فالنهضة التي حدثت في يوم الخمسين يحدثنا عنها سفر أعمال الرسل في (أع٢:٤٢) أنها حدثت عندما "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" وفي (أع٢:٤٦) يقول "كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة". فالنهضة الرئيسية في هذه الأيام أن الكثيرين انشغلوا بمغريات وماديات الحياة وحضورهم لبيت الرب لم يكون بمواظبة بل قليل جداً.

٣- علينا أن نكون سامعين عاملين بالكلمة. فكثير من الناس يسمعون للكلمة أو يقرأونها سواء في الكتاب المقدس أو الكتب الدينية لكن لا يعيشونها لحياة يقول النبي إرميا "وجدت كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي" (إر١٥:١٦).

نعم فالكتاب المقدس يجب أن يكون الصديق الدائم لنا ولا ننسى أبداً أنه يوجد رجاء كبير لا فظع خاطئ في العالم يقرأ الكتاب المقدس. ويوجد خطر شديد على أعظم قديس في العالم يهمل قراءة الكتاب المقدس و"طوبى للرجل الذي لم يسلك

في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً" (مز ١:١-٢).

ثانياً: تنهض حياتنا عندما تهب علينا روح الحياة

في حديث الرب مع حزقيال قال له "تنبأ يا بن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً" (حز٣٧:٩،١٠). ويتضح هنا من كلام الرب لحزقيال الدور الرئيسي للروح القدس الذي يتمثل في الإحياء والنهضة فعندما هب روح الله على العظام اليابسة التي لا حركة لها وليس لها أي رسالة بالمرة فتحركت وقامت كأشخاص على أقدامهم بل أكثر من ذلك صاروا جيشاً عظيماً جداً جداً.

وبالتالي نستنتج من كلام الرب لحزقيال هنا انه بدون عمل روح الله لما صارت هناك حياة ولا يوجد أحياء ولا توجد أي نهضة بالمرة في حياتنا كأفراد أو ككنيسة.

كثيراً ما نحاول أن نحيي الناس الذين. هم عبارة عن عظام يابسة عن طريق الإدارة الحكيمة أو الخدمة الاجتماعية أو التعليم الكثير أو العمل التنموي أو تشجيعهم على صنع الأعمال الصالحة أو السلوك بالاستقامة ولكن رغم أهمية كل ذلك لكن هذه الأمور يمكن أن يكون لها دور في التنمية أو إصلاح السلوك وتهذيبه أو غير ذلك أما الاحياء فمعناه دخول روح جديدة على من ليس به روح فالإنسان ميت روحياً ولا يمكن إحياؤه إلا بعمل روح الله فيه.

حتى أن سفر أعمال الرسل الذي يمثل نشأة وتاريخ وحياة الكنيسة في بداياتها يسمى سفر أعمال الروح القدس. ونلاحظ عليه أنه سفر بلا خاتمه وهذا يدل على أن روح الله مازال يعمل في كنيسته ولا نهاية ولا حدود لعمله. وعند قراءتنا بتدقيق لهذا السفر نجد أن بطرس الرسول هو الشخصية الواضحة المسيطرة على الجزء الأول من السفر. والرسول بولس هو الشخصية التي لها الدور الأول في الجزء الثاني، إلا أن وراء الاثنين

شخصية أخرى تمسك بالدفة وتسيطر على الشخصيتين. هي شخصية الروح القدس. وإذا كان عمل الرسولين بطرس وبولس وكل الشخصيات المرافقة والمساعدة لهما ينصب على الكنيسة ولأجلها فإن الروح القدس هو الذي خلق الكنيسة وبدأها، وهو الذي نماها وضم كل أعضائها إليه، وهو الذي قادها في إرساليتها العظمى إلى العالم أجمع (أع٢:١-٤، ٤٢-٤٧، ١٣:١-٤).

ولذا يشبه الروح القدس بالنسبة للكنيسة كالبطارية بالنسبة للسيارة، وكما أن السيارة لا تسير بدون البطارية هكذا الكنيسة لا يمكنها أن تسير وتواصل خدمتها بدون عمل الروح القدس فيها.

الروح القدس وميلاد الكنيسة

قال السيد المسيح للتلاميذ "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع١:٦-٨). وقد حل بالفعل عليهم الروح القدس في يوم الخمسين الذي كان يوم ميلاد الكنيسة. ويوم الميلاد يعتبر أهم يوم في حياة الكنيسة. وقد ولدت الكنيسة وفيها كل الإمكانات التي تحتاجها في حياتها وإرساليتها أوجدها فيها الروح القدس وكل ما حدث بعد ذلك لم يكن إضافات جديدة لم تكن هناك من قبل، بل كانت امتداداً وتطوراً طبيعياً لقوى موجودة وكان الفضل في ذلك النمو والامتداد للروح القدس نفسه.

الروح القدس يعطي إحساس جديد للتلاميذ بكيان عظيم

كما أن الروح القدس كان له دور عظيم في جانب آخر إذ أحس التلاميذ الذين كانوا يرون في أنفسهم إنهم مجرد مجموعة من الأفراد لا هوية لهم. بعد ذلك أحسوا أنهم كنيسة ذات كيان عظيم. ولم يكن هذا الأمر سهلاً مع انه كان شائعاً في ذلك العهد. فجماعة القمران كانت تعتقد أنها الجماعة المختارة وهي البقية المخلصة التي كان يتطلع إليها العهد القديم. وجماعة الفريسيين وكل اليهودية الربيه كانوا يعتقدون كذلك، فكيف تأتي جماعة بسيطة كهذه الجماعة

المسيحية التي هي من عامة الشعب وتعتقد أنها أيضاً الجماعة المهمة والمختارة والتي هي الكنيسة؟ ما هو الأمر الذي جعل جماعة كهذه دون مؤهلات كثيرة تظن ذلك؟ إن الأمر الأوحد يكمن في عطية الروح القدس في يوم الخمسين.

الروح القدس أوجد الإيمان الاختباري في حياة التلاميذ

وبفضل عمل الروح القدس في يوم الخمسين اختبر التلاميذ نوع جديد من الإيمان نسميه الإيمان الاختباري وليس هو الإيمان النظري أو المعرفي. ولم يختبره التلاميذ من قبل. شتان الفرق بين إيمان الاختبار الذي نشعر فيه بعمل روح الله فينا ونشعر فيه بعناية الله ورعايته لنا في كل أحداث الحياة. ونشعر فيه أن كل خطوة نخطوها هي حسب خطة الله وتدبيره. وبين إيمان المعلومات والمعرفة. شتان الفرق بين أن نعرف الله ونعرف عن الله.

ففي قول الرسول بطرس في بداية حديثه عن تجديد كرينليوس وجماعته يقول "فلما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة، فتذكرت كلام الرب. كيف قال أن يوحنا عمد بماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس" (أع١١:١٥-١٦). ويضيف على ذلك بالقول "فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية بالرب يسوع المسيح فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله" (أع١١:١٧- ١٥:٨،٩). ففي الشاهد الأول تظهر كلمة "البداءة" أو "البدء" وهي الكلمة التي يبدأ بها إنجيل يوحنا (يو ١:١- ايو ١:١). وفي كل مرة تشير إلى وقت يختلف عن الآخر ففي إنجيل يوحنا كانت تشير إلى البدء المطلق الذي لا يمكن حصره أو تخيله "في البدء كان الكلمة" أما في الشاهد الثاني فقد كانت تشير إلى خدمة السيد كلها إلى يوم صعوده إلى السماء "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا..". أما الاقتباس الحالي فإنه يشير إلى يوم الخمسين بأن البداءة هي بداءة العهد الجديد. فقد كان مجيء الروح القدس وانسكابه على الأمم في بيت كرنيليوس هو بداية إيمان بالنسبة لهم. اختبروا عمل روح الله في حياتهم بقوة شديدة وواضحة ومعلنة.

الروح القدس يوسع دائرة الكنيسة بقبول الأمم

مجيء الروح القدس وانسكابه في بيت كرنيليوس كان هو بداية جديدة للكنيسة تم فيها إدخال الأمم إلى دائرتها ونرى الرسول بطرس في حديثه عن هذا الموقف يساوي بين الأمم وبين اليهود بحلول الروح القدس على كل منهما. والاثنان اختبرا موهبة الروح القدس ودخولهما إلى عهد جديد بمجيء الروح القدس عليهم. وهنا نرى فكرة جميلة أن أحضان الكنيسة يجب أن تكون مفتوحة للجميع المؤمن والخاطئ، المتدين ورجل الشارع، عضو الكنيسة والمتردد عليها، ولا تكون قاصرة في اهتمامها على فئة واحدة معينة.

الروح القدس هو العمود الفقري للكنيسة

من خلال الأحداث التي حدثت في يوم الخمسين نرى بوضوح أنه هو اليوم الذي خُلقت فيه الكنيسة، بمعنى أنها أحست بكيانها وهويتها وعرفت أنها الآن في العهد الجديد الذي ينسكب فيه الروح القدس. واختبرت علاقة جديدة وإيمان جديد بسيدها المقام. وأخيراً عرفت أنها الجماعة التي تمت لها المواعيد التي أعطاها الله لإسرائيل. وهكذا شعرت بأنها جماعة الرب التي بناها وأسماها الكنيسة. بل أيضاً الكنيسة من ذلك اليوم عرفت رسالتها وعرفت أنها جماعة مرسلة وشاهدة ولقد أعلن لها السيد ذلك وجهها إلى مستقبلها وقال لتلاميذه "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع١: ٨). بعد ذلك بعشرة أيام من انتظار التلاميذ لتحقيق الوعد بدأت شهادتهم وخدمتهم المرسلة إلى العالم كله. وإلى ممثلين لكل أمم الأرض وأعطاهم الروح القدس مواهب متعددة للخدمة.

الروح القدس هو القوة الدافعة للخدمة

في سفر أعمال الرسل نجد أن الروح القدس يتعامل ويعضد ويشجع ثلاثة من الأفراد بعد بداية اختبارهم لعمل الروح القدس فيهم بفترة ليست طويلة وهم استفانوس وفيلبس وشاول الطرسوسي في موقف تبشيرهم للسامرة وكان هذا الموقف موقف حلول الروح القدس على الذين آمنوا كان

بطريقة فريدة في نوعها لم تحدث لا من قبل ولا من بعد دلالة على أهمية الموقف فيها. هؤلاء الأشخاص الثلاثة تعامل معهم الروح القدس ليس على أساس فردي ولكن في إطار الكنيسة ولأجلها ولم يكن هناك انفصال في عمل الروح القدس بل كانت هناك خطة واحدة مترابطة في عمل مع الثلاثة.

الروح القدس يعمل فينا كأفراد

وإن كان الروح القدس يهتم بنا كجماعة أو ككنيسة لكن ليس معنى ذلك أنه يهملنا كأفراد وليس معناه أن الفرد يضيع وسط زحمة الجماعة. فالمسيح رب الكنيسة يترك التسعة والتسعين خروفاً لكي يذهب إلى البرية ليفتش على الخروف الضال. ولم يسكت أو يهدأ حتى يجده (لو١٥:٤). بل أن الغرض الأعظم من عمل الروح القدس الجماعي هو إعطاء الفرصة الأولى والأهم للوصول إلى الفرد وامتلاكه ولذلك كما أن الفرد يجد ملئه في الجماعة تجد الجماعة مثلها في الفرد. فاهتمام الروح القدس بالفرد لا يقل أهمية عن اهتمامه بالجماعة في الكنيسة. فالروح القدس هو الذي يجدد الشخص التائب والراجع إلى الله عندما يتجاوب مع عمل الروح القدس ويبرره ويغسله (يو٣:٥- رو٣:٢٤، ٤:٢٥- أف٣:١٤-٢٢)، والروح القدس هو الذي يقوي المؤمن في الإنسان الباطن (أف٣:١٤-١٦). والروح القدس هو الذي يشهد لنا أننا أولاد الله (رو٨:١٤،١٦- غل٤:٦) والروح القدس هو الذي يثمر في الإنسان المؤمن (غل٥:٢٢،٢٣- رو٥:٥). والروح القدس هو الذي يعطي الإرشاد والفهم الروحي الصحيح وفتح العينين واستنارة الذهن (أف٢:١٨، ٣:١٩). والروح القدس هو الذي يرشد المؤمن في العبادة (يو٤:٢٣،٢٤- في٣:٣). وبالإجمال نقول أن الروح القدس هو الدينامو المحرك لكل فرد وهو العمود الفقري للكنيسة.

نجاح الخدمة يتم عن طريق اللجوء للروح القدس

كتب أحد الأشخاص ويدعى مرجان وصفاً لإحدى النهضات العظيمة التي حدثت في كنيسة من كنائس ويلز. فقال كان راعي هذه الكنيسة هو واعظاً

ممتازاً موهوباً وأميراً من أمراء المنابر بغير منازع. ولكن سحر وقوة بلاغتها لم يجديا أو يغيرا في الناس شيئاً، فاضطرب وجزع وضاق به الأمر، غير أنه أعد عظة تخلصت المئات من الناس بواسطتها. وإذ تاق واحد من زملائه أن يعرف سر العظة، وسأله قائلاً "من أين جئت بهذه العظة العجيبة الرائعة يا أخي؟" وعند ذلك أخذه الراعي إلى غرفة حقيرة بها نافذة تطل على الجبال وفرش على أرضها سجادة قديمة بالية وأشار إلى جزء من السجادة وقال "هنا في هذا المكان جئت بعظتي. لقد ضاق قلبي بالناس وبشرورهم وآثامهم وخطاياهم. فأنحيت في هذا المكان قريباً من النافذة وظللت أضرع إلى الله أن يعطيني قوة لم أحصل عليها من قبل في كل تاريخ حياتي وخدمتي وجهادي. وظللت على هذه الحالة طوال الليل دون أن أنال هذه القوة العظيمة الموعودة حتى أشرق الفجر وأنساب نور الشمس آتياً من وراء الجبال وغامراً الطبيعة والكون بالحياة والقوة والجمال وعند ذلك أبصرت نوراً أبهر وأجمل وأعظم يغمر أعماق نفسي فسكنت وهدأت ونمت ثم استيقظت لأعظ العظة التي كان سبباً مباركاً في تغيير المئات من الأشرار والآثمة والخطاة الفجار. حقاً أن قوة روح الله العجيبة لا تزال في متناول الكنيسة والمؤمنين وهي تعمل في كل جيل وفي كل عصر.

ثالثاً: تنهض حياتنا عندما تتقارب عظامنا المبعثرة من بعضها

عندما كلم الرب حزقيال أن يذهب ويرى بقعة العظام اليابسة ويمر عليها ويتنبأ إليها ويتأمل في عمل روح الله فيه، استجاب حزقيال هنا وتجاوب مع رسالة الرب وقال "فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام" (حز٣٧:٧) ثم قال فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً" (حز٣٧:١٠). وهنا نلاحظ أمر هام جداً أن العظام اليابسة عندما وصلت إليها كلمة الرب لم تبقى ساكنة بلا حركة بل يقول عنها حزقيال حدث رعشاً فيها وتقاربت من بعضها. ثم يقول بعد ذلك أنهم حيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً

جداً. ونلاحظ أمر آخر أن النبي حزقيال عندما أستمع لرسالة الرب لم يكن مجرد مستمع سلبي لكنه قام تحرك ونفذ ما أمره به الرب.

ونحن كثيراً ما تكون في داخلنا الرغبة في النهضة لحياتنا الشخصية، وللكنيسة في تأدية رسالتها ونحن ساكنين بلا حركة. فهي مجرد أمنيات فقط دون عمل ودون كفاح وجهاد وما نيل المطالب بالتمني.

موقف الرب مع حزقيال هنا يذكرنا بنحميا الذي صلى وصام إلى الرب من أجل بناء أسوار أورشليم المتهدمة وأبوابها التي أحرقت بالنار لكنه لم يكتفي بالرغبة الشديدة والصلاة والصوم. ولم يتواكل ويترك الأمر على الرب لكنه نزل إلى أرض الواقع وكافح وتعب كثيراً. ثم قال للجماعة التي تعمل معه "هلما فنبني السور أورشليم ولا نكون بعد عار". وكان هناك تجاوب مع نداءه إليهم فقالوا لنقم ولنبن وشددوا أياديهم للخير. كما قال أيضاً "إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبني" بمعنى أن الله عليه دور ونحن علينا أيضاً دور. ومن الخطأ أن نتهرب من الدور المطلوب منا بحجة إن الله يتولاه ويقوم به فهذا هو الهروب والتواكل. كما أن الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس عنه وعن أبلوس "نحن عاملان مع الله" أي أننا لا نقوم بدور الله والله لا يقوم بالدور المطلوب منا لكن علينا أن نعمل معاً. وعلى قدر جهادنا وكفاحنا الله يكافئنا ويكلل مجهوداتنا بالنجاح.

رسالة إلهية شخصية إليك

عزيزي القارئ

الله يريد أن يخاطبك أنت شخصياً بهذه الرسالة من خلال الأمور التالية

المفهوم الشائع عن النهضة في حياة الكنيسة هو عمل فترات انتعاشية تمتلئ فيها الكنيسة بالحاضرين لتسمع إلى واحد من كبار الوعاظ أو ما يسمونهم بأمراء المنبر أو رجال النهضات ثم يعود كل شيء بعد ذلك إلى ما كان عليه من جمود وفراغ إلى أن تجيء فترة انتعاشية أخرى. لكن حقيقة الأمر أن التجديد لم يكن كذلك. ليس هو نشوة عابرة أو حركة شكلية أو هزة عاطفية مليئة بالمشاعر الملتهبة والجماهير المتزاحمة ثم يعود كل شيء كما كان عليه وتنتهي النهضة وتنصرف الناس وتنطفئ المشاعر وتخمد الحركة وينفض الزحام وتعود الكنيسة إلى حالة النوم والضياع.

في الحقيقة أن النهضة هي حياة كفاح وخدمة مضنية متواصلة مع تسليم كامل للروح القدس وتبدأ هذه الخدمة المتواصلة المضنية برؤيا للقائد أو للجماعة المسئولة ثم تعمم بعد ذلك لتشمل كل الشعب. والنهضة هي عملية إحياء للكنيسة وبالتالي تكون هي عملية إحياء للأفراد. لأنه من المنطق ما ينطبق على الكل لابد أن ينطبق على الجزء كما يقول المرنم في (مز٨٥:٦) "ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك" وعندما تهب روح الحياة على الكنيسة وتنهض فإنها ترفض التحجر والسطحية والجفاف والعقم الروحي وتحدث انتفاضة جماعية واستنارة روحية وثورة فكرية لفهم

علامات الأزمنة. ويصحح الشعب مساره ويتغير نظام العبادة التقليدي الرتيب إلى عبادة حية قلبية نارية وتتغير بعدها سلوكيات الناس في حياتهم اليومية. والكنيسة لا تقف بعد النهضة عند حد معين لكنها تستمر في تدفق وتجديد متواصل متكامل عميق الجذور وبالتالي فهي تعلن عن نفسها في الزيادة العددية لمن يقتربوا من المسيح وينالوا حياة جديدة في المسيح وفي الكيف أيضاً الذي يتثل في الاستنارة الروحية والنضوج الفكري وهكذا تظل الكنيسة رائحة بخور ذكية للمسيح. لكن يأتينا السؤال.

ما هو دورنا نحن كأفراد النهضة؟

أجمل إجابة واضحة يضعها أمامك الوحي الإلهي يا عزيزي القارئ في قول الرب "إذا تواضع شعبي الذين دعي اسمي عليهم، وصلوا، وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طريقهم الردية، فإنني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم" (٢أخ٦:٢٦-٣١). وفيها نرى عدة أمور هامة هي:

١- أن النهضة تحدث في حياة أي فرد يقبل نعمة الرب ويستجيب لنداء حبه وعمل روحه القدوس فهي لكي الذين دعي اسم الله عليهم إن كنت تفتح باب قلبك للمسيح سيدخل ويغير كل حياتك ويدعى اسمه عليك وتصير ابناً لله.

٢- تحمل هذه الرسالة شروط أربعة وهي: إذا تواضع شعبي الذين دعي اسمي عليهم، وصلوا، وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طرقهم الردية فهل تعيش بهذه الشروط ليعمل روح الله فيك.

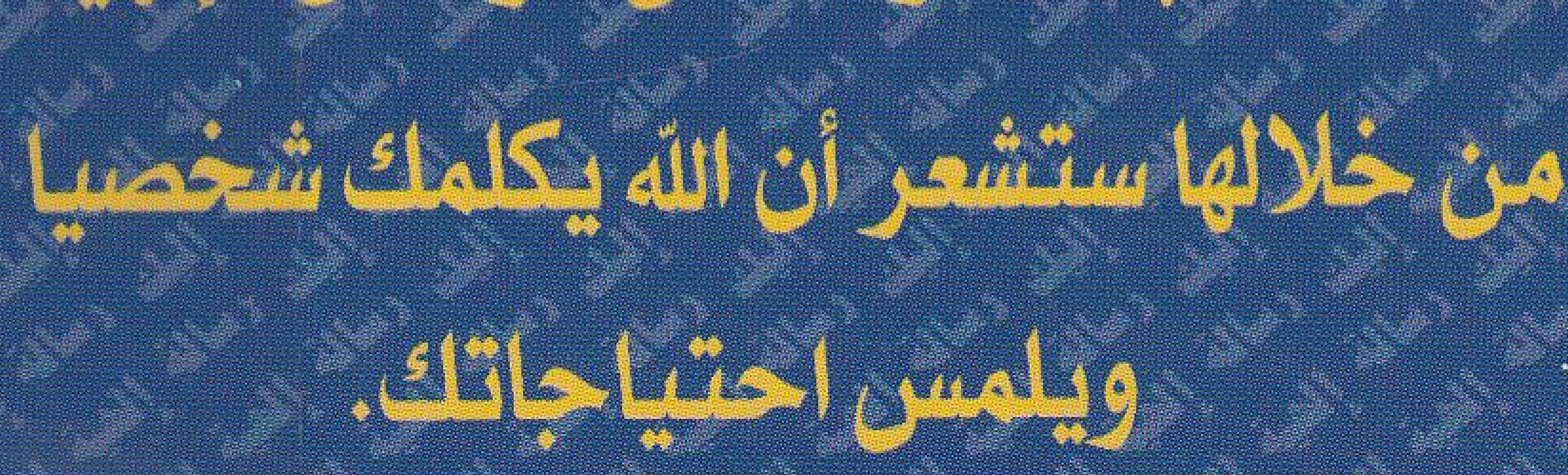
٣- تحمل هذه الرسالة ثلاث نتائج واضحة في قول الرب إنني اسمع وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم فمتى فتحت قلبك للرب

يسوع وأعطيت الروح القدس الفرصة ليعمل فيك ستظهر هذه النتائج على حياتك.

٤- هذه الشروط الأربعة نجدها هي نفس الملامح الأربعة الواردة في سفر أخبار الأيام الثاني الواردة في حياة خمسة من أهم ملوك يهوذا الشرط الأول تواضع الشعب حدث في أيام رحبعام في (٢أخ١١ : ١٢). ويوشيا الذي تواضع أمام إلهه (٢أخ٣٤، ٣٥). والشرط الثاني إذا طلبوا وجهي حدث في حياة الملك آسا الذي طلب وجه الرب (٢أخ١٤- ١٦). والشرط الثالث هو الصلاة الذي حدث في حياة الملك يهوشافاط (٢أخ١٧-٢٠). والشرط الرابع رجعوا عن طرقهم الردية الذي حدث في حياة الملك حزقيا (٢أخ٢٩- ٣٢). إن هؤلاء الملوك أكرموا الرب في أثناء حكمهم. وقادوا شعبهم للنهضة ولمعرفة الرب فلذلك نهضت المملكة في فترات حكمهم.

كما يلزم عزيزي القارئ أن تكون لك الأذن الحساسة لصوت الله فتشبع من كلمته وتتقبلها بكل تلهف وجوع وعطش وشعور باحتياج شديد لها ولا يكون تقبلك لها بالروح التي كانت داخل ملاك كنيسة لاودوكية الذي قال أن غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء. في حين إنه كان أحوج الكل إلى نعمة الرب ورسالته. وعليك أن تتأكد دائماً أن كلمة الرب هي مطرقة تحطم الصخر. وضع في الاعتبار أيضاً أنه كما أن الله عليه دور في توصيل كلمة الحق إليك ونخس قلبك بروحه القدوس لإنهاض حياتك فأنت عليك دور أيضاً هو قبول الحق والتجاوب مع عمل النعمة.

رغم كثرة الكتابات المسيحية في الناحية الاكاديمية إلا أن ما يشد الانتباه أن الكتابات في مجال الاقتراب إلى الله التي تتميز بشمولها على لمسة روحية قليلة جدا. في حين أننا لو فكرنا في الهدف الرئيسي الذي يرغب الكتاب في الوصول إليه هو مساعدة القارئ أن يقترب من الله أكثر، ويحدث تباعا لذلك تغيير في شخصيته وسلوكياته إلى الأفضل.



هذا الكتاب مجموعة من الرسائل الإلهية

من خلالها ستشعر أن الله يكلمك شخصيا

ويلمس احتياجاتك.



لوجوس